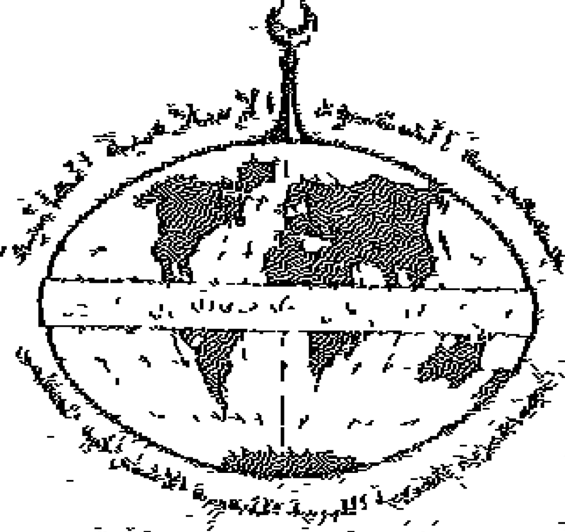


# المراكز التجارية الليبية

## وعلاقتها مع ممالك السودان الأوسط وأثرها على الحياة الاجتماعية

### خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين

### الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين


إعداد

علي حامد خليفة الطيف

إشراف الأستاذ الدكتور

سوادي عبد محمد





منشورات

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

الجماهيرية العظمى - طرابلس

# المراكز التجاريّة الليبيّة

## وعلاقتها مع ممالك السودان الأوسط وأثرها على الحياة الاجتماعيّة

خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريّين

الرابع عشر والخامس عشر الميلاديّين

الطبعة الأولى

1371 من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم۔2003 مسيحي



منشورات
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية
الجماهيرية العظمى ۔طرابلس

برنامج ما بعد كانو

# المراكز التجاريّة الليبيّة

## وعلاقتها مع ممالك السودان الأوسط وأثرها على الحياة الاجتماعيّة

## خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريّين

## الرابع عشر والخامس عشر الميلاديّين

إعداد

علي حامد خليفة الطيف

إشراف الأستاذ الدكتور

سوادي عبد محمّد



منشورات

جمعيّة الدّعوة الإسلاميّة العالميّة

الجماهيريّة العظمى - طرابلس

برنامج ما بعد كانو

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ
وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ .

صدق الله العظيم

النساء: الآية 1 .

# الإهـــداء

إلى أبي وأمي:

وفاءً لما قدماه لي

إلى زوجتي:

التي عاشت معي معاناة البحث

إليهم جميعاً أهدي ثمرة هذا الجهد

# الفهرس

# المقدمة

# نطاق البحث ـ نقد المصادر وتحليلها

تكتسب العلاقات الإفريقية بين الشمال والجنوب أهمية في البحوث والدراسات الحديثة، إذ لم تحظ بعناية مركزة من الكتّاب، وبخاصة تلك العلاقات العربية الإفريقية وبصورة أكثر دقة؛ العلاقات الليبية مع بلدان السودان الأوسط[1]، مما أوجد لي المسوغات لاختيار موضوع رسالتي الموسومة: **'بالمراكز التجارية الليبية وعلاقتها مع ممالك السودان الأوسط وأثرها على الحياة الاجتماعية خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين/الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين'.**

فقد اتضح من خلال دراسة بعض المصادر، وجود علاقات عربية ليبية إفريقية مبكرة تعود إلى بداية القرن الأول الهجري، حيث كانت محور الاهتمام لاختيار هذا الموضوع، وقد شكلت المدن الليبية (غدامس، زويلة، غات، أوجلة، طرابلس، برقة، أجدابيا، ودان) وغيرها كثير؛ دوراً بارزاً في خلق هذه العلاقات مع ممالك السودان الأوسط وهي (ممالك الكانم والبرنو وممالك الهاوسا ومنطقة أهير) التي كانت تضم عدداً من مراكز المدن منها (كوار، تكد، أنجيمي، كوكا، كانوا، كاتسينا) حيث ارتبطت منطقتا شمال الصحراء وجنوبها بطرق رئيسية، تعود بداياتها إلى عصر ما قبل الإسلام، غير أنه في العصر الإسلامي وانتشار الفتوحات الإسلامية إلى المناطق الشمالية من القارة الإفريقية أصبحت العلاقات ذات طابع جديد يقوم على الأعمال التجارية، فمن خلالها انتشر الإسلام واللغة العربية فضلاً عن نقل السلع والبضائع بين أهالي المنطقتين، وفي هذا الإطار فإن الإسلام كان الدافع

---

(1) يقصد بالسودان الأوسط المنطقة المحيطة ببحيرة (تشاد) وتشمل حالياً شرق النيجر ودولة تشاد الشمالي من نيجيريا والكاميرون.

الأول لقبائل وأهالي جانبي الصحراء للأخذ بمزيد من فرص الحوار والتعارف كما تنص عليه الآية الكريمة : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[1] .

ويمكن القول : إن المدن الليبية ومراكزها التجارية الواقعة في الشمال كان لها دور مهم في التعريف بأهالي جنوب الصحراء ، وذلك بواسطة عملية التواصل مع نظائرها في ممالك السودان الأوسط ، وبخاصة فيما تخلفه من تأثيرات اجتماعية وثقافية متبادلة خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين .

تقوم هذه الدراسة على أربعة فصول ومقدمة وخاتمة انتهجت منهجاً تحليلياً ووصفياً لما قدمته المصادر المتاحة لنا من نصوص وحقائق .

يقدم الفصل الأول معلومات عن نشوء المراكز التجارية في كلتا الجهتين وتأثير العوامل السياسية في نشوئها في ليبيا وبلاد السودان الأوسط ، وظروف قيامها وتوزعها خلال تلك الحقبة وإظهار دورها في الحركة التجارية ، وتضمّن الفصل الثاني دراسة للطرق التجارية سواء الرئيسية منها التي تصل بين المنطقتين أو الطرق الفرعية بين المراكز ، فضلاً عن النظم التي خضعت لها القوافل التي كانت تجوبها .

وتخصص الفصل الثالث بالتحدث عن السلع والبضائع للتجارات الواردة أو الصادرة لتلك البلدان واختتم بنظم التعامل التجاري المتبادل بينها ؛ وانفرد الفصل الرابع بتوضيح أثر النشاط التجاري على الحياة الاجتماعية في ليبيا والسودان الأوسط ، وسعى إلى معالجة أسباب وعوامل الهجرات المتبادلة للقبائل والأسر في كلتا الجهتين ، وبروز الأحياء السكنية وما تبعها من مظاهر .

إن هذه الدراسة اعترضتها صعوبات نظراً لقلة المصادر المعاصرة للحقبة التاريخية التي استغرقتها ، ولكن أمكن إلى حد ما التغلب عليها وذلك بعد محاولة

(1) سورة الحجرات ، الآية 13 .

الاعتماد على أشتات المعلومات والحقائق المتفرقة والقليلة وتنسيقها ومقارنتها واستخلاص الصورة المقربة لموضوعنا؛ ولعل في مقدمة هذه الصعوبات عدم اطلاعي على المراجع الأجنبية بقدر كافٍ التي ربما يكون فيها بعض المعلومات المفيدة، إن ذلك في الواقع نقص في هذه الدراسة يجب الاعتراف به، ولكن علينا أن لا نبالغ فيه إلى الحد الذي يجعلنا ننظر إلى ما أوردته المصادر العربية المتاحة لنا نظرة ثانوية، ففي هذه الأخيرة تتوفر معلومات وحقائق مهمة تشكل المادّة الأساسية للموضوع.

لقد اعتمدت الرسالة على مصادر ومراجع مختلفة، مخطوطة ومنشورة، ووثائق وموسوعات إسلامية ودوريات وغيرها كثير من الأسانيد، ففي المصادر المخطوطة، مادة أساسية ومعلومات مهمة لموضوع الدراسة، وفي مقدمة هذه المصادر المخطوطات السودانية إذ تشكل الأساس الذي تقوم عليه معلوماتنا عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية وكذلك فيما يتعلق بالأوضاع العامة، فمخطوطة "أخبار البلاد السودانية والهاوسية" لعبد القادر بن مصطفى، ومخطوطة "تبشير الأمة المحمدية" لعثمان بن محمد فودي (1252هـ) ومخطوطة "تاريخ أهير وأغاديس" و"مصباح الظلام في وفيات القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجري" لعلي محمد كوماس وغيرها، في هذه المصادر المخطوطة معلومات عن الممالك السودانية وانتشار الإسلام إلى جانب ما تقدمه عن نشأة بعض المراكز التجارية في البلاد السودانية.

أما المخطوطات الليبية التي تلقي بعض الضوء على التأثيرات الاجتماعية المتبادلة بين أهالي غدامس والممالك السودانية فتمثلها مخطوطة "تحبيس جنان وشاح وتجموت" لمحمد صيلة وعبد الله أبناء الفقيه إبراهيم بن موس صيلة وذلك خلال وجودهم في بلاد السودان منذ سنة (911 هـ)، وكذلك مخطوطة "تذكير الناسي وتليين القلب القاسي بذكر شيء من مناقب الشيخ عبد الله أبي بكر الغدامسي" إذ تتحدث عن بعض العلاقات القائمة مع البلاد السودانية وذلك على الرغم من أن

هذه المخطوطة متأخرة ولكنها على ما يبدو قد التقطت معلومات عن مصادر متقدمة عليها.

ولابد من القول أن هذه المخطوطات وغيرها مثل مخطوطة "وثيقة شراء" ترقى إلى عام (996هـ) لخالد بن يوسف ومخطوطة "وثيقة نسب" ترقى إلى عام (1295هـ) قد وضعت أساساً ورسمت الخطوط العامة لرسالتنا في أغلب فصولها.

أما المصادر المطبوعة والمنشورة فقد أمدت الدراسة وأغنتها بمعلومات مهمة، فاليعقوبي المتوفي سنة (284هـ/ 897م) أودع في كتابه "معجم البلدان" ما يفيدنا عن أهمية المدن الليبية وبعض مدن ممالك السودان الأوسط، وخصوصاً فيما يتعلق بالنواحي الاقتصادية والتجارية وكذلك بالأحوال الاجتماعية والسكانية، وتكمن أهمية هذا المصدر بالاقتباسات التي عوّل عليها المؤرخون في الفترات اللاحقة إذ نجدها في كثير من الكتب البلدانية والجغرافية التي تتحدث عن هذه المدن ودورها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

وفي القرن السادس الهجري وضع بعض المؤرخين معلومات لا يستهان بها في كتبهم وتآليفهم عن المدن الليبية، ومنهم الشريف الإدريسي المتوفى (558هـ/ 1162م) في كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، وشمس الدين الأنصاري المتوفى (727هـ/ 1326م) في كتابه "نخبة الدّهر في عجائب البر والبحر" كان لها أكبر الأثر في دراستنا، وإن أهميتها تنطوي على معرفة المسافات بين المراكز التجارية الليبية وبلاد السودان الأوسط، وكذلك نقرأ فيها ما يفيدنا عن المناطق الإفريقية التي من ضمنها الأقاليم السبعة التي قسم إليها العالم آنذاك، فضلاً عن تصنيفاتهم بذكر ممالك السودان الأوسط وشمال إفريقية مثل "كانم، وكوار، وزويلة، وغدامس" إلى جانب الاطلاع على بعض مجالات الحياة في مدن طرفي الصحراء.

وينفرد التيجاني المتوفي سنة (710هـ/ 1310م) في رحلته المسماة باسمه؛ لمناطق طرابلس بمعلومات قيمة عن مدن الساحل الليبي ودورها في الحياة السياسية والاقتصادية وعلاقتها مع البلدان المجاورة، وتستأثر معلومات التيجاني لدينا بكونها

معاصرة لدراستنا، فقد كان شاهداً على عصره ومطلعاً بصورة ميدانية بما كتبه في مؤلفه، ويعاصر التيجاني مؤرخ مشرقي هو أبو الفداء المتوفى (732هـ/ 1331م) وقد وضع كتابه "تقويم البلدان" الذي وجدنا فيه إشارات واضحة للعلاقات بين المراكز التجارية الليبية وبلاد السودان الأوسط، وخصوصاً في النواحي التجارية والتأثيرات الاجتماعية.

أما شهاب الدين بن فضل الله العمري المتوفى (749هـ/ 1348م) فقد وجدنا في كتابه "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" ما يفيدنا في معرفة المدن ومواقعها وأهميتها سواء في بلاد السودان الأوسط أو في البلاد الليبية ومراكزها التجارية، كما يُعرّفنا ببلاد الكانم، ومثل هذا المصدر كتاب لابن بطوطة المتوفى (779هـ/ 1377م) في كتابه "تحفة النظار في غرائب وعجائب الأمصار" الذي يعد واحداً من أهم الرحالة المغاربة وأكثرهم عناية بسرد تفصيلات مشاهداته للمناطق والأماكن التي يزورها أثناء ترحاله، إن هذا المصدر من أكثر المصادر خدمة لدراستنا، فقد كان سجلاً حافلاً بالملاحظات التي تلقي الضوء على الأحوال الاقتصادية والاجتماعية، حيث أفادنا بمعلوماته عن بلاد السودان في رحلته إليها عام (753هـ/ 1351م) التي أوفده السلطان أبو عنان بني مرين إليها.

وينبغي علينا أن نشير إلى مصادر القرن التاسع الهجري ومدى فائدتها لموضوع دراستنا، ويتقدم هذه المصادر عبد الرحمن بن خلدون المتوفى سنة (808هـ/ 1405م) في كتابيه "المقدمة" و"العبر وديوان المبتدأ والخبر" الذي أطلعنا على تفصيلات مهمة عن سكان شمال إفريقية خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، كما أمدّنا بمعلومات عن علاقة ملوك السودان مع الدولة الحفصية (1207/ 1221م)، ويعاصر ابن خلدون، المؤرخ المصري أحمد القلقشندي المتوفى (821هـ/ 1428م) حيث وضع في كتابه "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" معلومات عن البلاد السودانية وعلاقاتها مع البلاد المصرية منذ أيام السلطان منسي موسى (712 ـ 738هـ) (1312 ـ 1337م) فضلاً عن إشاراته المتكررة إلى المدن الليبية ودورها في النشاط التجاري والاجتماعي في بلاد السودان

الأوسط، ومن المصادر البلدانية والجغرافية نذكر محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري المتوفى (866هـ/ 1416م) حيث نقرأ في كتابه "الروض المعطار في خبر الأقطار" الذي نهج فيه منهجاً مشابهاً لما أورده الجغرافيون المشارقة في ذكر المدن وأحوالها، ولم يقصره على بلاد المغرب فحسب بل تعداه إلى محاولته الإلمام بمدن العالم الإسلامي، ففي هذا الكتاب كثير من الأخبار عن المدن والأماكن المغربية سواء في المراكز الليبية أو في بلاد السودان الأوسط، ونلمح فيه إشارات إلى أن هذه المدن في الواقع مراكز تجارية، ويشرح فيها النشاط المتبادل في هذا المجال بين ممالك السودان وبين المدن الليبية وشمال إفريقية بصورة عامة.

أما المؤرخ أحمد الشماخ المتوفى (928هـ/ 1521م) الذي اهتم بالحديث عن منطقة جبل نفوسة (الجبل الغربي) وعن المدن الليبية الواقعة على الساحل، فقد أثرى دراستنا بمعلومات مفيدة عن انتشار الإسلام في الممالك السودانية، وذلك عن طريق المراكز التجارية الليبية، وكذلك أوضح لنا طبيعة العلاقات والنشاطات التجارية مع البلدان المجاورة، وقد أغنت إشارته رسالتنا في فصلها الرابع الذي اختص بالآثار الاجتماعية المتبادلة بين البلاد الليبية وبلاد السودان الأوسط.

وهنالك إلى جانب هذه المصادر التي تيسر لنا الاطّلاع عليها؛ مصدر يعدُّ من أهم المصادر قيمةً للبحث، فالمؤرخ المغربي الحسن الوزان المتوفى (937هـ/ 1520م) في كتابه وصف إفريقية؛ يزودنا بمعلومات دقيقة وواضحة عن الأماكن والمدن الليبية والسودانية، مما يجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأنه كان شاهد عيان لهذه المناطق، وأن أغلب المؤرخين والكتّاب المتأخرين قد نقلوا معلوماتهم عن هذا المصدر.

أما الكتب المتأخرة التي حققت لنا الفائدة فقد اخترنا منها كتاب محمد بلو عثمان فودي المتوفى (1232هـ/ 1816م) والمسمى "إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور" حيث يقدم بعض الحقائق ذات الأهمية لرسالتنا وخصوصاً فيما يتعلق

بوصفه لبلاد البرنو وسكانها وبترجمته لعدد كبيرٍ من شيوخ العلم والأعيان وأخبارهم في هذه البلاد .

وتزودت الرسالة ببعض الآراء المفيدة التي وردت في بعض الرسائل العلمية غير المنشورة ، ومن هذه الدراسات ذات العلاقة بموضوعنا رسالة الماجستير لجميلة امحمد التكتيك المسماة "مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الأسكيا محمد الكبير" (1493 ـ 1528م) التي أوقفتنا على تعريفات بالمراكز التجارية الليبية والسلع والبضائع المتبادلة مع السودان الأوسط ، ورسالة الدكتور صالح السباني المسماة "الكانم والبرنو وعلاقتها مع أقطار الشمال الإفريقي" والتي وقفنا من خلالها على بعض العلاقات المباشرة مع البلاد الكانمية ومدى تأثيرها على المراكز الليبية ، كما حصلت الفائدة من رسالة زين العابدين عبد الحميد السراج عن "دولة الكانم الإسلامية القرن التاسع الهجري ـ القرن الرابع عشرالميلادي" ومن رسالة عبد الفتاح حسن بكر المسماة "سلطنة البرنو حتى عام 1808م" ورسالة مصطفى علي بسيوني بعنوان "برنو في عهد الأسرة الكانمية" ورسالة زينب أحمد علي هاشم التي تتحدث عن "علاقة مصر بالدولة الإسلامية في حوض النيجر في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين" .

إن جميع هذه الدراسات جاءت بآراء مهمة جديرة بالمناقشة عن المناطق السودانية وعلاقاتها مع الشمال الإفريقي ، خصوصاً مع البلاد الليبية والمصرية .

وتناول عدد من المؤرخين والكتاب المحدثين موضوعات تتعلق بدراستنا وتربطها بعض الوشائج بها ، ومن هذه المراجع العربية ، كتاب علي مصطفى المصراتي بعنوان "مؤرخون من ليبيا" حيث نهج فيه منهجاً بيوغرافيا ، فاستعرض عدداً من المؤرخين الليبيين وكُتبهم في فترات زمنية متفاوتة وقدم عنهم شرحاً مستفيضاً ، وكانت فائدتنا تكمن في معرفة المؤرخين الذين عاصروا فترة دراستنا ؛ وكتاب زاهر رياض الذي درس فيه "الممالك الإسلامية في غرب إفريقية وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء" وهو يقدم عرضاً تاريخياً عن قيام الممالك الإسلامية في برنو وممالك الهاوسا ويوضح

بشيء مـن التفصيل دور العرب المسلمين في قيام هـذه الممالك، فضـلاً عـن النشاط التجاري في هذه المنطقة، ودراسة أمطير سعد غيث الموسومة "التأثير العربي الإسـلامي في السـودان الغربي فيمـا بـين القرنـين الرابـع عشـر والسـادس عشـر الميلاديين"، وفيـه مباحث مهمة عـن المراكـز التجاريـة السـودانية وعـن الحركـة التجاريـة في البـلاد الليبية والعلاقات الاقتصادية التي كانت تربط كلتا المنطقتين.

أما عن موضوع انتشار الإسلام في إمبراطورية الكانم وممالك السـودان الأوسـط فـإن كتـاب فضـل كلـود الدّكـو عـن "الثقافـة الإسـلامية في تشـاد ـ العصـر الذهبـي لإمبراطورية الكانم" ـ يقدم لنا آراء فيها كثيرٌ من السـدّاد عـن الطـرق التـي انتشـرت بـها تعـاليم الإسـلام في هـذه المنـاطق، ومـدى الرضـا والتقبـل الـذي أبـداه الأهــالي بــهذا الخصوص، ويتعرض كتاب محمد المبروك يونـس عـن "دور ليبيـا في مسـار العلاقـات العربيـة الإفريقيـة" إلـى جملـة مــن الآراء والمعلومـات المهمـة عـن الطـرق التجاريـة والعلاقات الاقتصادية بين دول المنطقة آنفة الذكر.

وفي نطاق دوائر المعارف الإسلامية والموسوعات، تقع الفائدة من دائرة المعارف الإسلامية حيث وجدنا فيها تصنيفاً للأماكن والأسماء مما له أهميته في معرفة المدن مثل زويلة وغدامس وطرابلس وغات وغيرها التي ورد ذكرها في دراستنا.

كما اطّلعنـا علـى بعـض الدوريـات والمجـلات المفيـدة والمحكّمـة مثـل "مجلـة البحوث التاريخيـة" مـن منشـورات مركـز الجـهاد الليبـي في عددهـا الأول والثـاني والعدد الخاص عن تجـارة القوافـل عـبر الصحـراء، ومجلـة كليـة الآداب ـ جامعـة القاهرة ـ ومجلـة الدعـوة الإسـلامية/ كليـة الدعـوة الإسـلامية طرابلـس، ومجلـة المؤرخ العربي التـي تصـدر في بغـداد عـن اتحـاد المؤرخـين العـرب، وكذلـك مجلـة دراسات إفريقية عدد فبراير (1990).

ومن الندوات والمناظرات العلمية "ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربـي" المنعقـدة في كليـة الدعـوة الإسـلامية بطرابلـس ـ شـهر ديسـمبر ـ (1998م)، إن هـذه

الدوريات كان لها فوائد ملموسة فيما يتعلق بالاطّلاع على الآراء والدراسات الحديثة عن موضوعات المدن والتجارة والطرق التجارية والسلع وغيرها مما له علاقة بدراستنا .

وفي نهاية المطاف يتعيّن عليَّ تقديم الشكر والامتنان إلى أستاذي الأستاذ الدكتور سوادي عبد محمد الذي لم يأل جهداً في تمكيني من استيعاب متطلبات هذه الرسالة ، ففتح لي قلبه وكرّس لي فكره وتركيزه وأعانني على تخطي كثير من العقبات التي كانت تواجهني في البحث ولا أظنني أجانب الصواب إذا قلت : فلولاه لم أكن أستطيع أن أقيل العثرات من أمامي عبر رحلة إعداد هذه الدراسة .

كما أتقدم بالشكر إلى الدكتور الهادي الدالي ، والدكتور عمر مشري اللذين كان لهما الفضل في توجيهي توجيهاً صائباً ومفيداً في الاطّلاع على طبيعة العلاقات الإفريقية ، ولابد لي أيضاً أن أشكر جميع القائمين على كلية الدعوة الإسلامية وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطرابلس لمساعدتي في القيام بزيارة دول النيجر وتشاد ونيجيريا بغية الاطّلاع على المصادر والمراجع هناك .

إلى جميع هؤلاء جزيل الشكر والعرفان ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً وهو من وراء القصد ، عليه توكلت وإليه أنيب .

**المؤلف**

**علي حامد خليفة الطيف**

# تمهيد

يفتقر موضوع العلاقات بين مجتمعات القارة الإفريقيّة إلى دراسة منظمة وموثّقة، خصوصاً وأنها اتّخذت في بدايتها شكلاً تجارياً ثم ما لبثت أن تحولت إلى علاقات دينية واجتماعية ورسائل متبادلة[1]، والعلاقات فيما وراء الصحراء[2] وشمال القارة الإفريقية لم تكن وليدة قرون حديثة؛ إنما مرت بفترات تاريخية تتطلب من الباحث جهوداً لدراستها واستيعابها، نظراً لقلة المصادر وتشتت مادتها العلمية.

فلم تكن علاقة سكان شمال إفريقيّة مع جيرانهم علاقة جنسٍ أرقى قادمٍ من الشمال على جنسٍ أدنى منه في الجنوب كما يصورّه بعض الكتّاب[3]، بل إنها علاقات بين مصالح متبادلةٍ للطرفين أوجدتها الحاجة لعلها تتمثل في السلع التجارية أو التيارات الفكرية التي سادت مفاهيمها المجتمعين في الشمال والجنوب.

والظاهر أن القوافل التجارية المحملة بالسلع والبضائع كانت تصل من الشمال، ـ ونخص بذلك المغرب العربي ـ إلى جنوب القارة، وفيما وراء الصحراء عبر العديد من المسالك والطرق[4]، وكونّت بمرور الزمن مراكز تجارية تركزت في البلاد الليبية، لذلك لقيت هذه المراكز دور الوسيط التجاري في نقل البضائع والسلع إلى الواحات ومراكز المدن المنتشرة عبر هذه الطرق والمسالك.

---

(1) أحمد البأس (طرق القوافل عبر الصحراء والممالك الإفريقية) دراسات إفريقية، الخرطوم، عدد أبريل 1986، ص107 ـ 108.

(2) وهي المناطق الواقعة جنوب الصحراء الإفريقية الكبرى، وقد ظهر مصطلح فيما وراء الصحراء في الكتابات الحديثة. للمزيد راجع الهادي المبروك الدالي، (دور قبائل الفلان العربية في منطقة إفريقية فيما وراء الصحراء) دراسات، ع1، 1999، ص184، وما بعدها.

(3)بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز، منشورات قار يونس، بنغازي، 1988، ص27.

(4) أ. م. كاني (مظاهر الاتّصالات الفكرية والثقافية بين شمال إفريقية ووسط السودان) البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين، طرابلس، العدد الأول، 1981، ص9 ـ 11.

ولعل أهم المراكز التجارية التي ينبغي أن نشير إليها هي (زويله، غدامس، غات، أوجلة، سرت، ودان، مصراته، الواحات، تيبستي، الكفرة).

من خلال ذلك شهدت مناطق الشمال وما وراء الصحراء الإفريقية أكبر لقاء بشري تاريخي برهن على العمق الاستراتيجي المتبادل بين هذه الأقوام كما تدل عليه الحفريات والكهوف التي عثر عليها الجيولوجيون في الآونة الأخيرة[1].

وكانت القوافل المحملة بالمنسوجات والنحاس والأدوات من المستعمرات الفينيقية في الشمال صوب الجنوب تعود بالذهب والعاج والعبيد، وذلك خلال العهدين اليوناني والروماني، وأدّى الجرمنت دوراً نشيطاً خلال تلك الفترة، واستمر هذا الاتصال إلى أن جاء الإسلام وامتدّ الفتح الإسلامي ليشمل كافة بلدان المغرب العربي وصحاريه الممتدة من جنوب برقة شرقاً إلى بلاد السوس غرباً، وتظهر لنا كتب الفتوح والبلدان تلك المسالك والطرق الصحراوية وتؤكد أهميتها واستمراريتها[2].

وقد عرفت المنطقة الواقعة جنوب الصحراء ببلاد السودان عند المصنفين العرب الذين سبقوا غيرهم في معرفة أقاليم هذه القارة، وبنوا تقسيماتهم وفق الأقاليم الطبيعية والبشرية، واقتصر مفهوم السوادن في القرن الثالث الهجري على منطقة السودان الأوسط[3]، وفي القرن الرابع الهجري يذكر المسعودي بلاد السودان بأنها المنطقة الواقعة جنوب الصحراء الكبرى من المحيط الهندي إلى بحر الظلمات[4]، كما يحدد المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم في

---

(1) مسعود عبد الله الوزاني (التواصل الإنساني وأثره في وحدة العقيدة بين شمال الصحراء وبلدان السودان الغربي) الدعوة الإسلامية، طرابلس، العدد 13، 1996، ص299 ـ 300.

(2) أحمد الياس (طرق القوافل عبر الصحراء والممالك الإفريقية) ص107.

(3) أحمد اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ج1، طبعة النجف، 1939، ص250.

(4) علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر م 1 ـ 2، بيروت، دار الكتاب، ط1، 1982، ص240.

القرن الرابع الهجري، بلاد السودان بقوله "وأما أرض السودان فإنها تتاخم إقليم المغرب ومصر من قبل الجنوب؛ وهي بلدان مقفرة واسعة وشاقة"[1].

وفي كتاب شمس الدين الأنصاري "نخبة الدّهر في عجائب البر والبحر" في القرن السادس الهجري، يقتصر مفهوم بلاد السودان على بلاد التكرور[2]، ونجد هذا المفهوم يظهر في القرن السابع الهجري أيضاً عند القزويني في كتابه "آثار البلاد وأخبار العباد" حين يذكر "بلاد التبر هي بلاد السودان في جنوب المغرب"[3].

غير أن مفهوم بلاد السودان يعود من جديد ليشمل كل المنطقة الواقعة جنوب الصحراء وهذا ما نجده عند القلقشندي في كتابه صبح الأعشى، فقد حدد بلاد السودان من الغرب بالبحر المحيط، ومن الشرق ببحر القلزم ويفصّل ذلك بدقة متناهية في ست ممالك[4]، وما يهمنا هنا هو تحديده لبلاد البرنو بقوله: "إنها تحد بلاد التكرور من الشرق ثم يكون حدها من الشمال بلاد إفريقية ومن الجنوب بلاد الهمج" وبلاد الكانم بقوله: "وبلادهم بين إفريقية وبرقة ممتدة من الجنوب إلى سمت المغرب الأوسط"[5].

---

(1) محمد بن أبي بكر المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، أبريل 1959، ص331.

(2) كلمة التكرور نسبة إلى مدينة في الطرف الشرقي للسودان الغربي، وتقع على نهر النيجر الذي عرف عند بعض المصنفين بنهر غانة، انظر شمس الدين الأنصاري، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ج2، المكتب التجاري للطباعة والنشر، ص240 - انظر أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1987، ص263، وما بعدها.

(3) زكريا محمد القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، 1960، ص14، وما بعدها.

(4) يفصّل أحمد القلقشندي في القرن التاسع هـ هذه الممالك - في كتابه صبح الأعشى - على النحو التالي: "بلاد البجة جنوب صعيد مصر فيما بين بحر القلزم ونهر النيل - بلاد النوبة على طرفي النيل الجاري - بلاد البرنو وتحد بلاد التكرور من الشرق، ثم يكون حدها من الشمال بلاد إفريقية ومن الجنوب بلاد الهمج - بلاد الكانم وبلادهم بين إفريقية وبرقة الممتدة في الجنوب إلى سمت المغرب الأوسط - بلاد مالي وهي معروفة عند العامة ببلاد التكرور - الحبشة وهي في الشاطيء المقابل لليمن" انظر أحمد القلقشندي، صبح الأعشى ج5، ص263.

(5) المصدر نفسه، ص265.

وبلاد السودان معناها الصحيح بلاد السود ولذلك فقد ارتبط اسم السودان بالمناطق التي يقطنها السود، والمتاخمة لمصر وبلدان المغرب من ناحية الجنوب والتي بالإمكان الوصول إليها، وشهدت بالفعل وصول التيارات الإسلامية منذ وقت مبكر، وقد قسمت من الناحية العلمية في التاريخ الحديث إلى ثلاثة أقسام:

1 ـ السودان الغربي ويشمل حوض نهر السنغال ونهر غامبيا والمجرى الأعلى لنهر فولتا والحوض الأوسط لنهر النيجر.

2 ـ السودان الأوسط ويشمل المنطقة المحيطة ببحيرة (تشاد).

3 ـ السودان الشرقي ويشمل كل ما يقع شرق بلاد السودان الأوسط أو المنطقة المحيطة بوادي النيل جنوب مصر(1).

أما بلاد المغرب فيتّفق أغلب المصنفين على أنها تقع بين بلاد برقه في الشرق إلى سبته وطنجة، إضافة إلى القسم الثاني ويشمل كورة الأندلس، وقسّمه المؤرخون إلى المغرب الأدنى ويضم برقه وطرابلس وإفريقية ويدخل في حيزه جبل نفوسه وكافة المدن الداخلية من الصحراء الليبية، والمغرب الأوسط ويشمل حالياً منطقة الجزائر، وينحصر المغرب الأقصى في المغرب المعروف اليوم بالمملكة المغربية وتتوغل حدوده في الداخل إلى بلاد السوس(2).

واتّضح أن الواحات الليبية المتناثرة في الطرف الشمالي من الصحراء، أدت دوراً مهماً مع بلاد السودان التي تقع في المنطقة المحيطة لبحيرة تشاد وتشمل في الوقت الحالي ثلاث دول إفريقية هي النيجر، وتشاد، ونيجيريا وتضم مجموعات من السكان هي الهاوسا والكانمبو والبرنو، إضافة إلى العديد من القبائل العربية النازحة من الشمال والشرق خلال فترات تاريخية متفاوتة(3).

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية م12، ترجمة محمد ثابت وآخرين، ص328.

(2) أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ص265 ـ انظر أبو القاسم بن حوقل، صورة الأرض دار مكتبة الحياة، بيروت، 1974، ص64.

(3) أمين توفيق الطيبي (كانم برنو بالسودان الأوسط صلات تاريخية وتجارية عريقة بالشمال الأفريقي) البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين، طرابلس، ع2، 1987، ص71.

وهذا النشـاط التجـاري الـذي مارسه التجـار الليبيـون كـانت تغذيـه مـن ناحيـة الشمال موانئ طرابلس وبرقه والمهدية، وبعض المدن الإيطاليـة الأخـرى وصـولاً إلـى قلب القارة الأوربية فضلاً عن الروابط التجارية مع البلاد المصرية التـي أعطـت طريـق أوجله برقه أهمية طوال العصور الوسطى، كمـا أن رحـلات الحـج المتواليـة زادت مـن أهمية المراكز التجارية الليبية، أضف إلى ذلك مـا كـانت تتمتـع بـه هـذه الواحـات مـن منتوجات وصناعات أعطتها الصفة التجارية[1].

والمتتبع للعلاقات بين المراكز التجارية الليبية ومنـاطق مـا وراء الصحـراء يجدهـا قد شهدت ازدهاراً ملحوظاً منـذ القـرن التاسـع الميـلادي، حيـث تشـير كتابـات بعـض المؤرخـين إلـى هـذه العلاقـات، وذلـك بظـهور الدويـلات العربيـة الإسـلامية في بـلاد المغرب، مثل دولة الأغالبة، والدولة الرستمية، التي بسطت نفوذها على جبل نفوسه وتحكمت في الطريق الواصل من الجنـوب إلـى طرابلـس، والقـيروان، وكـانت منطقـة طرابلس وتونـس خـلال تلـك الحقبـة التـي نعنـى بدراستها تتمتـع بالاسـتقرار النسـبي خصوصاً في الدواخل[2].

ومن خلال هذه الحركة القائمة على النشـاط التجـاري بـين المنطقتـين الليبيـة الواقعة في الشمال وبين المناطق المحيطة ببحيرة تشاد، اشتهرت بعض المـدن الواقعـة في طرفي الصحـراء برواج التجارة فيها من خلال وجـود الأسـواق ليتـم فيـها تبـادل البضائع وتزويد الركب بحاجتهم من الماء والمؤن، ففـي الشمال اشـتهرت كـلٌ مـن غدامس، غات، زويله، أوجله، ودان، سرت، مصراته، نهاية طرابلس وبرقه، وفي جنوب الصحـراء اشتهرت كـوار، تكـدّ، زنـدر، كوكـا، بلمـا، وصـولاً إلـى

(1) سلفوتوري بونو (العلاقات التجارية بـين بلـدان المغـرب وإيطاليـا في العصـر الوسـيط) البحـوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين، طرابلس، ع2، 1986، ص314-331.

(2) للمزيد عن وجود هذه العلاقات راجع أحمد سعيد الشماخي، كتاب السير، مخطوط، دار الكتب، القاهرة، ص169، وما بعدها.

كـانو[1]، وما حولـها مـن الإمـارات الهاوسـية بنشـاط لا مثيـل لـه في عمليـة التجارة[2]، ولا يفوتنا أن هذا النشاط التجاري زادت أهميته مـن خـلال التـأثيرات الثقافية والفكرية والاجتماعية التي ظهرت نتائجها في تلك الفـترة بوضـوح بـين طـرفي أقوام الصحراء، وكان التأثير الاجتماعي أكـثر وضوحاً، فضـلاً عمـا كـان للحضـارة العربية الإسلامية من تأثيرات في صياغة التـاريخ الاقتصـادي والاجتمـاعي والسياسـي لبلاد السودان حينما امتزج أقوامها وأعطتهم الصفة الإسلامية الإفريقية.

كما أنه لا يجب أن يهمل الباحث المجتمع الليبي الذي مازال يحمـل العديـد مـن المؤثرات الإفريقية[3]، وبالتـالي فـإن دراسـتنا للمراكـز التجاريـة الليبيـة وعلاقاتـها مـع ممالك السودان الأوسط وأثرها على الحياة الاجتماعية خـلال القرنـين الثـامن والتاسـع الهجريين، الرابع عشر والخامس عشـر الميلاديين، تقـدم صـورة واضحـة لمجمـل هـذه العلاقات في المنطقتين الليبية وبلاد السودان الأوسط، كما يتّضـح لنـا مـن خـلال هـذه الدراسة الطرق التجارية ومسالكها وسير القوافل فيها منذ وقت مبكـر، وطبيعـة تلـك الطرق والدور الذي أدته في ربط الشمال بالجنوب.

ولم يقتصر دور التجـار في نقـل السـلع والبضـائع بـل أسـهموا في نشـر الإسـلام وبثّ تعاليمه وأفكـاره، كمـا أنهـم نقلـوا عاداتـهم وتقـاليدهم وخلّفـوا بعـض المظـاهر

(1) تقع هذه المراكز التجارية حالياً بين ثلاثة دول إفريقية، النيجـر (تكـد، زنـدر، أغـاديس، بلمـا) تشاد (وداي، كوار، الكانم) نيجيريا (كوكا، كانو وما حولها مـن إمـارات الهاوسـا) تم التعـرف علـى أمـاكن وجـود هـذه المراكـز مـن خـلال رحلـة قـام بـها البـاحث إلـى هـذه المنطقــة بتـاريخ 26/ 5/ 1999ف.

(2) أمين توفيق الطيبي (كانم برنو بالسودان الأوسط صلات تاريخية وتجارية عريقـة بالشـمال الإفريقـي)، ص77.

(3) ميكلي كلاين فرانكـه (أبحـاث هـانيريش بـارت في تـاريخ الإسـلام وانتشـار اللغـة العربيـة في إفريقيـة) تاريخ العرب والعالم، ع58، 1983، ص51 ـ 63.

الحضارية التي يمكن أن نتلمسها في الحياة الاجتماعية والفكرية، ولعلها تتمثل في بناء المدن وتأسيسها وفي طرز المعيشة[1].

وكذلك أثرت الحضارة العربية الإسلامية في شعوب بلاد السودان الأوسط من خلال عدد كبير من المراكز التجارية المنتشرة في كل من بلاد السودان والصحراء الليبية، وكانت النواة الأولى في إقامة هذه العلاقات.

(1) فضل كلود الدكو (الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم) مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1998، ص277.

# الفصل الأول

# نشوء المراكز التجارية وأهميتها

1 – الأحوال السياسية في ليبيا وبلاد السودان الأوسط خلال القرنين (الثامن والتاسع الهجريين/الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين).

2 – المراكز التجارية الليبية.

3 – المراكز التجارية في ممالك السودان الأوسط.

# 1 - الأحوال السياسية في ليبيا وبلاد السودان الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين

## 1 - الأحوال السياسية في المراكز التجارية الليبية:

ارتبطت الأوضاع السياسية في (ليبيا) خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين ـ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين بالأحداث والتطورات التي شهدتها منطقة الشمال الإفريقي بصورة عامة والمغرب بصفة خاصة، فقد كانت منطقة الشمال الإفريقي المواجهة للصحراء يتقاسمُها في هذه الفترة العديد من الدويلات[1]، حيث برزت في المغرب الأدنى الدولة الحفصية[2]، ومركزها مدينة تونس وشمل نفوذها منطقة طرابلس، وقد اندلَعَ خلال حكم الحفصيين كثير من الثورات فيها، حيث برهنت على ضعف دولتهم وعدم قدرتها على بسط سيطرتها على مناطق نفوذها طوال تلك الفترة، وظهرت آثارها في تعرّض المدينة للأخطار الخارجية في حين بقيت المناطق الداخلية تحت سيادة زعماء القبائل العربية من النوائل وبني وشاح من بطون دباب ومنها الجواري والمحاميد والمراغمة، وتمتعت العديد من المناطق بالاستقرار كما هو الحال في كلٍ من جبل نفوسة وغدامس ومصراته[3].

---

(1) من هذه الدويلات الحفصيون في تونس وبنو عبد الواد وتمثّلهم الأسرة الزيانية في منطقة تلمسان في المغرب الأوسط، المرنيون في المغرب الأقصى مراكش، وكانت هذه الدويلات في نزاع مستمر خلال تلك الفترة إلى حين قدوم العثمانيّن أوائل القرن العاشر الهجري/ 16م. عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون، 1516 ـ 1911، دمشق، ط1، 1974، ص21.

(2) يعد الحفصيون فرعاً من الدولة الموحدية وهم ينتسبون إلى الشيخ حفص بن يحيى بن عمر الهنتاتي أحد ولاة عبد المؤمن بن علي الموحدي، عبد الرحمن بن خلدون، العبر، المجلد السادس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1959، ص577.

(3) أبو محمد عبد الله بن محمد التيجاني، رحلة التيجاني، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981، ص70، وما بعدها.

أما في غرب الأراضي الليبية فقد ظلت طرابلس تابعة للدولة الحفصية في تونس طوال القرن الثامن وبداية القرن التاسع 708هـ ـ 1307م، غير أن الأمير الحفصي أبا يحيى بن أحمد اللحياني استقل بها هو وورثته من بعده حتى عام 724هـ ـ 1322م.

ومنذ ذلك التاريخ انفصلت طرابلس عن النفوذ الحفصي، ثم استقل بها بنو ثابت[1] بن عمار حتى مطلع القرن التاسع الهجري 803هـ ـ 1399م[2] واستناداً إلى ما ذكره أحمد بك الأنصاري من أن التجار الجنويّين[3] كانوا في سنة 756هـ ـ 1353م قد طمعوا فيها لغناها وضعف تحصينها فتسلقوا أسوارها وقاموا بنهبها، ولذلك دخل بنو ثابت في صراع مع الحفصيين في تونس أواخر القرن الثامن الهجري حتى تمكن الحفصيون من استعادة سيطرتهم على طرابلس سنة 916هـ ـ 1528م، وبالرغم من وجود هذه الأزمات في تلك الفترة إلا أن مدينة طرابلس تمتعت بقدرٍ وافرٍ من الاستقرار[4].

أما منطقة برقه فقد تميزت طوال تلك الفترة بسيادة العنصر العربي من بني سليم وبني هلال، وعاشت في حالة ضعف سياسي وساد فيها العنصر القبلي ومن هذه القبائل قبيلة بني عزاز وأحياء بني جعفر[5]، ثم آلت الزعامة إلى بني عريف بن عمر

(1) ينتمي بنو ثابت إلى قبيلة الجواري الوشاحين القاطنين بإقليم طرابلس في تلك الفترة، وانفردوا بحكم طرابلس في الفترة (730 ـ 803هـ)، للمزيد انظر الطاهر الزاوي، التاريخ العربي في ليبيا، دار الفتح، طرابلس، ط3، ص365 وما بعدها.

(2) عبد اللطيف محمود البرغوتي، تاريخ ليبيا الإسلامي منذ الفتح العربي حتى بداية العصر العثماني، ص365 وما بعدها.

(3) يفصّل الحسن الوزان هذا الحدث بداية القرن العاشر "بأن الجنوي فيليب دوريا دخل مدينة طرابلس 18 ربيع الأول 756هـ وكان يحكمها أمير صغير ثم خرجت هذه الحملة من المدينة 12 شعبان 765هـ وأخذ معه سبعة آلاف سجين وغنيمة كبيرة، وبعد أن أخذ منه غرامة حربية عظيمة شارك فيها أبو عنان المريني 50 ألف دينار ذهبية نقداً» الحسن الوزان، ـ وصف إفريقية ـ محمد حجي وآخرون، دار المغرب الإسلامي، ط2، 1983، ص99.

(4) عبد اللطيف البرغوتي، تاريخ ليبيا الإسلامي، منذ بداية الفتح العربي حتى بداية العصر العثماني، ص366 وما بعدها.

(5) ابن خلدون، العبر، ج6، ص204.

خلال القرن التاسع الهجري[1]، وقد نرى أن ضعف السلطة السياسية في برقه يكون قد أثر سلبياً في استقرارها الاقتصادي، ولكن هذا لا يعني انعدام تجارتها بل إن الطرق والحركة التجارية القائمة فيها ظلت موجودة بل شهدت انتعاشاً في بعض السنوات، كما أن ضعف هذه المنطقة السياسي يعزى إلى وجود العصبية القبلية القادمة حديثاً من شبه الجزيرة العربية، وظلت منطقة سرت خارج نطاق السلطة الحفصية وتمتعت بالاستقرار خلال هذه الفترة، واستطاعت زعامات القبائل فيها أن تحمي نفسها من اندفاع عدد من القبائل ممّا مهد جوّاً مناسباً لحركتها التجارية القائمة[2].

أما منطقة القيروان الممتدة من مدينة زلة وودان وغدامس شمالاً وحتى غات وزويله جنوباً فقد شهدت خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين العديد من المتغيرات (السياسية)، فمنذ بداية القرن السابع بسط ملوك الكانم والزغاوة نفوذهم عليها، وظل الحال على ذلك طوال القرن الثامن الهجري وتحول مركز السلطة في فزان من مدينة زويلة إلى مدينة تراغن ونظراً لبعد سلطة مملكة الكانم المركزية فقد ظل منصب الوالي في تراغن منصباً مستقلاً وحمل صاحبه لقب ماي[3]، ويرى عدد من المؤرخين مثل «أثوري روسي» أن سيطرة كانم على فزان ظلت حتى بداية القرن العاشر الهجري[4].

وفي نهاية القرن الثامن الهجري ـ الرابع عشر الميلادي ـ ظهر حكم الخرمان في فزان وتمكنوا من مساعدة قبائل الطوارق[5] (أوراغن) الذين كانوا يقطنون الهضاب

(1) عبد اللطيف البرغوتي (تاريخ ليبيا الإسلامي) ص464.

(2) محمد الحراري عبد السلام (ليبيا عبر الراحلين المغاربة في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين) وحدة التثقيف والتعبئة والإعلام، طرابلس، ط1، 1997، ص61.

(3) أمين توفيق الطيبي (كانم برنو بالسودان الأوسط صلات تاريخية وتجارية عريقة بالشمال الإفريقي)، ص76.

(4) أتوري روسي (ليبيا من الفتح العربي حتى سنة 1911) ترجمة خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، ط2، 1991م، ص128.

(5) عرف الطوارق بهذا الاسم نسبة إلى طارق بن زياد فاتح الأندلس حين شاركت معه قبيلة من قبائل الصنهاجة في فتح الأندلس ثم استوطنت هذه القبيلة الصحراء المغربية ـ بخاري تانودي تاريخ أهير وأغاديس 64 ـ 866هـ مخطوط ـ مركز الوثائق والمخطوطات للعلوم الإنسانية، جامعة أنيامي، رقم3، ورقة7.

المحيطة بغات من الحفاظ على بعض مقاليد الأمور في فزان مما أضعف من سيطرة الكانميين عليها حتى بداية القرن العاشر الهجري[1]، عندما تمكنت أسرة أولاد محمد فيما بين عامي (957 ـ 985هـ/ 1548 ـ 1556م) من بسط نفوذها على فزان وتحويل عاصمتها من تراغن إلى مرزق[2]، وينبغي أن نشير إلى أن تبعية فزان للكانم بقيت بالفعل حتى مطلع القرن العاشر ويؤيد ذلك ما ذكره الحسن الوزان في تحديده لبلاد البرنو في تلك الفترة بقوله: "برنو إقليم كبير. . . كما يتاخم جنوباً صحراء ساو وشمالاً الفلاوات المتاخمة لبرقه"[3].

## 2 - الأحوال السياسية في بلاد السودان الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين:

بلاد السودان الأوسط هي المنطقة المحيطة ببحيرة تشاد حسب تعريف العديد من المؤرخين المحدثين كما سبق التعريف بها[4]. كما عرفت هذه المنطقة كجزء من بلاد السودان خلال القرن التاسع الهجري[5]، وهناك تقسيم آخر نجده في كتابات عدد من المؤرخين السودانيين أنفسهم الذين كتبوا عن أخبار البلاد السودانية والهاوسية حيث قسمت ثلاثة أقسام عوالي ووسائط وسوافل، فعواليها بلاد آهير وبرنو، ووسائطها الإمارات الهاوسية، وسوافلها بلاد بيابيا[6]. وبلاد السودان الأوسط تشمل حالياً

(1) أبو بكر عثمان القاضي الحضيري، فزان ومراكزها الحضارية عبر العصور، مركز أبحاث شؤون الصحراء، ص47.

(2) أمين توفيق الطيبي (كانم برنو بالسودان الأوسط صلات تاريخية وتجارية عريقة بالشمال الإفريقي)، ص76.

(3) الحسن الوزان، وصف إفريقية، ص145.

(4) دائرة المعارف الإسلامية، ج12، ص328.

(5) للمزيد عن تصنيف ممالك بلاد السودان راجع أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ص363 وما بعدها.

(6) عبد القادر بن المصطفى، أخبار البلاد السودانية والهاوسية، مخطوط بدون تاريخ، مركز المخطوطات للعلوم الإنسانية، جامعة نيامي، ورقة 2.

العوالي منطقة شرق النيجر وشمال تشاد، ووسائطها شمال نيجيريا والجزء الجنوبي من النيجر وسوافلها جنوب نيجيريا والتوجو والكمرون[1].

أما دولة النيجر فتحتوي على بلما وتكدّ وآهير وأغاديس وزندر، ودولة تشاد تضم جزءاً من منطقة كوار ووداي والكانم وبحيرة كوكا (بحيرة تشاد) ودولة نيجيريا منها مدينة البرنو، وكوكا، وإمارات الهاوسا التي تضم مدينة كانوا التي كانت مركزاً تجارياً مهماً، وينبغي الإشارة هنا إلى أن هذه المراكز تحمل نفس الأسماء باستثناء مدينة كوكا التي تعرف باسم مادقري في شمال شرق نيجيريا[2].

وعلى الرغم من قلة المعلومات المتوفرة لدينا حول هذه المناطق نستطيع القول: إن التطورات التي شهدتها كان لها تأثير واضح في حركة التبادل التجاري بين شمال الصحراء وجنوبها، فمنذ بداية القرن الثالث الهجري استوطنت أسرة عربية تنتمي إلى (سيف بن ذي يزن اليمني)[3]، منطقة شمال بحيرة تشاد واستطاعت أن تبسط نفوذها في هذه المنطقة وعرفت بالأسرة الكانمية وهذا يدل على عمق الصلات التاريخية ووصول هجرات عربية إلى هذه المنطقة من خلال المسالك الليبية واستمرت هذه الدولة أن تحكم المنطقة إلى منتصف القرن الثالث عشر الهجري[4].

---

(1) عبد الرحمن عمر الماحي، الدعوة الإسلامية في إفريقية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1989، ص65.

(2) تم التعرف على وجود هذه المراكز من خلال زيارة قام بها الباحث إلى المنطقة بتاريخ 26/ 5/ 1429م.

(3) هذه الأسرة الكانمية تدّعي الانتساب لسيف بن ذي يزن المعروف من سلالة التبع اليمنيين وهو من أهل حمير، وفي الحقيقة الذي أسس هذه الأسرة هو (حماي) (1075 ـ 1080م ـ 472 ـ 477هـ) وهناك مؤشرات على أن أصله مغربي، وربما ادعاء الانتساب إلى سيف بن ذي يزن اليمني جاء نتيجة لإيمان (حماي) وجماعته من صحة نسبهم لحمير ـ ج. ت ـ نياني، تاريخ إفريقية العام، مجلد 4، اليونسكو، ص284.

(4) أمين توفيق الطيبي (الكانم وبرنو بالسودان الأوسط صلات تاريخية وتجارية عريقة بالشمال الإفريقي، ص73).

وتعد مملكة الكانم من أقدم الممالك الإسلامية في بلاد السودان الأوسط والغربي وبلغت أوج عظمتها خلال القرنين السابع والثامن الهجريين[1]، وامتد نفوذها إلى مدينة زلة شمال شرقي فزان استناداً إلى ما ذكره القلقشندي[2].

إن هذا الاتِّساع والنفوذ السياسي الذي بلغته هذه المملكة يمثل الوحدة السياسية لطرفي الصحراء، فالصحراء لم تكن فاصلاً بقدر ما هي اتِّصال حضاري بين شعوبها، كما أن هذه المملكة قامت على أساس محاولات إحكام السيطرة على طرق القوافل التجارية التي تربط الشمال بالجنوب، وبذلك تعد التجارة من أوفر العوامل لحياة أهل الكانم.

ففي نهاية القرن الثامن الهجري تعرضت هذه المملكة إلى هجمات قبائل الشواء[3] العربية وأسفر ذلك عن مصرع أربعة من سلاطين الكانم مما أدى في نهاية الأمر إلى نزوح السلطان عمر بن إدريس إلى إنجيمي في إقليم البرنو سنة 788هـ - 1387م وأقام البلالة[4] والشواء دولة في كانم، غير أن السيفيين في برنو لم يستسلموا وقام بين المملكتين البرنو والكانم صراع مرير أسفر في نهاية الأمر عن عودة الكانميين لمركز حكمهم الأول على يد السلطان علي غازي بن دونما في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري[5].

---

(1) ميكس كلاين فرانكه (أبحاث هانير ش باريت في تاريخ الإسلام وانتشار اللغة العربية في إفريقية)، ص27.

(2) أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ص9.

(3) كلمة الشواء كلمة شهيرة تطلق على عرب الحساونة القادمين من ليبيا في تلك الفترة وأطلق عليهم الكناري عند قدومهم بخيل رقاق وقوية - مقابلة شفهية أجراها الباحث في مدينة نيامي مع الأخ حدود السنوسي بن علي - ليبي الأصل بتاريخ 29/ 3/ 1429، للمزيد راجع إبراهيم علي طرخان، امبراطورية البرنو الإسلامية، الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968، ص167.

(4) البولالا أو البلالا هي العناصر التي تمت عن مصاهرة الشواء Shawa أو عن المصاهرة التي تمت بين طوراق جيلا وفزان - إبراهيم علي طرخان، امبراطورية البرنو الإسلامية، مرجع سابق، ص165.

(5) أحمد شلبي، موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية، ج6، النهضة العربية، القاهرة، ط1، 1972، ص292.

كما شهدت هذه الفترة وصول قبائل (بني هلال) [1]، إلى هذه المنطقة عبر الأراضي الليبية واستقرارها ومساندتها للقبائل العربية السابقة هناك، وسادت في السودان الغربي إمبراطوريتان كان لهما أثرهما في سير الأحداث، الإمبراطورية الأولى هي مالي على يد أهالي المادنجو (633 ـ 896هـ/ 1234 ـ 1595م) ودولة سنغي (896 ـ 995هـ/ 1595 ـ 1715م) حيث شمل نفوذهما غرب مملكتي البرنو والكانم وإمارات الهاوسا وبسطتا نفوذهما على بعض الإمارات الهاوسية ومنطقة شمال النيجر في بعض الفترات[2].

أما عن منطقة زغاوة ووداي فقد كانت طوال تلك الفترة واقعة تحت النفوذ الكانمي، غير أنه خلال القرن التاسع الهجري استطاعت البرنو بفضل مساعدة القبائل الشاوية القاطنة في منطقة وداي[3]، أن تعود من جديد للكانم حتى أن السودانيين عرفوا لدى أهل فزان باسم الزغاويين[4]، وظلت إمارات الهاوسا السبع، (كاتسينا ـ زكزك ـ زنفري ـ كانوا ـ وانكرة ـ جوبير ـ سوكتو ـ أد ورو) تتمتع بالاستقلال معظم تلك الفترة دون أن تقوم فيها أية مملكة متحدة، وكانت هذه الإمارات أو الممالك في حالة صراع فيما بينها، ففي أواخر القرن التاسع الهجري وفي عهد الأسكيا الكبير ملك تنبكت دولة سنغاي (896 ـ 932هـ/ 1531 ـ 1595م) استطاعت مملكة كانو أن تُخْضِعَ لسلطتها ملك زكزك وملك كاتسينا مما دفع بأسكيا الكبير أن يتظاهر بنجدة

(1) تنتمي قبائل بني هلال إلى مضر ثم تحولوا إلى الحجاز وانتجعوا فيها، واستخدمهم المعز لدين الله الفاطمي في رد خطر القرامطة ثم أنزلهم في العدوة الشرقية من النيل ولتجنب خطرهم والقضاء على ملك المغرب بلكين الصنهاجي شجعهم للرحيل لإفريقية، للمزيد، راجع ـ عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص27 وما بعدها.

(2) إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية البرنو الإسلامية، الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968م، ص211 وما بعدها.

(3) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، دار الكتاب العالمي، بيروت، 1991، ط1، ص412.

(4) أبو بكر عثمان الحضيري، فزان ومركزها عبر العصور، ص92، وما بعدها.

هذين الملكين وأمر بقتلهما خدعة وحاصر كانوا، ولكن هذه الأخيرة لم تخضع لسلطة سنغاي الفعلية واكتفى ملك سنغاي باستيفاء حقه من الضرائب[1].

بعد تتبعنا للأحوال السياسية التي مرت بها البلاد الليبية وبلاد السودان الأوسط طوال القرنين الثامن والتاسع الهجريين نجد أن المراكز التجارية الليبية قد شهدت في تلك الفترة اتِّصالاً مباشراً مع بلاد الكانم وذلك لحرص هؤلاء الآخرين على تأمين طرق تجاراتهم، كما أنهم حرصوا على إقامة علاقات جيدة مع الحفصيين، أما بقية المراكز في كلتا المنطقتين فقد شهدت استقراراً جزئياً بالرغم من وجود بعض الثورات بين فترة وأخرى.

(1) الحسن الوزان، وصف إفريقية، ص371 ـ 471.

## 2 – المراكز التجارية الليبية

المراكز التجارية الليبية السودانية هي أشبه بمحطات تقوم عليها الطرق التجارية الواصلة بين البلدين في حدها الأدنى، وبين بلاد المشرق وبلاد المغرب في حدودها القصوى، وتتجلى أهميتها في الإسهام بتجارة الصحراء وتنشيطها وتعميق العلاقات الإفريقية والتواصل عبر الصحراء.

انتشرت هذه المراكز في الأراضي الليبية الصحراوية والساحلية مكمّلاً بعضها بعضاً بغية الوصول إلى قلب القارة الإفريقية (بلاد السودان الأوسط) ومن هذه المراكز:

**1 – طرابلس[1]:**

وهي مركز تجاري رئيسي نشطت فيه الأعمال التجارية خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، وهي إحدى المدن الثلاث التي أسسها الفينيقيون (صبراته وأويا ولبتس) في القرون الأخيرة لما قبل ميلاد المسيح، ولم يظهر هذا الاسم إلا على يد الكُتّاب الرومان الذين عاشوا في القرن الرابع الميلادي[2]، وقد ذكرها اليعقوبي في القرن الثالث الهجري بقوله: "طرابلس مدينة قديمة جليلة على ساحل البحر عامرة آهلة؛ أهلها أخلاط من الناس، وافتتحها عمرو بن العاص سنة 24هـ في خلافة عمر بن الخطاب[3]، ووصفها التيجاني في رحلته في القرن الثامن الهجري بشدة بياضها بقوله: "ولما توجهنا إلى طرابلس وأشرفنا عليها كاد بياضها مع شعاع الشمس يغشي الأبصار"[4].

---

(1) (مدينة طرابلس هي مدينة أويا "الفينيقية" وسميت بهذا الاسم لما أطلقه الفينيقيون على إقليم المدن الثلاثة (لبدة، أويا، ثبراته)، Three Poles. دائرة المعارف الإسلامية، ج15، ص106.

(2) المرجع نفسه، ص106 وما بعدها.

(3) اليعقوبي، البلدان، ص103.

(4) أبو محمد عبد الله التيجاني، رحلة التيجاني، ص237.

وذكرها أحمد القلقشندي في القرن التاسع بما معناه بأنها مدينة واقعة في الإقليم الثالث وأن مركزها مهم للمسافرين شرقاً، ووصفها بالاتساع والخصب، وواضح من معرض حديثه أن هذه المدينة تحوي العديد من الأسواق وتتميز بالخصب الكثير، ويُفهم من خلال ما أورده القلقشندي عن مدينة طرابلس بأنها تحوي العديد من المراسي مما يدل على استقرارها في تلك الفترة وقوة نشاطها الاقتصادي[1]، لذلك يمكن القول بأهمية مدينة طرابلس في مجال التبادل التجاري ولوقوعها على ساحل البحر المتوسط فهي ملتقى للتجارة الواصلة بين أوربا وإفريقية، فالبضائع القادمة من أوربا يتم استبدالها مع البضائع القادمة من السودان الأوسط والغربي مستكملةً ذلك الدور الذي تؤديه بقية المراكز التجارية المنتشرة في دواخل الأراضي الليبية، كما أن هذه المدينة تعد محطة للتجار والحجاج القادمين من المغرب والمتجهين إلى مصر ثم إلى الحجاز[2]. أما في مجال الصناعة فقد اشتهرت بصناعة النسيج وتعد منسوجاتها من أهم المنسوجات الصادرة إلى مختلف البلدان[3].

ونتيجة للأهمية الإستراتيجيّة والتجارية التي تتمتع بها طرابلس وما فيها من الرخاء والغنى؛ فإن التجار الإيطاليين كانوا يغيرون عليها بسفنهم بين الحين والآخر محققين غنائم وافرة كما حدث سنة (756هـ/ 1353م) عند غزوها وما لبثوا أن غادروها بعد خمسة أيام من احتلالها[4].

**مصراته:**

من المراكز التجارية المهمة، حيث يقدم لنا الحسن الوزان صورةً واضحةً عن هذه المدينة ويصفها بأنها إقليم على شاطئ البحر المتوسط يشتمل على عدة قصور في

(1) أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ص100.

(2) علي الميلودي عمورة، طرابلس المدينة ومعمارها الإسلامي، دار الفرجاني، طرابلس، 1943م، ص293.

(3) الحسن الوزان، وصف إفريقية، ص97.

(4) محمد بن محمد الأندلسي (الحلل السندسية في الأخبار التونسية) تحقيق محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر، تونس 1976، ص1061.

الجبل وفي السهل، ويفهم من شرحه أن كلمة مصراته لم تكن تعني المدينة نفسها كما هي اليوم بل إنها كورة واسعة. وهذا يدل على أن أهالي المدينة يحترفون التجارة والزراعة معاً، ومن خلال تحدثه عن المدينة يصفهم بالغنى لأنهم يتعاطون التجارة ويحدد ذلك بقوله: "ويأخذون البضائع التي تحملها إلى بلادهم سفن البندقية ويحملونها إلى نوميديا حيث يستبدلونها بالرقيق وقطط الزباد، والمسك الوارد من أثيوبيا والسودان، ثم يحملون كل ذلك إلى تركيا محققين هكذا أرباحاً من رحلة الذهاب ورحلة الإياب"[1] ويستدل من ذلك أن التجار في مصراته كانوا يمارسون مهمة الوساطة التجارية بين دواخل الأراضي الليبية وبلاد السودان الأوسط.

وفي بداية القرن الثامن الهجري يزودّنا ابن خلدون بمعلومات عن هذا المركز التجاري حيث يذكر: "ومن هوارة هؤلاء بآخر عمل طرابلس مما يلي سرت وبرقة قبيلة يعرفون بمسراته، لهم كثرة واعتزاز. . . وكثيراً ما ينتقلون في سبيل التجارة ببلاد الاسكندرية ومصر وبلاد الجريد بإفريقية وبأرض السودان إلى هذا العهد"[2].

كما يزودّنا القلقشندي في الربع الأول من القرن التاسع الهجري بأن هذه المدينة كانت تصدر تجاراتها عن طريق مرسى قصر أحمد[3]، ويعرّف بهذا المركز التجاري بقوله: "أهلها يجلبون الخيل إلى الإسكندرية ومنها يركب المسافر البريّة إلى الشرق"[4].

**سرت:**

تتوسط سرت الطريق الواصلة بين طرابلس وبرقة، وتشكل أهميةً كبيرةً لسير القوافل التجارية، وإقليم سرت يمتد إلى إقليم مصراته ويتميز هذا المركز التجاري

---

(1) الحسن الوزان، وصف إفريقية، ص111.

(2) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ص290.

(3) قصر أحمد هو المرسى أو الميناء في مصراته ومازال هذا الميناء يمارس نشاطه إلى الوقت الحالي.

(4) أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص100.

خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين باستقرار القبائل العربية من بني هلال وبني سليم حديثاً في هذه المنطقة[1].

وفي مدينة سرت كانت تزود القوافل القادمة من السودان إلى برقة بالماء والمؤن، كما يعد هذا المركز التجاري أحد المراكز التجارية الواصلة عبر ساحل البحر المتوسط بين مركزي طرابلس وبرقه[2].

**أجدابيا:**

وردت مدينة أجدابيا كمركز تجاري له أهمية مع بلاد السودان منذ فترة مبكرة في العديد من المصادر العربية، حيث يذكرها ابن حوقل وهو من القرن الرابع الهجري "بأنها مركزٌ للقوافل الصادرة والواردة من بلاد السودان وعليها ترد المراكب بالمتاع والتجارة الرائجة فيها الأكسية"[3].

وفي القرن السادس الهجري نقرأ عن الإدريسي في كتابه «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» أن أغلب أهالي أجدابيا يحترفون التجارة، وأن هذه المدينة تقع في الطريق بين أوجله وبرقه[4]. وفي القرن التاسع الهجري توصف مدينة أجدابيا بأنها آخر ديار لواثة وتبعد عن البحر بمسافة أربعة أميال وبأنها حافلة الأسواق ويقصدها العديد من التجار[5].

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المدينة كانت تتميز بكونها ملتقى للقوافل التجارية القادمة من بلاد السودان عن طريق أوجلة نحو برقه ومصر.

---

(1) محمد الحراري، ليبيا عبر الراحلين المغاربة، ص63.

(2) الحسن الوزان، وصف إفريقية، ص155.

(3) ابن حوقل، صورة الأرض، ص69.

(4) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة العربية، بورسعيد، مصر، ص311.

(5) محمد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1985، ص11، 12.

**برقة[1]:**

تعد برقه من المراكز التجارية الليبية المهمة التي تتميز بنشاطها التجاري، حيث أنها أول مدينة تصلها القوافل التجارية القادمة من مصر، وتتميز هذه المدينة بإنتاج مادة القطران الجيد، كما تشتهر بالعديد من السلع التجارية الواردة لها من مصر وأوجله الواقعة في طريق السودان[2]، وتتحمل هذه المدينة عبء النشاط التجاري سواء كانت القوافل القادمة من بلاد السودان عن طريق أوجله أو التجار القادمين من طرابلس عبر الطريق الساحلي مما يزيد في أهمية هذه المدينة[3]، وعلى بعد بضعة أميال من الناحية الشمالية يوجد مرسى للمراكب يتجهز منه الركب إلى مختلف الأقطار[4].

**أوجلة:**

تميزت هذه المدينة منذ فترة مبكرة باعتبارها الطريق إلى بلاد السودان، وقد وردت في معظم كتابات المؤرخين حين يذكرونها بأنها عملٌ تابعٌ لبرقه[5].

كما عرفت هذه المدينة بكثرة إنتاج التمور وجودتها ووفرتها، ولا تخلو المصادر العربية من الإشارة إلى أنها تقع على الطريق إلى وادن ومن ثم السودان[6]،

(1) من المؤكد أن مدينة برقه التي أطلقها العرب على منطقة برقه المعروفة في ذلك الوقت، قد بنيت على أطلالها مدينة المرج المعروفة اليوم في الجبل الأخضر، للمزيد، راجع:
أحمد اليعقوبي، كتاب البلدان، ص100، دائرة المعارف الإسلامية، ج15، ص557.
أبو الحسن بن سعيد، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ص146.
حيث نجد نصاً صريحاً في ذلك، "وفي الشرق مدينة برقه التي كانت قاعدة البلاد الشرقية، فَخَربها العرب ويقال لها اليوم مدينة المرج".

(2) أبو القاسم بن حوقل، صورة الأرض، ص69.

(3) أبو بكر محمد الهمداني، مختصر كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1988، ص77.

(4) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص310.

(5) أحمد اليعقوبي، البلدان، ص102.

(6) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، ص36.

حيث يحدثنا الإدريسي في القرن السادس الهجري عن هذا المركز بقوله: "ومدينة أوجله مدينة صغيرة متحضرة بها قوم ساكنون كثيرو التجارة وذلك على قدر احتياجهم واحتياج العرب، وهي في ناحية البرية يحفُّ بها نخلٌ وغلاتٌ لأهلها، ومنها يدخل كثير من أرض السودان نحو بلاد كوار، وبلاد كوكو، وهي في رصيف طريق، والوارد والصادر كثير"[1].

وفي القرن الثامن الهجري يصف أبو الفداء في كتابه «تقويم البلدان» مدينة أوجله بقوله: "إنها الطريق إلى بلاد السودان"[2]، ويصفها أنَّها بلدة قريبة الوصف من سنترية كما يبين الحميري في القرن التاسع الهجري أن مدينة أوجله هي المدخل إلى بلاد السودان[3].

**ودان:**

تعد هذه المدينة مركزاً تجارياً مباشراً للدخول إلى بلاد السودان، كما أَنَّها تتوسط جميع المحطات التجارية المنتشرة في مختلف الأراضي الليبية، وهذا الموقع جعلها على مقربة من فزان القريبة من السودان، ومن هذه المدينة أمكن السير للتجار إلى طرابلس أو إلى زلة ومنها إلى أوجلة، وكانت هذه المدينة في القرون الإسلامية الأولى يسكنها قوم من مزاتة[4] - إحدى القبائل الليبية التي استوطنت منطقة الحمادة الحمراء منذ وقت مبكر - غير أنه خلال القرون الأخيرة وبعد وصول القبائل العربية واستقرارها في المدن الليبية قطن هذه المدينة قبائل العرب الحضرميون والسهميون، وتؤكد المصادر المتقدمة دور هذه المدينة وأهميتها في الحركة التجارية المتجهة إلى بلاد السودان الأوسط وبالعكس، وتجدر الإشارة أن مدينة ودان مع بقية

(1) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص312.

(2) عماد الدين أبو الفداء، تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ص139.

(3) محمد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص139.

(4) أحمد اليعقوبي، البلدان، ص102.

إقليم فزان ظلت تحت سلطة ملك الكانم طوال القرنين الثامن والتاسع الهجريين[1]، واشتهرت هذه المدينة بكثرة تمرها وجودته[2].

**غدامس:**

يشتهر هذا المركز التجاري بكونه ملتقى للعديد من الطرق التجارية؛ حيث تصله القوافل التجارية قادمة من أربعة اتجاهات عبر مفازات الصحراء الكبرى، فطريق توات تصل غدامس مع السودان الغربي في الاتِّجاه الغربي، وطريق غات في الاتِّجاه الجنوبي تصل غدامس كوار مع بلاد السودان الأوسط، وطريق غدامس طرابلس وحتى برقه من خلال الطريق الساحلي، وتتَّصل غدامس في الاتِّجاه الرابع مع بلاد إفريقية عن طريق القيروان.

ويحدثنا القزويني عن هذا المركز التجاري المهم بقوله: "غدامس مدينة بالمغرب جنوبية ضاربة في بلاد السودان تجلَبُ منها الجلود الغدامسية[3]"، تجمع المصادر[4] على أن هذه المدينة تتميز عن غيرها بأنها المفتاح لبلاد السودان، تشتهر بصناعة الجلود القادمة إليها من بلاد السودان كما تشتهر بالتمور والكمأة[5] التي لا مثيل لها، وكان اعتماد أهلها على الزراعة عن طريق عين أزلية[6]، يقسمها أهلها قسمة معلومة.

---

(1) للمزيد انظر أبا عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مصدر سابق، ص11، وانظر الإدريسي، نزهة المشتاق، مصدر سابق، ص311.

(2) عماد الدين أبو الفداء، تقويم البلدان، ص137.

(3) زكريا محمد القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص57.

(4) للمزيد راجع، عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص424، مجهول، الاستبصار في غرائب وعجائب الأسفار، نشر وتعليق سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص145، عماد الدين أبو الفداء، تقويم البلدان، ص149.

(5) الكمأة المعروفة عند العامة بالترفاس ومازال نباته منتشراً في هذه المنطقة عند سقوط الأمطار في مواسم مبكرة.

(6) تعرف حالياً هذه العين باسم عين الفرس وهي تتوسط مدينة غدامس القديمة، وإلى سنة 1973 كان أهالي غدامس يعتمدون عليها في الزراعة، أما الآن فهي شبه جافة تماماً ـ والماء يقسم فيها بالتساوي على حسب حصة كل عائلة من خلال ست سواق ـ من مشاهدات الباحث بتاريخ 15 التمور 1999م.

وينبغي أن نشير إلى أن تجار غدامس كانوا يمارسون أعمالهم التجارية وصولاً إلى شواطئ البحر المتوسط، ومن المرجح أن النشاط التجاري قد تركّز خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين على الموانئ التونسية نتيجة استقرار الأقاليم التونسية في عهد الحفصيين[1].

**زويلة:**

وردت زويلة كمركز تجاري منذ مطلع القرن الرابع 306هـ حينما استوطنتها أسرة بنو خطاب القادمة من الشمال، وقد فُتحَت هذه المدينة في عهد عقبة بن نافع وقائده عمرو بن العاص، وتعد زويلة من أقدم المدن التجارية والسياسية في منطقة فزان، فمن ناحية سياسية تعد قصبة إقليم فزان إلى نهاية القرن السابع الهجري[2]، أما من الناحية التجارية فقد ظلت هذه المدينة مركزاً تجارياً مهماً وطريقاً لمرور تجارة الكانم إلى طرابلس وبرقه، واشتهرت هذه المدينة بتجارة المنسوجات والرقيق، كما تعد محطةً للتجارة السودانية ومنها تتفرق القوافل التجارية إلى جميع اتجاهات الشمال الإفريقي[3].

ونظراً لما تميَّز به إقليم فزان من أهمية تجارية فقد ربطت زويلة بين موانئ البحر المتوسط من ناحية والسودان الأوسط والغربي من ناحية أخرى، كما نجد هذا الإقليم وقع تحت السيطرة الكانمية ابتداء من القرن السابع الهجري[4]، ونقرأ عن أبي الفداء أن مدينة زويلة كانت في نهاية القرن الثامن الهجري قاعدة إقليم فزان وإنها تحت حكم السودان[5].

---

(1) محمد عثمان الحشائشي، الرحلة الصحراوية، تعليق محمد المرزقي، الدار التونسية للنشر 1988، ص171.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، ج10، ص466.

(3) أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص11.

(4) أبو الحسن علي بن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص129.

(5) عماد الدين أبو الفداء، تقويم البلدان، ص149.

ولعل من المفيد القول : إن هذه المراكز التجارية استمدت شهرتها من خلال ما كان يفرضه حكام المناطق من ضرائب على القوافل المارة ، كما أدى هذا العامل بدوره إلى ظهور العديد من المدن في منطقة فزان ومنها زويلة وتراغن ومرزق في تلك الفترة ، حيث نستفيد من ممَّا ذكره الحميري في كتابه «الروض المعطار في خبر الأقطار» عن مدينة زويلة نهاية القرن التاسع الهجري ، إن هذه المدينة عامرة وبها جملة من الأسواق ومنها يدخل المسافر إلى بلاد السودان وتشتهر بكثرة تمورها ، ولم ينته دور مدينة زويلة من الناحية التجارية بانتهاء السلطة فيها وانتقالها إلى تراغن ثم إلى مرزق في القرون الإسلامية الأخيرة ، وبهذا ظلت هذه المدينة المركز التجاري المهم الذي تنتقل منه القوافل التجارية إلى بلاد السودان ، وذلك لوقوع هذه المدينة في الطرف الجنوبي لمنطقة فزان[1] .

**تراغن ومرزق:**

تراغن هي من المراكز التجارية التي ذكرت المصادر أن فيها محطَّةً للمكوس والتعشير فضلاً عن أنها منتجعٌ للتجار ودار للاستراحة وخصوصاً في عهد السيطرة الكانمية على إقليم فزان[2] .

أما مدينة مرزق فقد أُسِّست سنة 609 ـ 1310م وهي تقع جنوب غرب مدينة تراغن[3] ، وتعد هذه المدينة من المراكز التجارية المهمة التي ربطت بين الشمال والجنوب ، وأدت دورها في إنعاش حركة القوافل التجارية القادمة من غدامس وطرابلس ومصر إلى بلاد الكانم والبرنو والهاوسا ، وفي هذه المدينة يتم تبادل البضائع

---

(1) عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، مصدر سابق ، ص595 .

(2) أمين توفيق الطيبي (كانم برنو بالسودان الأوسط صلات تاريخية وتجارية عريقة بالشمال الإفريقي) ، ص76 .

(3) أحمد فتوح عابدين ، الحواضر الإسلامية في غرب إفريقية في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ، ص386 وما بعدها .

السودانية مع بضائع طرابلس وغدامس، وظلت هذه المدينة حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي هي مركز السلطة في ولاية فزان[1].

وفي إقليم فزان ظهر في تلك الفترة العديد من المدن التي ذكرتها المصادر ولها أهمية، ومنها زلة ومدينة سبها حيث يذكرها أبو عبيد البكري منذ القرن الخامس الهجري بقوله: "مدينة كبيرة بها جامع وأسواق"[2].

**جبل نفوسة:**

(الجبل الغربي) يقع هذا الجبل إلى الداخل من مدينة طرابلس بنحو ثلاث مراحل كما وصفته المصادر القديمة، ويمتد من الشرق إلى الغرب إلى جبل دمر في جنوب المغرب، وظهرت في هذا الجبل مدينتان كان لهما الأثر الكبير في التاريخ الإسلامي وهما مدينتا شروس[3]، وجادو وتم فتح هذا الجبل على يد عمرو بن العاص سنة 24 هجرية/ 644م[4].

أما جادو فهي المدينة التي أدت دوراً كبيراً في عملية التواصل التجاري مع بلاد السودان ويتفرع منها الطريق إلى فزان ومنها إلى غدامس القادمة من طرابلس، ويمدنا الشماخي بما يفيد أن التجار كانوا يظهرون للقاء التكرور في الفحص لاستبدال بضائعهم وهذا يدل على صعوبة موقع مدينة شروس داخل الجبل[5].

---

(1) للمزيد راجع: محمد بن عمر التونسي، تشحيذ الأذهان ج1، مخطوط، جامعة الرياض، ص68 وما بعدها.

(2) أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، ص11.

(3) شروس أوسرس ـ تقع أطلال هذه المدينة في الوقت الحالي عند أعالي وادي سروس المعروف حالياً بهذا الاسم حيث يفصل بين قريتي تندميرة ومرقس بمنطقة الحرابة ـ وقد زار الباحث خرائب هذه المدينة التي تدل على اتساعها وقوة تحصينها.

(4) أبو عبيد البكري، المغرب في إفريقية والمغرب، ص10.

(5) أحمد سعيد الشماخي، السير، ج1، سلطنة عمان، 1987، ص232.

**بلاد الواحات:**

وهي بلاد كبيرة في الصحراء ما بين إفريقية وبلاد مصر، تقع في صحراء برقه ومنها الواحات الداخلة والخارجة، وتتفق المصادر على أن الواحات الداخلة هي المعروفة اليوم بمنطقة الكفرة كما تحوي واحة تيبستي، وتشتهر بالتمور وهي الطريق إلى الوادي في شرق تشاد حالياً ـ كما أنها الطريق إلى بلاد النوبة[1].

**غات:**

تقع مدينة غات في جنوب غرب الأراضي الليبية وهي عاصمة سلطنة أزقر التارقية قديماً وهي محطةُ القوافل التجارية القادمة من غدامس لتصل إلى السودان الأوسط والغربي، واكتسبت مدينة غات أهميتها التجارية حيث تعد المحطة الأولى التي يستريح فيها التجار القادمون من بلاد السودان، ويمكن الذهاب منها إلى فزان وإلى غدامس كما أنها تربط طريق توات بالسودان الغربي[2].

(1) عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص600، مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص147 ـ 148.

(2) محمد سعيد القشاط، صحراء العرب الكبرى، دار الرواد، طرابلس، ط1، 1994، ص29.

## 3 - المراكز التجارية في ممالك السودان الأوسط

في الطرف الجنوبي من الصحراء والمقابل للمراكز التجارية الليبية برزت العديد من المراكز التجارية في ممالك السودان الأوسط (مملكة الكانم والبرنو، ممالك الهاوسا) ونذكر من هذه المراكز (تكدّ، أغاديس، زندر، الكانم، برنو، كوكا، زغاوة وكانو وما حولها من ممالك الهاوسا) وجميعها ارتبطت بصلات تجارية وثيقة مع التجار الليبيين عن طريق القوافل التجارية التي سارت منذ أقدم العصور عبر مسالك مازالت شواهدها باقية إلى الوقت الحالي، وأسهمت في نمو التواصل التجاري مع الشمال الإفريقي بصورة عامة والمراكز التجارية الليبية بصفة خاصة[1].

ولابد لنا أن نوضح المحطات التجارية في ممالك السودان الأوسط المتصلة مع الشمال الإفريقي، والمدن الليبية التي كان لها دور مهم في النشاط التجاري من خلال ثلاث مناطق، تؤكد إشارات المصادر إلى أهميتها وخصوصاً في الحقبة التي يتضمنها القرن الثامن الهجري وهي ثلاث مناطق:

**أ - المراكز التجارية في منطقة آهير[2]:**

**1 - تكدّ[3]:**

تعد مدينة تكدّ من أهم المراكز الواقعة خلف الصحراء في الطريق الشرقي لبلاد الهاوسا، حيث إنَّ هذه المدينة ملتقى لطرق القوافل القادمة من السودان الغربي نحو فزان، والقوافل التجارية الواصلة من السودان الأوسط إلى توات، وعبر هذه المدينة

(1) محمد عثمان فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، القاهرة، ط1، 1964، ص23 وما بعدها.

(2) آهير والآير بلاد واسعة وقيعان ممتدة يعمرها الطوارق وبقايا السودان، وكان هذا الإقليم من قبل في يد السودانيين من أهل غوبر فاستولى عليها الطوارق قبائل خمسة وافوا من الأوجل يقال لهم امكيتا - تمكك - سندار - أكدلا - أجدارنين فتغلبوا على البلد فيها - محمد عثمان فودي، إنفاق الميسور، ص39.

(3) تقع هذه المدينة الصغيرة حالياً في شمال النيجر، وعلى بعد سبعين كيلو متراً شمال أغاديس وتسمى تكدّ تيسم منطقة الملح، تكد أدغق منطقة الحجر وهذه الأسماء أطلقها الطوارق على هذا المركز التجاري.

يستطيع المسافر أن يذهب في كافة الاتجاهات السابقة الذكر، ويؤكد ابن بطوطة وهو من القرن الثامن الهجري ـ الرابع عشر الميلادي أهمية هذه المدينة التجارية في رحلته لبلاد السودان؛ حين رافق قافلة تجارية يقودها تجار غدامس فيقول: "ولا شغل لأهل تكدّ غير التجارة يسافرون كل عام إلى مصر ويجلبون ما بها من حسان الثياب وسواها، ولأهلها رفاهية وسعة حال"[1]، وتشتهر هذه المدينة بمعدن النحاس، وكان أهالي هذه المدينة على دراية كبيرة بسبكه، ونتيجة لوقوع هذه المدينة في الطرف الجنوبي للصحراء فإنها من الناحية الطبيعية منطقة شبه صحراوية تنعدم فيها الزراعة[2].

**2- أغاديس:**

أُسِّسَ هذا المركز التجاري في سنة 564 على يد محمد بن أحمد بن عمر من الطوارق، ويعد هذا الزعيم عربي الأصل[3]، وتقع هذه المدينة في منطقة آهير، وكانت مثوى للعلماء والتجار القادمين من شمال إفريقية، وفيها كان يتم استبدال البضائع الواصلة من الشمال مع البضائع الواصلة من بلاد البرنو والهاوسا، وسيطر عليها الطوارق منذ بداية تأسيسها[4]، كما يحدثنا الحسن الوازن في كتابه «وصف إفريقية» في بداية القرن العاشر الهجري بقوله "إن أكثر سكان هذه المدينة من الأجانب ويشتغلون بحرفة التجارة باستثناء أهالي البلاد الأصليين الذي يمتهنون حرفة الصناعة والباقي من السكان يشتغلون كجنود للأسرة الحاكمة"[5].

---

(1) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، دار الكتاب العالمي، بيروت، ط1، 1991م، ص305.

(2) محمد أنور توفيق، دولة سنغاي الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1989م، ص67.

(3) بخاري تانودي، تاريخ آهير وأغاديس، 64ـ866هـ، مخطوطة ورقة 3ـ4.

(4) بخاري تانودي، مصباح الظلام في وفيات القرن الثالث عشر والرابع عشر، مخطوط، مركز الوثائق والمخطوطات للعلوم الإنسانية، جامعة نيامي، بدون تاريخ، رقم 58، ورقة 10.

(5) الحسن الوزان، وصف إفريقية، ص172.

وتقع أغاديس في شمال النيجر ومازال يسكنها العديد من الليبيين وتشتهر هذه المدينة بكونها مركزاً تجارياً وعلمياً مهماً، ومنها تنطلق القوافل التجارية المحمَّلة بالبضائع تجاه غات وفزان، وتقع مدينة أغاديس[1] في منطقة غنية بالمراعي لذلك كانت لها أهميتها من حيث تزويد القوافل بالإبل[2].

ومن المراكز التجارية في منطقة آهير مدينة زندر، وتتميز هذه المدينة بكونها تقع في الطريق الواصل إلى برنو وبلاد الهاوسا، كما تتميز هذه المدينة برواج التجارة فيها مما جعل عدداً من الليبيين الذين مارسوا التجارة يفضلون الاستيطان فيها.

3- **كوار:**

تقع مدينة كوار الآن في الشمال الغربي لجمهورية تشاد، وقاعدتها مدينة كوار، وابتداء من القرن السادس الهجري كانت ضمن الأقاليم التابعة لإمبراطورية الكانم وهم من السودانيين المسلمين، وتعد قصبة كوار كما يصفها الإدريسي بأنها من المحطات التي ينعم فيها التجار القادمون من فزان بالراحة بعد عناء كبير في الصحراء وتتجهَّز منها القوافل التجارية إلى بلاد الكانم ثم إلى ممالك الهاوسا[3]، وقد ذكر أبو زكريا القزويني في كتابه «آثار البلاد وأخبار العباد» "أن عقبة بن نافع قد فتحها ووصلت جيوش المسلمين إليها"، وذكر "بأنها ناحية واسعة في جنوب فزان، وبأنها تحتوي على نخل كثير[4]".

(1) قام الباحث بزيارة لهذه المدينة في صيف 1999م واطّلع على معالمها الأثرية.

(2) نقولا زيادة (الطرق التجارية في العصور الوسطى)، تاريخ العرب والعالم، عدد 59، 1983، ص11.

(3) أبو عبد الله الإدريسي، نزهة المشتاق، ص117.

(4) زكريا محمد القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص59.

## ب - المراكز التجارية في ممالك الكانم والبرنو:

### زغاوة[1]:

عرف هذا المركز التجاري بمملكة زغاوة[2]، وهي بلاد واسعة وسكانها قبيلة من السودان وهم فرع من قبائل التيبو العربية وبعض الزنج، وكانوا قد انحدروا في الأصل من الأراضي الليبية، إلا أن هناك من المؤرخين من يرجعهم إلى أنهم قبائل عربية ونحن نرجح الرأي الأول باعتبار أن عاداتهم وتقاليدهم هي مزيج بين العادات السودانية والعربية، وهي محاذية لبلاد النوبة وعندما كانت مملكة قائمة كانت أكبر منها تبلية[3].

كما يبين لنا الإدريسي أن زغاوة نسبة لقبيلة من السودان سكنت مدينة عرفت باسمها كانت قائمة قبل القرن السادس الهجري[4]، وتتصل زغاوة بالمراكز التجارية الليبية عبر طريقين الأول كوار والثانية ألواح (الكفرة)[5].

أما في القرنين الثامن والتاسع الهجريين فقد وقع الإقليم تحت سيطرة الكانم مباشرة[6]، كما يصفها صاحب الروض المعطار من أن زغاوة بلاد مجتمعة الكور كثيرة البشر ويعرض في سياق حديثه عن زغاوة أن لهم تجارات يسيرة وبضائع يتعاملون بها، كما أن اسم الوادي ظهر حديثاً بينما اسم عاصمة زغاوة هي مانان[7].

---

(1) زغاوة هم مسلمون ومن شعوبهم تاجرة ويليهم الكانم / ابن خلدون، العبر، ج6، ص413.

(2) زغاوة هم مزيج من قبائل التيبو (شعب طيء) العربية وبعض الزنج، وكانوا قد انحدروا في الأصل من الأرجاء الشمالية في إفريقية - رباح منير شيخ الأرض، تشاد والعرب، ص44.

(3) دائرة المعارف الإسلامية، مجلد 9، ص227.

(4) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص29-30.

(5) أدوا رد راي، المغرب العربي (طرابلس، لبدة، القيروان) تعريب مصطفى محمد جودة وآخرين، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ص61.

(6) عماد الدين أبو الفداء، تقويم البلدان، ص157.

(7) محمد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص294.

وقد استمرت العلاقات التجارية بين الوادي والمراكز التجارية الليبية عن طريق القوافل التجارية إلىالقرن الثالث عشر الهجري، ويؤكد ذلك محمد عمر التونسي بقوله: "وحين كنت في دار الوادي جاء بعض التجار من فزان يطلب ريش النعام"[1].

**ممالك الكانم والبرنو:**

لقد كانت الكانم بحكم موقعها في وسط السودان في حاجة ماسة لتصريف منتجاتها واستيراد حاجتها من السلع التجارية القادمة من الشمال عن طريق القوافل التجارية، ولهذا كانت على اتِّصال بالشمال الإفريقي طوال العصور الإسلامية وعن طريق الحركة التجارية القائمة نمت هذه المنطقة وبرز فيها كثير من المراكز تبادلت السلع التجارية مع الشمال، وكان اتِّصالها بفزان وغات والواحات الداخلة من أهم العوامل التي أسهمت في ازدهارها وقيامها كإمبراطورية لمع نجمها حتى القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي.

وبسطت هذه الامبراطورية نفوذها على كلٍ من زغاوة وبلاد البرنو، وبلاد كوار وجزء من بلاد آهير ومنطقة فزان[2]، ومرت إمبراطورية الكانم بعدة تطورات تاريخية ظهرت من خلال عدة مراكز تجارية، وذلك نتيجة ارتباطها بقاعدة الملك، وقبل القرن الخامس الهجري كانت عاصمة الكانم مدينة جاجة ثم أنجيمي التي توصف بكثرة خيراتها الزراعية والحيوانية، وتقع هذه المدينة على ضفاف شرق البحيرة وتميزت عن غيرها بصناعة السفن، كما بسط الكانميون سيطرتهم على مدينة مانان التي كانت قاعدة للزغاويين قبل ذلك، وتميزت هذه المدينة بتجاراتها المباشرة مع مملكة فزان ومملكة كوار[3].

---

(1) محمد بن عمر التونسي، تشحيذ الأذهان، ج2، ص295.

(2) أمين توفيق الطيبي (كانم برنو بالسودان الأوسط علاقات تجارية وثقافية)، ص77.

(3) أبو الحسن بن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص94ـ95.

وتقع مملكة الكانم في شمال شرق بحيرة تشاد، وهذا الموقع هيأ لها أن تؤمن سيطرتها على تجارة الشمال، ومن ثم اتَّجهت سيطرتها على ملاحات كوار ومنطقة آهير بأكملها، وتبين مدى أهميتها في السيطرة على الطريق القادم من الشمال فقد ضم حكام الكانم منطقة فزان بكاملها إليهم خلال القرن السابع الهجري.

أما برنو فإنها تقع إلى الشمال من إمارات الهاوسا، وقد كانت تحت اتِّحاد الكانم إلا أنها انفصلت في أواخر القرن الثامن الهجري لتعود من جديد في نهاية القرن التاسع الهجري تحت حكم الأسرة السيفية بسبب قيام البلالة دولة قوية في كانم، وما إن جاء مطلع القرن العاشر الهجري حتى نجد الكانم أقوى من برنو وأقام حكامها علاقات ممتازة مع بلدان الشمال[1].

وما يهمنا في هذه الدراسة هو المراكز التجارية التي ظهرت في هذه المنطقة حيث إنَّه في ظل دولة الكانم اشتهرت أنجيمي كقاعدة للدولة وكمركز تجاري يقصده التجار، كذلك اشتهرت كوكا[2] بهذه الأهمية طوال القرن التاسع الهجري حتى أن بعض المؤرخين العرب أطلقوا اسم كوكا على بحيرة (تشاد) بأكملها حيث أورد الوزان في تعريفه بكوكا "يتاخم هذا الإقليم بورنو غرباً، ويمتد شرقاً إلى حدود مملكة نوبيا الواقعة على النيل، وينتهي جنوباً بصحراء تتاخم أيضاً منعرج النيل ويسير شمالاً إلى صحراء سرت"[3].

وقد وردت الكانم في بعض المصادر العربية باسم مدينة تقع في الساحل الشرقي الشمالي لبحيرة تشاد، وهي الأساس لقيام إمبراطورية الكانم[4]، غير أن

(1) أمين توفيق الطيبي (كانم برنو بالسودان الأوسط علاقات تجارية ثقافية)، ص78.

(2) تقع كوكا حالياً في الجنوب الشرقي لبحيرة تشاد وهي من ضمن أقاليم اتِّحاد نيجيريا، وتعرف الآن باسم ماد قري التي يبدو أنها أقيمت على أنقاض هذه المدينة ـ تحقق الباحث من ذلك ميدانياً بزيارة قام بها للمنطقة في تاريخ 15/ 6/ 1999ف.

(3) الحسن الوزان، وصف إفريقية، ص177.

(4) شمس الدين الأنصاري، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص240.

أغلب المصادر العربية لا تورد الكانم بل تعمم الاسم على مناطق نفوذ الكانم، وتكتفي هذه المصادر بذكر مدينة أنجيمي كقاعدة لملوك الكانم[1]، ونحن نرجح الرأي الأخير وخاصة بعد التأكد من عدم وجود هذه المدينة لأن التسمية نسبة إلى قبائل الكانمبو القاطنة في الوقت الحالي حول بحيرة تشاد[2].

ومن المراكز التجارية في قاعدة ملوك الكانم أنجيمي وهي قاعدة لهم في الشمال الشرقي لبحيرة تشاد وذلك بعد أن دخل ملوكهم الإسلام، حيث أن مدينة مانان كانت عاصمتهم قبل إسلامهم، وتتميز هذه المدينة بكونها مركزاً تجارياً مهماً لإقليم فزان وبلاد إفريقية منذ وقت مبكر كما تتميز هذه المدينة أيضاً بأنها ملتقى للفقهاء والعلماء في السودان الأوسط، ويحدثنا صاحب كتاب الجغرافيا عن ذلك بقوله: "قاعدة الكانم أنجيمي. . . وفيها سلطان الكانم المشهور بالجهاد وأفعال الخير محمدي ابن ولد سيف بن ذي يزن وكانت قاعدة جدوده الكفرة قبل أن يسلموا مانان"[3].

أما كوكا فهي قاعدة ملوك البرنو أثناء انفصالها عن الكانم - أواخر القرن الثامن الهجري - وبينها وبين أنجيمي أربعون ميلاً استناداً إلى ما ذكره القلقشندي في مطلع القرن الثامن الهجري، وإقليم البرنو يقع إلى الغرب من إقليم الكانم، وقد عرفت بحيرة (تشاد) في المصادر العربية ببحيرة كوكا[4]، وهذا يدل على أهمية هذه المدينة التجارية، كما أن بعض المصادر أعطتها اسم الامبراطورية للأقاليم الواقعة تحت نطاقها أواخر القرن التاسع الهجري[5].

أما عن الأهمية الاقتصادية للمراكز التجارية في مركز سلطنة الكانم والبرنو فكانت التجارة والتسويق بالدرجة الأولى ثم تأتي الزراعة والثروة الحيوانية وما يترتب

---

(1) أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص280.
(2) تحقق الباحث من صحة هذا الرأي بالزيارة الميدانية لهذه المنطقة بتاريخ 20/ 6/ 1999ف.
(3) أبو الحسن علي بن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص95.
(4) أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص270.
(5) الحسن الوزان، وصف إفريقية، ص177 - 178.

عليها من وجود الصناعات والحرف[1]، وأهم المنتوجات الزراعية التي تشتهر بها منطقة الكانم والبرنو هي الأرز والذرة والباذنجان والقطن، كما عرفوا زراعة القمح والليمون والرمان وقصب السكر، ومن الحيوانات الغنم والماعز والدجاج المستأنس، ويبدو من خلال ما أورده القلقشندي أن بعض هذه الحرف الزراعية والحيوانية انتقلت لهم عن طريق الصلات المستمرة مع الشمال وبلاد النوبة[2].

وتميزت بلاد الكانم والبرنو من الناحية التجارية مع الشمال بتجارة الرقيق دون غيرها، حيث يشير في هذا الصدد ابن خلدون في القرن الثامن الهجري إلى ذلك بقوله: "بلاد البرنو كانت من أهم البلاد السودانية التي يسافر إليها تجار المغرب وذلك لكي يقوموا بشراء الرقيق الذي يجلبونه معهم إلى بلاد المغرب"[3].

وكان أمراء الكانم والبرنو وحكام المقاطعات يستقبلون التجار بحفاوة كبيرة وهذا يدل على أهمية هذه المراكز التجارية في السودان الأوسط[4].

### ج. المراكز التجارية في ممالك الهاوسا[5]:

تصنف منطقة الهاوسا لدى الكتّاب السودانيين بأنها تمثل أواسط بلاد السودان وتضم سبعة أقاليم[6]، وقد امتهن أهلها حرفتي التجارة والفلاحة معاً حيث كانت

---

(1) زين العابدين عبد الحميد السراج، دولة كانم الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 171.

(2) أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص271 وما بعدها.

(3) ابن خلدون، العبر، ج6، ص412، وما بعدها.

(4) عبد الفتاح حسن بكر، سلطنة البرنو حتى 1808، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ص182.

(5) يدل مصطلح الهاوسا HAUSE على مجموعة القبائل المتكلمة بلغة الهاوسا وهي مجموعة لغوية أكثر منها بشرية وهي مكونة من كلمتين HAU هاو بمعنى يركب أو يعتلي، SE بمعنى ثور أو عجل بقري وبالتالي فهي بمعنى راكبو الثيران، وظاهرة ركوب الثيران مألوفة في بلاد السودان الأوسط وهي مازالت مستخدمة إلى هذا الزمن.

(6) عبد القادر بن مصطفى، أخبار البلاد السودانية والهاوسية، مخطوط، ورقة 2.

هذه الإمارات حلقة الوصل إلى الجنوب الأوسط والغربي من القارة الإفريقية، ويبدو أن هذه المدن قد نمت بفضل التجارة مكونة اتِّحاداً ومكملةً لبعضها، ونعمت هذه الإمارات أو الممالك باستقرار طوال القرنين الثامن والتاسع الهجريين وكانت على اتصال مستمر مع الشمال الإفريقي[1].

هذا الاتِّصال الذي كان له أثره في تلك الفترة على الحياة الاجتماعية والاقتصادية، حتى أن بعض المؤرخين وصفوا تلك الفترة بالازدهار الحضاري وميزوها بحضارة دويلات الهاوسا السبع[2]، فضلاً عن الأعمال التجارية التي امتهنها سكان الهاوسا إذ بلغت عندهم حرفة الصناعة مرتبة عالية واشتهرت أسواقهم بصناعة الجلود، وصناعة الحديد والنسيج[3]، هذه الصنائع التي مازالت متوارثة إلى اليوم.

ومن المراكز التجارية في إمارات الهاوسا مدينة كانو، وهي إقليم ومدينة تقع على بعد خمسمائة ميل شرقي نهر النيجر ويعيش سكانها على تربية الأغنام والأبقار، وتشتهر بزراعة الذرة والأرز والقطن، وتشتهر بكثرة الصنّاع فيها، كما تتميز هذه المدينة بالحركة التجارية القائمة مع الشمال وترتبط بطريق البرنو ـ كوار ـ فزان[4].

وإلى جانب التجارة تعد مدينة كانو مركزاً علمياً، اقتفى فيه العلماء أثر التجارة حيث القوافل التجارية تأخذ طريقها إلى مدينة كانو كمركز تجاري، وقد اختلط أهالي البلاد الأصليون مع من استقر من هؤلاء التجار الوافدين من الشمال بوجه عام

(1) بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ص237.

(2) مجدي محمد زيادة، قصة الماء الشافي RUWAN - BAGAIA رسالة ماجستير في لغة الهاوسا، غير منشورة، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1990، ص1.

(3) شارل أندريه جوليان، تاريخ إفريقية، ترجمة طلعة أبابا، النهضة، القاهرة، ، ص90.

(4) الحسن الوزان، وصف إفريقية، ص193.

والتجار الليبيين بشكل خاص، وبالتالي فإن هذه الإمارة طُبِعَتْ بمظهر إسلامي واضح المعالم[1].

ومن الإمارات الهاوسية التي اشتهرت بأهميتها التجارية إمارة كاتسينا وهي مملكة مجاورة لكانو من جهة الشرق وتشتهر هذه المدينة بإنتاج الشعير والدخن، ومن الإمارات الهاوسية التي اعتبرت من المراكز التجارية المهمة هي إمارة زكزك وتتاخم هذه المدينة مدينة كانو من جهة الجنوب[2]، ويصف الحسن الوزان في كتابه وصف إفريقية سكان هذه المدينة بالغنى لأنهم يتعاطون التجارة بقوله: "زكزك هذه بلاد تتاخم كانو من جهة الجنوب الشرقي لكنها تقع على خمسين ميلاً من كاتسينا، سكانها أغنياء يتعاطون التجارة"[3].

(1) ك ـ مادامو بانكيار، الوثنية والإسلام، ترجمة أحمد فؤاد بليغ، المجلس الأعلى للثقافة، 1998، ص19.

(2) قريب الله محمد الناصر، الرسالة الجالية لمكانة نيجيريا العلمية، دار الآن للطباعة والنشر، قبرص، 1993، ص19.

(3) الحسن الوزان، وصف إفريقية، ص174.

# الفصل الثاني
# الطرق التجارية ومسالكها

1 - الطرق الرئيسية.

2 - الطرق الفرعية.

3 - نظام القوافل.

## 1 - الطرق الرئيسية

شهدت الصحراء الكبرى حركة تجارية دائبة، ربطت بين أجزائها الشمالية والجنوبية العديد من الطرق منذ العصور القديمة، وازدادت هذه الحركة نشاطاً بوصول الإسلام والمسلمين إلى القارة الإفريقية، فلم تعد مهمة السير من الشمال إلى الجنوب وبالعكس تقتصر على نقل البضائع فقط، بل أضاف التجار إلى كاهلهم مهمة الدعوة للإسلام، وقد كانت الأراضي الليبية بمراكزها التجارية المتناثرة ترتبط مباشرة مع بلاد السودان من خلال شبكة من الطرق المهمة فيما بينها.

واستُخْدِمَتْ الجمال كأداة للنقل منذُ أقدم العصور في هذه المنطقة وأصبحت لها أهمية في أيام الرومان، غير أن هذه الوسيلة تقلص استخدامها في مطلع هذا القرن بسبب ظهور وسائل النقل الحديثة[1]، مع العلم بأن الجرمنت كانوا يستخدمون العربات التي تجرُّها الخيول.

ويمكن القول: إنَّ هذه القوافل التجارية التي سادت بين طرفي الصحراء، والتي زاد نشاطها في القرون الأخيرة من العصور الوسطى، استطاعت أن تؤدي دور التواصل الإفريقي في هذه الفترة من خلال المسالك المباشرة وغير المباشرة، هذا التواصل الذي استحوذت عليه الأعمال التجارية كعنصر أساسي لقيامه، فالمسالك المباشرة أو الرئيسية هي التي ربطت ممالك السودان الأوسط مع المراكز التجارية الليبية دون وسيط، وأمكن من خلالها المرور إلى أوروبا وإلى مصر.

أما المسالك غير المباشرة فهي تلك التي تصل هذه المراكز بعضها ببعض سواء أكان ذلك في السودان أم داخل الأراضي الليبية، ومن ثم فهي طرق فرعية وقعت

---

(1) نقولا زيادة (الطرق التجارية في العصور الوسطى)، ص9.

عليها مهمة تصريف البضائع بين المراكز في كلتا المنطقتين[1]، وقامت الطرق التجارية الرئيسية عبر شبكة من الطرق ربطت شمال الصحراء بجنوبها، واشتهرت في مسالكها كثير من المدن كمراكز تجارية مهمة، هذه المراكز التي تحملت الثقل الأساسي لقيام رحلات التجار عبرها، وبالتالي فقد اشتهرت هذه المراكز دون غيرها كمنافذ رئيسية لهذا التواصل وهي:

1 ـ ارتبطت مراكز (غات ـ غدامس ـ طرابلس) مع (بلما، تكدّ، أغاديس، برنو، كانوا) مسلكاً غربياً يصل الأراضي الليبية مع بلاد السودان الأوسط.

2 ـ ارتبطت مراكز (طرابلس، ودان، فزان) مع (كوار، أنجيمي، كوكا، كانو) مسلكاً وسطاً.

3 ـ ارتبطت مراكز (برقة، أجدابيا، زلة، زويلة، كوار) وصولاً إلى بلاد الكانم ووداّي وممالك الهاوسا.

4 ـ ارتبطت (برقة، أجدابيا، أوجلة (الكفرة) وواحة تيبسيتي مع الوداي وزغاوة) مسلكاً شرقياً[2].

هذه هي الطرق الرئيسية الأربعة التي ربطت المراكز التجارية الليبية مباشرة مع نظائرها في السودان الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14/ 15 ميلاديين، ولا بد لنا أن نوضح أهميتها وظروفها الطبيعية في النشاط التجاري:

**طريق طرابلس – ممالك الهاوسا عبر غدامس:**

يعد هذا الطريق من الطرق المهمة طوال التاريخ الوسيط، ويبدأ من مدينة طرابلس الواقعة على ساحل البحر المتوسط، والتي كانت مركزاً مهماً لنقل البضائع

(1) إبراهيم حركات (دور الصحراء الإفريقية في التبادل والتسويق خلال العصر الوسيط)، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، 1981م، ص28 ـ 29.

(2) مسعود عبد الله الوزاني (التواصل الإنساني وأثره في وحدة العقيدة بين شمال الصحراء وبلدان السودان الغربي حتى عصر المرابطين) ص304.

من بلاد الروم وبلاد المغرب حيث يذكرها ابن حوقل بقوله : "المراكب تحطُّ بها ليلاً ونهاراً وترد على مرِّ الأوقات والساعات صباحاً ومساءً من بلاد الروم وبلاد المغرب بضروب الأمتعة والمطاعم"[1] .

كما ارتبطت مدينة غدامس بطريق آخر له أهميته في تجاراتهم مع طرابلس خلال العصور الإسلامية ، حيث يصلها مع ساحل البحر المتوسط طريق مرسى المهدية عبر القيروان ، فيتبادل فيه التجار الغدامسيون تجاراتهم المارة نحو الشمال ، وبذلك شكل طريق غدامس أهمية تذكر في الوصول إلى بلاد السودان[2] .

وتجدر الإشارة إلى أن مسالك الطرق عبر الصحراء لم يطرأ عليها أي تغيير واضح ؛ بل إنها مرت بمراحل فتور نتيجة لضعف متطلبات السوق أو لأسباب أخرى ساهمت في ضعفها .

وتبدأ القوافل التجارية في هذا الطريق سيرها بعد أن تتجهز بأحمالها من مدينة طرابلس لتمر بجبل نفوسه (الجبل الغربي) حيث تصعد القوافل هضبة هذا الجبل عند مدينة جادو[3] ، ثم تسير بمحاذاة الجبل ناحية الجنوب الغربي متجهة نحو مدينة غدامس[4] ، ومن جبل نفوسه إلى غدامس لمدة سبعة أيام متواصلة من السير ، ويذكر لنا شمس الدين الأنصاري هذا الطريق بقوله : (ومن البلاد المذكورة غدامس . . بينها وبين جبل نفوسه سبعة أيام في صحراء)[5] ، ومن مدينة غدامس تواصل القوافل رحلتها نحو مدينة غات .

---

(1) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص72 .

(2) محمد بن عثمان الحشائشي ، الرحلة الصحراوية ، ص166 .

(3) مدينة جادو هي المدينة المعروفة اليوم في جبل نفوسه (الجبل الغربي) ، قد ذكرتها عدة مصادر خلال العصر الوسيط ، وجادو أيضاً اسم لموضع يقع في الطريق الواصل غات - بكوار - أبو عبيد البكري ، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب ، ص10 .

(4) صالح مصطفى مفتاح ، ليبيا منذ الفتح حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر ، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلام ، طرابلس ، 1978 ، ص216 .

(5) شمس الدين الأنصاري ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص234 .

ولعل من المفيد أن نذكر الآبار التي تنتشر في مواضع مختلفة في المنطقة الصحراوية التي تقطعها هذه الطرق، وهي مفيدة حيث تتزود منها القوافل التجارية بمواردها المائية:

أبو هجريين: بئر يقع على طريق غدامس - غات الطريق الأوسط.

أما سين: بئر يقع على طريق غدامس - غات الطريق الشرقية.

أنزار: بئر يقع على طريق غدامس - غات الطريق الشرقية.

نين هيضان: بئر يقع على طريق غدامس - غات الطريق الشرقية.

تاكيومت: بئر يقع على طريق غدامس - غات الطريق الشرقية[1].

وتقع المسافة بين غدامس وغات في مدة خمسة عشر يوماً، حيث تلتقي القوافل عبر هذه المسالك قبل وصولها إلى غات عند مرتفع رملي يسمى "ترزوللي" بمنطقة تينغسين[2].

وبعد أن تلتقي القوافل في مدينة غات تتجه إلى مدينة أغاديس حيث تقطع مسافة تقدر بخمسة عشر يوماً[3]، من السير في الصحراء، وتصل هذه الطريق بمنطقة آهير الصحراوية مروراً بمناطق جانت وأغزر والأفرون[4]، وقبل وصول القوافل مدينة أغاديس من الناحية الشمالية يتفرع عنها طريق توات الواصلة إلى المغرب الأوسط والأقصى، ثم تواصل القوافل سيرها فتصل مدينة تكدّ متجهةً نحو أغاديس، ومن مدينة تكدّ أمكن المرور إلى السودان الغربي، قبل وصول القوافل إلى أغاديس فإنها تأخذ طريقها إليها من الناحية الغربية عبر تكدّ، لأن المنطقة الشرقية لا تصلح لسير القوافل وذلك بسبب طبيعة المنطقة الصخرية، وفي مدينة أغاديس تلتقي القوافل التجارية الواصلة من ثلاثة اتّجاهات: المغرب الأوسط والأقصى من خلال طريق

---

(1) بشير قاسم شوسع، غدامس وثائق تاريخية، مركز جهاد الليبيين، 1982، ص22.

(2) المرجع نفسه، ص23.

(3) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص113.

(4) زاهر رياض، الممالك الإسلامية في غرب إفريقية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968، ص307.

توات من ناحية الاتِّجاه الشمالي والشمال الغربي، والسودان الغربي عبر تكدّ من ناحية الاتِّجاه الجنوبي الغربي[1].

وهذا الطريق ينحرف إلى الاتِّجاه الجنوبي ليصل بعد أغاديس إلى مدينة زندر في مدة تقدر بتسعة أيام مروراً بمناطق أدريبسه وثانوت، ثم يواصل التجار سيرهم إلى مما لك الهاوسا[2]، بداية من كاتسينا ثم كانوا كآخر نقطة رئيسية باتِّجاه السودان الأوسط عبر المراكز الليبية[3].

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الطريق إضافة إلى كونه طريقاً تجارياً يصل بلاد السودان الأوسط والغربي بالمراكز التجارية الليبية، يتميز بكونه طريقاً لقوافل الحج طوال العصر الإسلامي حيث يصل إلى غات ثم إلى فزان ثم إلى برقة ومصر وصولاً إلى الحجاز[4].

**طريق طرابلس الكانم والبرنو - عبر فزان:**

ذكر أبو عبيد البكري هذا الطريق منذ القرن الخامس الهجري، وقال إنه يبدأ من مدينة طرابلس إلى مدينة جادو ثم يمتد في الصحراء إلى موضع يسمى تيري، وهو في سفح جبل فيه آبار حتى يصل إلى منطقة جبلية تسمى تارغين، وهذه المنطقة يسكنها أقوام من قبيلة مزاتة وبني قلدين ثم إلى زويلة، ويفهم من قول البكري أن المسافة بين طرابلس وزويلة تقدر بخمسة عشر يوماً بسير القوافل[5].

---

(1) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص306 ـ نقولا زيادة (الطرق التجارية في العصور الوسطى)، ص22.

(2) ج ـ ت، نياني، تاريخ إفريقية العام، م4، ص266 ـ الحسن الوزان، وصف إفريقية، ص172 ـ تتبع الباحث هذا الطريق الصحراوي ابتداءً من زندر إلى مدينة أغاديس في رحلة قام بها بتاريخ 1/ 6/ 1999ف حيث أن المسافة التي تفصل المدينتين تصل إلى 450كم.

(3) زاهر رياض، الممالك الإسلامية في غرب إفريقية، ص307.

(4) علي محمدكوماس، المواهب الربانية في تحقيق الطريقة القادرية، مخطوط، مكتبة الشيخ كوماس، كانو، 1272هـ، ورقة 4، مجموع تاريخ الآهير، مخطوط، مركز المخطوطات للعلوم الإنسانية، جامعة ميامي، بدون تاريخ، ورقة 59.

(5) أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، ص10.

كما يمكن السير من طرابلس إلى زويلة عبر ودان من خلال قصر بني ميمون[1]، لمدة ثلاثة أيام إلى كوم من الحجارة واضح على ربوة تسمى كرزة[2]، ومن هذه الحجارة إلى ودان مسيرة ثلاثة أيام ثم يصل إلى مدينة سبها بعد ثلاثة أيام أخرى ليصل تراغن وزويلة[3].

والجدير بالذكر أن مدينة زويلة هي ملتقى للقوافل القادمة من برقة وطرابلس والمتجهة إلى بلاد السودان الأوسط؛ حيث تأخذ القوافل طريقها إلى بلاد كوار لتمر في صحراء مستوية إلى أن تصل إلى جبل طنطة (جبال تيبستي)[4]، وقبل الوصول إلى كوار بأربعة مراحل تصل القوافل إلى قصر بني عيسى[5].

ثم تصل إلى بلاد كوار وتقدر المسافة بين زويلة وكوار بمسيرة ثمانية أيام[6]، كما حددها اليعقوبي بخمسة عشر مرحلة بقوله: "ووراء زويلة على خمسة عشر مرحلة مدينة يقال لها كوار"[7].

ومن واحة كوار تأخذ القوافل طريقها إلى واحة بلما، حيث تبعد هذه الأخيرة مرحلتين عن كوار، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الواحة تعد موازية لبلدة تكدّ التي تقع على الطريق الغربي الواصل غات ببلاد الهاوسا.

---

(1) يقع هذا القصر في منطقة غريان بالجبل الغربي - الحسن الوزان، وصف إفريقية، ص100.

(2) هذا الموقع الذي ذكره البكري في القرن الخامس الهجري مازال موجوداً إلى الوقت الحالي، وهو كوم من أحجار سوداء تقع حالياً بالقرب من مدينة مزده جنوب مدينة غريان، ويعد من المواقع الأثرية المهمة في ليبيا.

(3) أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، ص12 - 13.

(4) جبال تيبسيتي المعروفة اليوم، الاسم نسبة إلى واحة تيبستي إحدى الواحات التي تتزود منها القوافل بالماء عند عبورها، هذه السلسلة الممتدة من الغرب إلى الشرق، وهي الطريق الشرقي الواصل بين وداي وأوجلة.

(5) ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص139.

(6) عماد الدين أبو الفداء، تقويم البلدان، ص139.

(7) أحمد اليعقوبي، البلدان، ص102.

ومن واحة بلما تواصل القوافل التجارية مسيرها حتى تصل إلى بلاد الكانم شمال البحيرة المعروفة اليوم ببحيرة تشاد، فإما أن تكتفي هذه القوافل بالوصول إلى بلاد الكانم، أو تواصل مسيرها تجاه الجنوب، فتصل إلى مدينة كوكا عاصمة البرنو لتصل إلى ممالك الهاوسا وتتوزع فيها، ويعد الطريق إلى كانو إحدى إمارات الهاوسا الشمالية ـ الطريق الرئيسي للوصول لهذه الممالك في الاتِّجاه الجنوبي الشرقي في بلاد البرنو[1].

وقد تصل مدة سفر القوافل التجارية من مدينة طرابلس على ساحل البحر المتوسط شمال القارة الإفريقية إلى مدينة كانو جنوباً التي تعد كمركز تجاري مهم في الإمارات الهاوسية إلى ثلاثة أشهر في بعض الأوقات[2]، ويعد هذا الطريق الأوسط المار من مدينة طرابلس نحو ممالك البرنو والهاوسا من أقدم الطرق، حيث يعود تاريخه إلى الجرمنت والرومان، كما يتميز بنشاط الحركة التجارية القائمة بين المنطقتين، وهو أكثر سهولة من الطرق الأخرى في الوصول إلى بلاد السودان الأوسط من حيث طبيعة المنطقة، حيث يسير فيه التجار عبر العديد من الواحات التي تتزود فيها القوافل بالماء اللازم ويتميز أيضاً بكونه أكثر الطرق وجوداً للكلأ[3].

### طريق برقة الكانم عبر زويلة:

يعد هذا الطريق مكملاً لطريق طرابلس ـ بلاد الكانم عندما يلتقي الطريقان في مدينة زويلة، كما أنه يعد من الطرق الرئيسية للوصول لبلاد السودان؛ لأنه يربط المراكز التجارية الليبية الشرقية مع بلاد السودان، واستمد هذا الطريق نشاطه من الحركة التجارية القائمة مع مصر، إضافةً إلى المراسي الشرقية للمراكز التجارية

(1) ج. ت نياني، تاريخ إفريقية العام، م4، ص257 وما بعدها.

(2) أمطير سعد غيث، التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي، دار الرواد، بنغازي، ط1، 1996ف، ص83.

(3) ج. ت نياني، تاريخ إفريقية العام م4، ص255 ـ 256.

الليبية، ومما يزيد هذا الطريق شهرة قوافل الحج الموسمية القادمة من السودان بجزئيه الأوسط والغربي[1].

وتبدأ القوافل التجارية رحلتها من مدينة المرج بعد وصولها من البلاد المصرية، وتتجه إلى مدينة أجدابيا ثم يصل هذا الطريق إلى مدينة أوجلة ومنها إلى مدينة زلة، ويوضح الإدريسي المراحل التي يقطعها التجار أثناء سيرهم في هذا الطريق فيقول: "ومن برقة إلى مدينة أوجلة في البرية عشر مراحل بسير القوافل، وكذلك من برقة إلى أجدابيا ست مراحل، هي من الأميال مائة واثنان وخمسون ميلاً، ومن برقة إلى الإسكندرية إحدى وعشرون مرحلة"[2].

ويذكر في موضع آخر المسافة بين أوجلة إلى زلة عشر مراحل، ثم يصل هذا الطريق إلى زلة ثم إلى زويلة بمسافة عشر مراحل ليلتقي مع الطريق القادم من طرابلس[3].

ونستفيد مما أورده الإدريسي من أن طبيعة هذا الطريق صحراوية، كما يبين لنا المناطق التي يمر عليها ومنها منطقة برنيق (بنغازي) الواقعة بين أجدابيا وبرقة، وتمر القوافل أيضاً بين زلة وزويلة بمدينة صغيرة تسمى (مستيح) كما كان اعتماد أهل برقة وأوجلة على مياه الأمطار التي كانت تتجمع في المواجل (الصهاريج) التي أعدت لهذا الغرض[4].

**طريقة أوجلة وداي:**

يتصف هذا الطريق الواصل بين أوجلة ووداي عبر الواحات وسلسلة جبال تيبستي بكونه أقصر الطرق الواصلة بين شمال إفريقية وبلاد السودان الأوسط، لكن هذه الأهمية تقل مع صعوبة مسالكه وعدم مناسبته لسير القوافل فضلاً عن قلة خبرة التجار للمرور من خلاله إلى بلاد الوداي، كما أن عبور الصحراء في خط مستقيم

---

(1) نقولا زيادة (التجارة وطرقها في العصور الوسطى الإسلامية)، ص11.

(2) عبد المنعم الإدريسي، نزهة المشتاق، ص110.

(3) المصدر نفسه، ص312. ـ محمد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص282.

(4) عبد المنعم الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص510 وما بعدها.

اتّجاه مصر يشكل صعوبة على القوافل بسبب العواصف الرملية التي تهب على خط مائل بين نهري النيجر والنيل[(1)] .

وبهذا نجد كثيراً من القوافل المتجهة من بلاد زغاوة نحو برقة تفضل السير عن طريق كوار بالرغم من الفارق الشاسع في المسافة بين الطريقين، كما أن قوافل الحج تفضل أيضاً السير عن طريق كوار وذلك لسهولة مسالكه واستقرار الأمن فيه، أما طريق الواحات فإن المصادر لا تسعفنا بمعلومات وافية عنه فيما عدا التحدث عن البرداوة الليبية الواقعة جنوب برقة[(2)] .

حيث يبدأ هذا الطريق من برقة فيخترق واحات أوجلة ثم صحراء برداوة ليبيا كما يذكرها الوزان، ويصف أهلها بالغنى بقوله: "لكنهم أغنياء لوجودهم بين مصر وكوكا[(3)]" ويمر هذا الطريق بواحة تيبستي ثم منطقة أم شعلوبة شمال غرب (تشاد) حتى تصل إلى وداي، وتبلغ المدة التي تستغرقها القوافل في هذا الطريق ذهاباًوإياباً من ثمانية إلى عشرة شهور[(4)] .

هذه هي الطرق الرئيسية الواصلة بين المراكز التجارية في كل من بلاد السودان والبلاد الليبية بمناطقها الثلاث: طرابلس، وبرقة، وفزان، حيث اتّضحتْ لنا أهمية هذه الطرق لأنها كانت تشكل طرفاً أساسياً في الوصول إلى بلاد السودان، فضلاً عن كونها مسالك رئيسية مباشرة، وتتفرع عنها طرق تربط المراكز التجارية في كلتا المنطقتين.

---

(1) ج. ت. نياني، تاريخ إفريقية العام، م4، ص620.

(2) الحسن الوزان، وصف إفريقية، ص155 .

(3) المصدر نفسه، ص156.

(4) أحمد سعيد الفيتوري (ليبيا وطرق القوافل) البحوث التاريخية، عدد1 ، 1981 ، ص18.

## 2 - الطرق الفرعية

### آ - الطرق الفرعية الواصلة بين المراكز التجارية:

قامت الطرق الفرعية لتربط بين العديد من المدن والمناطق داخل البلاد الليبية وفق عاملين: أولهما جاء نتيجة أهمية بعض المراكز التجارية ومشاركتها بنصيب وافر في هذه الحركة التجارية، وثانيهما يمثل حلقة الوصل بين طريق وآخر، وبهذا اكتسبت أهميتها، ومن هذه الطرق:

1 ـ الطريق الساحلي الواصل بين برقة وطرابلس والذي يربط مصر مع إفريقية.

2 ـ طريق طرابلس ـ ودان في الاتّجاه الجنوبي.

3 ـ طريق زلة ـ ودان في الاتّجاه الغربي.

4 ـ طريق غدامس ـ ودان في الاتّجاه الشرقي[1].

5 ـ طريق زلة ـ (الكفرة) في الاتّجاه الغربي.

6 ـ طريق فزان ـ غات في اتّجاه الجنوب الغربي[2].

وقد جابت القوافل التجارية هذه المراكز وتنقل التجار بينها لتوزيع بضائعهم وشراء ما يقابلها مما يوجد من سلع فيها.

### 1 - طريق أجدابيا ـ طرابلس:

يعد هذا الطريق من الطرق الرئيسية لو نظرنا له باعتباره يصل مصر مع إفريقية أضف إلى ذلك كثافة قوافل التجارة والحج السائرة من خلاله من الشرق إلى الغرب وبالعكس، والتي ربما تفوق في تقديرها حجم القوافل المتجهة من الشمال إلى الجنوب، هذا من جهة غير أن هذا الطريق لا يعدو كونه مسلكاً فرعياً ذا أهمية، يمكن

---

(1) ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص127. ـ أبو عبيد البكري المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، ص12.
ـ أبو القاسم بن حوقل، صورة الأرض، ص69 ـ 70.

(2) محمد المبروك يونس، دور ليبيا في مسار العلاقات العربية الإفريقية، طرابلس 1999، ص21 وما بعدها.
ـ إبراهيم حركات (دور الصحراء الإفريقية في التبادل والتسويق خلال العصر الوسيط)، ص29.

التجار الواصلين برقة وطرابلس من بلاد السودان من تصريف بضائعهم من خلاله في مختلف المراكز التجارية الساحلية الليبية.

ويتميز هذا الطريق بأنه أكثر أهمية بالنسبة للتجار والمسافرين؛ نظراً لكثرة الحصون ووجود أبراج المراقبة على طول الساحل، فضلاً عن كثرة المراسي المقابلة للمراكز مما سهل على التجار عمليات البيع والشراء[1].

وعند مدينة أجدابيا يلتقي الطريق الواصل من أوجلة مع الطريق الساحلي المار نحو سرت، ومن ثم يواصل التجار سيرهم نحو مغمداش[2] ثمانية وثلاثين ميلاً، ومن مغمداش إلى قصور حسان ثلاثون ميلاً، ثم إلى المنصف أربعين ميلاً، ثم إلى تاورغاء أربعة وعشرين ميلاً، ثم مصراته ثمانية عشر ميلاً، ثم إلى وادي الرمل ستين ميلاً، ومن وادي الرمل إلى طرابلس عشرين ميلاً، وقد تصل المسافة من أجدابيا إلى مدينة طرابلس إلى خمس وعشرين مرحلة[3].

ومن طرابلس إلى قابس إلى عشرة مراحل[4]، حيث تسلك القوافل إلى جنزور - موضع قبائل هواره - ثم تمر بالماية وزاوية أولاد سنان، ثم زاوية أولاد سهيل بموضع الصابرية وبمحاذاة الساحل، وعلى بعد أميال منه يصل المسافرون إلى خرائب زواغة التي تقع قبالة صبراته من ناحية الجنوب، ثم يصل التجار إلى حصن تليل الواقع على تل مشرف على البحر وبمحاذاة البحر يصل المسافرون إلى مدينة زوارة ومنها يأخذ المسافرون طريقهم إلى جزيرة جربه أو إلى القيروان[5]، وتقدر المسافة بين

---

(1) شمس الدين الأنصاري، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص259.

(2) مغمداش مدينة بأراضي سرت بين أبو رقة والزعفران، الطاهر الزاوي، معجم البلدان، ص323.

(3) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، طبعة ليدن، 1989، ص84 - 85.

- أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، ص14 - 15.

(4) نجاة باشا، التجارة في المغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى القرن الثامن الهجري، الجامعة التونسية، 1976، ص81.

(5) أبو عبد الله التيجاني، رحلة التيجاني، ص207.

طرابلس وزوارة بنحو خمسين ميلاً تقريباً، كما تقدر المسافة بين طرابلس والقيروان بنحو عشرين مرحلة[1].

ويوصف هذا الطريق بسهولة مسالكه، وكثرة مدنه وقراه، مما يضفي على التجار وقوافل الحج الطمأنينة والأمن، ومما زاد في بث روح الأمن والطمأنينة لهذه القوافل وجود العديد من الزوايا الصوفية[2]، التي ازدهرت خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، وكان لها أثرها الروحي لدى المسافرين في ذهابهم وإيابهم ومنها زوايا زليطن ومصراته وتاجوراء[3]، حيث كان المسافرون يتزودون في هذه الزوايا بالمؤن اللازمة، إضافة إلى أنها تضفي عليهم الأمان والاستقرار.

**2 - طريق طرابلس ودان :**

يعد هذا الطريق أحد المسالك الفرعية للوصول لبلاد السودان، كما أنه أقل حداثة من طريق جادو ـ فزان، ومن خلال هذا الطريق تمر القوافل من طرابلس إلى ودان عبر مواطن هواره نحو الجنوب في منتجعات من بيوت الشعر حتى تصل قصر بني ميمون ثم تواصل القوافل سيرها حتى تصل بعد ثلاثة أيام إلى حجارة كرزه، وقد

---

(1) المرجع نفسه، ص208. ـ قدامة بن جعفر، كتاب الخراج، ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خردابة، ليدن، 1889، ص222 وما بعدها.
ـ صالح مصطفى مفتاح، ليبيا، منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية، ص227.

(2) عمر أحمد سعيد (دور حركات التجديد الإفريقي في غرب إفريقية) دراسات إفريقية فبراير 1990، ص128.

(3) يذكر العياشي نقلاً عن كتاب ليبيا في كتب الجغرافيا والرحلات نصوصاً صريحة عن أهمية هذه الزوايا بقوله: (وكان نزولنا خارج زاوية الولي الصالح الشهير عن التعريف سيدي عبد السلام الأسمر.. ولم نبت يوم، رحلنا من زليتن إلى أول بلد مصراته، ومن الغد ارتحلنا ونزلنا بزاوية الشيخ المحقق العالم أبو العباس أحمد زروق.. وكان نزولنا بزاويته صبيحة يوم الجمعة وزرنا قبر الشيخ..)
محمد يوسف نجم وآخرون، ليبيا في كتب الجغرافيا والرحلات، دار ليبيا، بنغازي، 1968، ص206 ـ 208.

سبق التعريف بها، ومنها إلى ودان مسيرة ثلاثة أيام أخرى[1]، ويتميز هذا الطريق بقصره وسهولة مسلكه حيث يمر مباشرة من طرابلس من ناحية الجنوب.

أما ودان فتعد من المراكز التجارية التي تلتقي فيها القوافل الواصلة من زلة وتاجرفت وغدامس كما يمكن المرور منها إلى فزان[2].

### 3 – طريق زلة ودان :

يصف ابن سعيد مدينة ودان بأنها "جزائر نخل ومياه وإليها يلتجئ المارة في هذه الطريق المضنية[3]"، ويعد هذا الطريق الواصل زلة بودان أقل المسالك الفرعية مسافة بحيث لا تتعدى في جميع الأحوال خمس مراحل، كما يوصف هذا الطريق بأنه يقع على عمارات وجزائر نخل متصلة[4].

### 4 – طريق غدامس – ودان :

استخدم هذا الطريق لغرضين: أولهما أنه المسلك الرئيسي لقوافل الحج القادمة من السودان الغربي، كما أن القوافل الواصلة غدامس من القيروان أو من السودان الغربي يمكن أن تأخذ طريقها إلى الشرق لتتصل بالطريق الرئيسي الذي يصل زويلة ببرقة، وبالتالي فإن هذا المسلك يعد من المسالك الفرعية المهمة لأنه يربط المراكز التجارية الوسطى من غدامس إلى زلة[5]، وتقع على هذا الطريق عدة آبار تتزود منها القوافل بالمؤن لمواصلة سيرها ومن هذه الآبار (نلعتزم، لنهيا، المر، كيسان أوتيسان، الحسي) حيث تباشر القوافل عبر هذا الطريق سيرها نحو زويلة[6].

---

(1) أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، ص12. - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، دار صادر، بيروت، 1977، ص366.

(2) إبراهيم حركات (دور الصحراء الإفريقية في التبادل والتسويق خلال العصر الوسيط)، ص28 وما بعدها.

(3) ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص127.

(4) محمد عثمان الحشاشي، الرحلة الصحراوية، ص82 وما بعدها.

(5) صباح إبراهيم الشيخلي (تطور الوجود العربي في صحاري فزان فيما بين القرنين الأول والسادس الهجري) المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، ع23، 1988، ص40.

(6) بشير قاسم شوسع، غدامس وثائق تاريخية.

### 5 - الطريق الواصل بين زلة - (الكفرة) :

يكتسب هذا الطريق أهميّته لأنه يربط زويلة كمركز تجاري يقع على الطريق الأوسط المؤدي إلى بلاد السودان الأوسط في وسط الصحراء الليبية، مع الطريق الشرقي الواصل أوجلة بالوادي، ومن خلاله تمر القوافل في أرض مغطاة بأحجار سوداء تعرف حالياً بالهاروج لمدة أربعة أيام حتى تصل إلى موضع يسمى العروش ثم تواصل سيرها لمدة يومين من خلال مروج فسيحة تغطيها أشجار الطلح، ثم تواصل القوافل سيرها لمدة ستة أيام أخرى لتلتقي مع الطريق الشرقي عند واحة (الكفرة) ومنها إلى تيبستي والوداي[1].

### 6 - طريق فزان - غات :

يعد هذا الطريق من المسالك المهمة التي تتم من خلاله وصول قوافل الحج الواصلة إلى بلاد السودان الأوسط، ومن خلاله أيضاً يتم تسويق بضائع فزان في أسواق غات، وتبعد مرزق ـ آخر حدود منطقة فزان ـ عن غات من ناحية الشمال الشرقي مسيرة عشرة أيام بسير القوافل، ويسيطر على هذا المركز التجاري المهم قبائل أزقار من الطوارق طوال القرون الإسلامية وحتى العصر الحديث[2].

### ب - الطرق الفرعية في ممالك السودان الأوسط:

ارتبطت ممالك السودان الأوسط بالعديد من المسالك الفرعية الواصلة بين أجزائها، وأدت هذه المسالك مهمة التواصل التجاري بين مراكزه بعد وصول القوافل التجارية القادمة من الشمال، كما أن هذه المسالك ربطت بين الطرق الرئيسية القادمة من بلاد السودان، ويمكن أن نحدد هذه الطرق الفرعية القائمة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين على النحو الآتي:

---

(1) محمد عثمان الحشائشي، الرحلة الصحراوية، ص76 ـ 77.

(2) عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، طبعة هوداس، 1898، ص7. ـ ع. ن لايون مدخل إلى الصحراء، ترجمة عبد الهادي أبو لقمة، جامعة قاريونس، بنغازي، ط1، 1995، ص85.

1 ـ طريق غات ـ ساكدامه .

2 ـ طريق بلما ـ تكد .

3 ـ طريق الكانم ـ كوكا[1] .

وتختلف هذه المسالك عن نظائرها في المراكز التجارية الليبية في أنها مسالك برية مغلقة دون أن يكون لها أي منفذ بحري ، كما أن هذه الطرق صعبة المسالك والممرات .

**1 - طريق غات - ساكدامه :**

يصل هذا الطريق غات بسكدامه ليتصل مع الطريق الرئيسي القادم من فزان ، ويعرف بطريق تسيلي ، لأنه يمر بواحتي جادو وتسيلي الواقعتين الآن شمال غرب النيجر قبل وصوله إلى ساكدامه[2] .

ويوصف هذا الطريق بوعورة مسالكه مما جعل التجار يعزفون عن سلوكه ، ولذلك نجد القوافل تستخدمه عندما يكون المرور عبر فزان غير آمن . كما يستخدم هذا الطريق من القوافل التجارية القادمة من السودان الأوسط إلى واحة بلما ، ويحتاج سالكو هذا الطريق لمعرفة كافية ، وبالتالي نجد أن التجار المغاربة هم وحدهم الذين يستطيعون المرور فيه ، وبعد أن يلتقي في ساكدامه مع الطريق الواصل من فزان حتى يصل إلى منطقة كوار ومن ثم إلى الكانم[3] .

**2 - طريق بلما - تكدّ :**

يربط هذا الطريق بين الطريق الأوسط الواصل من فزان إلى بلاد الكانم بالطريق الغربي الواصل غات بالسودان الغربي والأوسط كما سبقت دراسته ، حيث يتفرع من

---

(1) الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص27 وما بعدها .
ـ شمس الدين الأنصاري ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ج2 ، ص234 .
ـ ج ـ ت نياني ، تاريخ إفريقية العام ، م4 ، ص257 .

(2) الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص57 .

(3) ج ـ ت نياني ، تاريخ إفريقية العام ، ص257 .

بلما إحدى واحات منطقة كوار ويمر بواحة أغرام فاش، وسط كثبان رملية ثم يصل إلى مرتفعات صخرية تقع شمال أغاديس ليلتقي في تكدّ مع الطريق الغربي[1]، ومن خلاله تستطيع القوافل المرور من منطقة كوار إلى بلاد آهير، وبالتالي أمكن التجار الوصول إلى جاوة وتمبكت في السودان الغربي[2].

### 3 - طريق الكانم - كوكا:

يربط هذا الطريق المراكز التجارية في بلاد الكانم والبرنو وزغاوة بعضها ببعض، حيث يمكن المرور فيه من كوكا إلى مانان شرقاً، وتقدر المسافة بين المدينتين بأربعة وعشرين يوماً، كما تقدر المسافة بين مدينة مانان إلى أنجيمي بثمانية أيام ومن أنجيمي إلى زغاوة بستة أيام لتكون المسافة الكلية عبر هذا الطريق ثمانية وثلاثين يوماً، ومن خلاله يستطيع التجار تصريف بضائعهم في المنطقة المحيطة ببحيرة (تشاد)، كما أن هذا الطريق يتجه من كوكا شرقاً ليصل السودان الأوسط بالغربي حتى غانا بعد أن تقطع القوافل في طريقها مسافة شهر ونصف من السير[3]، إضافة إلى هذه الطرق الثلاث توجد طرق فرعية أخرى تربط ممالك الهاوسا بعضها ببعض؛ مثل الطريق الذي يربط كانو بإزاريا، وتتميز ممالك الهاوسا بسهولة المرور فيها[4].

هذه هي الطرق الرئيسية والفرعية التي أمكن دراستها في كلتا المنطقتين والتي تمكن القوافل التجارية من تصريف بضائعها في مختلف المراكز والأقاليم التجارية سواء أكانت في السودان الأوسط أم في البلاد الليبية، وبهذه الطرق تؤدي القوافل القادمة من الشمال إلى الجنوب وبالعكس مهمة الاتصال التجاري والاجتماعي والثقافي بين أهالي المنطقتين.

---

(1) ج. ت نياني، تاريخ إفريقية العام، مجلد 4، ص266.

(2) بجاري تانودي، مجموع تاريخ آهير، مخطوط بدون تاريخ، مركز المخطوطات للعلوم الإنسانية، جامعة نيامي.

(3) عبد المنعم الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص59.

(4) زاهر رياض، الممالك الإسلامية في غرب إفريقية وأثرها في تجارة الذهب، ص307. رقم التصنيف 63، ورقة 59.

غير أن الدارس لهذه العلاقات لا ينبغي عليه أن يقرر بأن وجود هذه الطرق والمسالك وحدها تستطيع أن تؤمن للقوافلِ وصولها، لأن قطع هذه المسافات التي تصل إلى ثلاثة أشهر في بعض الأحيان، بقوافل من البشر والإبل المحملة لا تستكمل مهمتها إلا بوجود قوانين ونظم تؤمن لها سلامة الوصول، حيث أورد العمري ذلك عند تحدثه عن الكانم بقوله: "مبدأ مملكته من جهة مصر بلدة اسمها زلا وآخرها طولاً بلدة يقال لها كوكا، وبينهما نحو ثلاثة أشهر"[1].

(1) ابن فضل العمري، مسالك الأبصار في عجائب الأمصار، ج4، فرانكفورت، معهد تاريخ العلوم الإسلامية 1988، ص30.

## 3 - نظام القوافل

تحتاج القوافل التجارية منذ بداية انطلاقها إلى بعض الأنظمة حتى يستطيع التجار إيصال بضائعهم بأقل الخسائر إلى أماكن بيعها، وخاصة أن المسافات شاسعة وتفتقر إلى الوسائل التي يحتاجها التجار في تنقلاتهم، ويعد نظام القوافل من أقدم وأشهر الوسائل في نقل البضائع في الطرق البرية حتى العصر الحديث. . .

ولم يفت القائمين بهذه المهمة أن يضعوا قوانين خاصة تلائم هذه الطرق التجارية[1]، وقد تتعرض هذه القوافل التجارية أثناء سيرها إلى بعض العوائق التي تحول دون وصول أفرادها في بعض الأحيان. وفيها اعتداءات قطاع الطرق واللصوص الذين كانوا غالباً من الطوارق، وإجبار أفراد القوافل عادة على دفع إتاوات باهظة أثناء مرورها في أراضي بعض المدن التي تمر بها القافلة؛ مما يكلف التجار دفع الضرائب الباهظة[2].

ومن المشكلات التي تتعرض لها القوافل مشكلة التيه والضياع واختيار مسالك قصيرة وآمنة، ومن ثم لابد من أدلاَّء[3]، وبهذا بحث القائمون على تجارة القوافل عن العديد من النظم لتجنب أكبر قدر من هذه المشكلات تمكن قوافلهم المحملة بمختلف البضائع من الوصول إلى المراكز التجارية السودانية في أحسن الظروف، فكانت على النحو التالي:

---

(1) عبد الحميد الهرامة (ثروة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي) كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1988، ص83.

(2) محمد عمر التونسي، تشحيذ الأذهان، ج1، ورقة 66.

(3) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص298.

- جميلة امحمد التكتيك، مملكة سنغاي الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعيَّة، جامعة الفاتح، ص117 - 118.

## 1 - اختيار مكان لتجمع أفراد القافلة :

عند البدء في تجمع التجار بأحمالهم اعتادوا أن يكون لهم مكان معلوم لتجمعهم كنقطة بداية لانطلاق القافلة، وعادة ما يكون هذا المكان في أطراف المراكز التجارية حتى يتيح لهم فرصة التجهُّز على أكمل وجه وبعيداً عن ازدحام السكان[1].

ويورد العياشي ما يفيدنا بأن تجهيز القافلة يتم خارج المدينة بقوله: "وعند الفجر حملنا أدباشنا خارج المدينة، وبعد أن حملناها على ظهور الجمال التي كانت تنتظرنا أخذنا في السير قبل شروق الشمس"[2].

## 2 - عدد الجمال :

قد يصل عدد الجمال المشاركة في القافلة التي تنطلق جنوباً عبر الصحراء إلى ثلاثة آلاف جمل محملة بمختلف السلع، ولكن عادة ما يقدر متوسط عدد القافلة الواحدة بألف جمل[3]، هذا عن القوافل التي تسير في الطرق الرئيسية والمسافات البعيدة، وقد حرص المسافرون في هذه الطرق على زيادة عدد المشاركين في هذه القوافل، فكلما كان حجم القافلة أكبر استطاع التجار تجنب الصعوبات التي قد تحدث لهم، خاصة أنهم يمرون في مفازات تفتقر إلى الكثير من احتياجاتهم[4].

أما القوافل في الطرق الفرعية فقد يصل فيها عدد الجمال أحياناً إلى العشرين أو الثلاثين جملاً وذلك لأن الأخطار تكون أقل بكثير من الطرق الرئيسية[5].

## 3 - إعداد المسافرين نفسياً :

عند الاستعداد للسفر اعتاد رؤساء القوافل على إعداد المسافرين نفسياً؛ لذلك يكلف رجال لهذه المهمة يكونون ذوي خبرةٍ كافيةٍ بمختلف الطرق والمسالك وتذليل

(1) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص306.
(2) محمد عثمان العياشي، الرحلة الصحراوية، ص79.
(3) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص405.
(4) جميلة امحمد التكتيك، مملكة سنغاي الإسلامية، ص117.
(5) امطير سعد غيث، التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي، ص83.

الصعاب التي تظهر أثناء السير، وخاصة أن المسافة التي تقطعها بعض القوافل قد تصل في بعض الرحلات إلى ثلاثة أشهر[1].

### 4 - اختيار الوقت المناسب :

اختلاف العوامل الطبيعية في الصحراء من فصل لآخر، كارتفاع درجة الحرارة صيفاً وشدة برودته شتاءً جعل التجار يحرصون على اختيار المواعيد المناسبة لانطلاق قوافلهم، إما في بداية فصل الخريف أو بداية فصل الربيع عندما تكون العوامل الجوية مناسبة لسير القوافل، وذلك لحاجاتهم للماء اللازم.

على الرغم من وجود هذه الاحتياطات في اختيار الوقت المناسب للسير؛ فإن القائمين على هذه القوافل اعتمدوا شتى الوسائل، وحرصوا على أن تكون هناك أماكن للماء، وحفروا الكثير من الآبار لتلافي هذه المشكلة، حيث يشير ابن خلدون صراحة عند تحدثه عن بلاد السودان بقوله: "وفي البلاد الصحراوية إلى وراء العرق الغربية في استنباط المياه الجارية لا توجد في تلول المغرب، وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة الهوى وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلبة فتحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرق جرمها، ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقتها عن الماء فينبعث فيعم زبره"[2].

كما يورد ابن بطوطة طريقة أخرى تجنب التجار مشكلة العطش وهي وجود أشجار تحتفظ داخل جذورها بمياه الأمطار بقوله: "وبعض تلك الأشجار قد استأسن داخلها وانتقع فيه ماء المطر فكأنها بئر ويشرب الناس من الماء الذي فيها"[3].

---

(1) عبد المنعم الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص312.
- جبريل أبو بكر علي (طرق القوافل وأثرها في تقوية العلاقات بين ليبيا وجيرانها جنوب الصحراء)، ص83.

(2) ابن خلدون، العبر، ج7، ص119.

(3) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص298.

## 5 – التكشيف :

وهو الشخص القادر على معرفة الطريق، ويتم اختياره من قبل رئيس القافلة ويشترط فيه أن يكون على دراية كاملة بطريق سير القوافل[1]، وعادة ما يكون هذا الرجل من الطوارق الملثمين[2].

ولا تقتصر مهمة التكشيف على كونه دليلاً للقافلة في سيرها بل إنه يتقدم القافلة إلى البلد المراد الوصول إليه، ويقوم بعدّة مهام منها : أنه يكتري الديار لإقامة تجار القافلة، وينبه سكان البلد للخروج بالماء، واستقبال القافلة لمسافة أربعة أيام في الصحراء حفاظاً على سلامة أفرادها، وعادة ما يكون التكشيفُ ذا خبرة ويتمتع بقدر وافر من الذكاء.

وتعد مهمة التكشيف من المهام الصعبة في وسط الصحراء، حيث يشير ابن بطوطة بعبارة فيها بعض الخلط والخيال بقوله : "وتلك الصحراء كثيرة الشياطين فإن كان التكشيف منفرداً لعبت به واستهوته حتى يضل عن قصده فيهلك، إذ لا طريق بها ولا أثر، وإنما هي رمالٌ تسفيها الرياح فترى جبالاً من الرمل في مكان، ثم تراها قد انتقلت إلى سوا"[3]، وعادة ما كان التكشيف يحصل على مقابل مالي نظير خدماته قد يصل إلى مائة مثقال من الذهب، يتقاسمه أفراد القافلة فيما بينهم[4].

(1) جبريل أبو بكر علي، ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي، ص83.

(2) عرف الطوارق بالملثمون لأنهم "يلثمون ولا يكشفون وجوههم وهو سنة لهم يتوارثها خلف عن سلف، وسبب ذلك على ما قيل أن قوماً من أعدائهم كانوا في غفلتهم إذا غابوا عن بيوتهم فيهاجمون الحي فيأخذون المال والحريم فأشار عليهم بعض مشايخهم أن يبعثوا النساء في زي الرجال إلى ناحية ويقعدوا هم في البيوت متلثمين كالنساء فإذا أتاهم العدو انكشفوا ففعلوا ذلك وثاروا عليهم بالسيوف فقتلوهم، فلزموا اللثام تبركاً به بما حصل لهم" بخاري تانودي، تاريخ آهير وأغاديس 64 ـ 866هـ، مخطوط، مركز الوثائق والمخطوطات للعلوم الإنسانية، جامعة نيامي، ورقة 17.

(3) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص299.

(4) المصدر نفسه، ص297.

6 - **الزوايا الدينية :**

منذ أن وصل الإسلام إلى الشمال الإفريقي أضاف التجار على عاتقهم مهمة الدعوة له في بلاد السودان، وأسسوا العديد من الزوايا الدينية في مختلف المراكز التجارية، التي أصبحت فيما بعد زادهم الروحي وملاذهم في مواصلة رحلاتهم[1]، ويفيدنا التيجاني في رحلته إلى ليبيا في مطلع القرن الثامن الهجري بقوله: "ثم اجتزنا على زاوية تعرف بزاوية أولاد سهيل فنزلنا هنالك، وهي رباطة حصينة يحفُّ بها شجرٌ كثيرٌ. . ."[2]، ويفهم مما أورده التيجاني أن الزوايا الدينية تستخدم أيضاً كأربطة حصينة يستظل بها المسافرون ويتبركون.

7 - **الضمانات الأمنية :**

لا يمكن للقوافل أن تؤمن وصولها دون أن تكون لها ضمانات أمنية تحقق لها السلامة من قطاع الطرق حتى تصل أحمالها كاملة بأقل قدرٍ من الخسائر.

ولو نظرنا إلى المنطقة الواقعة بين المراكز التجارية الليبية في الشمال وممالك السودان الأوسط، نجد أن الطوارق هم الذين يسيطرون على هذه المنطقة الصحراوية وبالتالي، فلابد أن تكون هذه القوافل على علاقات حسنة مع قبائل الطوارق، وإلا تعرضوا للاعتداءات من جانبهم، ولهذا نجد التجار يحرصون على تقديم الإتاوات والهدايا لرؤساء هذه القبائل[3].

ولم تكن مهمة البحث عن الضمانات الأمنية تخص القائمين على الأعمال التجارية وحدهم، بل حرصت السلطات التي تقع داخل نفوذها هذه الطرق على إقامة علاقات حسنة مع بعضها، وتبادلت السفارات فيما بينها في هذا الشأن، ولهذا نجد سلاطين مملكتي الكانم والبرنو حرصوا على أن تكون علاقتهم حسنة مع كل من

(1) عمر أحمد سعيد (دور حركات التجديد الإسلامي في غرب إفريقية)، ص127 ـ 128.

(2) أبو محمد عبد الله التيجاني، رحلة التيجاني، ص212.

(3) عبد الفتاح مقلد بكر، سلطنة البرنو حتى سنة 1808. رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ص185 وما بعدها.

الدولة الحفصية ومصر، والتعاون فيما بينهم لدرء أي خطر يهدد الحركة التجارية طوال تلك الفترة[1]، إضافة إلى ذلك تأثر مايات الكانم ـ البرنو بأهمية الدولة الحفصية في العالم الإسلامي، فعند سقوط الخلافة في بغداد ـ منتصف القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي ـ رأى أهالي الكانم أحقية سلاطين الحفصيين بلقب الأمير أو الخليفة، وهذا ما نلاحظه في سجلات مايات الكانم الرسمية[2].

### 8 - دفع الإتاوات :

كان التجار يقومون بدفع الإتاوات اللازمة في العديد من المراكز التجارية التي يمرون بها أو يروّجون فيها بضائعهم، وكانت عادة ما تدفع كسلع تحتاجها سكان هذه البلاد.

فقد كان الطوارق مثلاً يحصلون على مقادير من القمح مقابل خدماتهم التي يقدمونها للتجار مقابل مرورهم[3]، ويشير ابن بطوطة إلى ذلك بقوله: "ووصلنا بلاد هكار، وهم طائفة البربر ملثمون لا خير عندهم ولقينا أحد كبرائهم، فحبس القافلة حتى غرموا له أثواباً وسواها"[4].

كما يشير ابن حوقل إلى ذلك في حديثه عن مدينة أجدابيا بقوله: "وواليها القائم بما عليها. . . وله وراء ما يقبضه للسلطان لوازم على القوافل الصادرة والواردة من بلاد السودان"[5].

---

(1) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص52. حيث يذكر في هذه العلاقات "وفي سنة خمس وخمسين وصلت هدية ملك الكانم من ملوك السودان وهو صاحب برنو مواطنه قبلة طرابلس وكان فيها الزرافة فكان لها بتونس مشهد عظيم".

(2) ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، ص95.

ـ وللمزيد راجع صالح الصادق السباني، مملكة كانم برنو وعلاقتها بأقطار الشمال الإفريقي من القرن الثالث إلى العاشر الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1989، ص100.

(3) Assoiet Cierct. A: Histoire Des Peuples Noires, p34.

(4) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص306.

(5) أبو القاسم بن حوقل، صورة الأرض، ص70.

وإضافة إلى هذه القوانين التي تنظم سير القوافل كانت هناك بعض الأعراف الأخرى التي يراعيها التجار أثناء مسيرهم، حيث يورد ابن بطوطة في حديثه عن بلاد السودان منها: "كان يخصص التجار عدداً من الإبل للركوب ومنها لنقل الزاد بقوله: "وكان لي جمل وناقة لحمل الزاد"[1].

وكان التجار يتقاسمون الأحمال متى عجزت جمال أحد منهم، مثلما فعل التجار الغدامسيون الذين رافقهم ابن بطوطة في طريق تكدّ عندما تقاسموا أحمال ناقته التي وقفت عن السير حيث أورد نصاً في ذلك بقوله: "فلما رحلنا أول مرحلة وقفت الناقة، فأخذ الحاج وجين ما كان عليها وقسّمه على أصحابه فتوزّعوا حمله"[2].

ومن الأنظمة المتعارف عليها أن قطّاع الطرق كانوا لا يهاجمون القوافل أثناء سيرها في شهر رمضان حتى لو وجد السارق المتاع بالطريق دون حراسة[3]، وفي هذا دليل على تعمق مفاهيم الإسلام وسط مفازات الصحراء، وتحقيقاً للأمان والطمأنينة في قلوب التجار، وإلى جانب ما أورده ابن بطوطة حرصت القوافل التجارية على اختيار الطريق الأقصر والأكثر مورداً للماء والكلأ لإبلهم منعاً لهزالها[4].

كذلك نشأت لدى سكان المراكز التجارية تقاليد ثابتة في المعاملة، حيث كانوا يخرجون لاستقبال القوافل بالترحاب وأحياناً بالدفوف عند وصول القوافل إلى مدنهم لأنها تبعث فيهم روح البهجة والسرور، ولأنهم يستفيدون من تجارتها[5].

كذلك حرص التجار على أن يكون لهم وكلاء في مختلف المراكز التي يبتاعون فيها سلعهم، وهؤلاء الوكلاء ينوبون عنهم في مختلف المعاملات طوال مدار

(1) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص306.
(2) المصدر نفسه، ص305.
(3) المصدر نفسه، ص306.
(4) زين العابدين عبد الحميد السراح، دولة كانم الإسلامية، 154.
(5) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص303.

السنة[1]، ويقومون باستقبالهم وتوفير الاستراحات الجاهزة لقضاء الليل مع وفرة المؤن، وإذا مات أحد التجار في بلاد السودان يحافظون على أمواله وتجارته مهما كان شأنها إلى أن تُردَّ إلى أهلها.

هذا هو النظام الذي كانت عليه القوافل التجارية المتجهة لبلاد السودان وبالعكس تتبعه في رحلاتها عبر الصحراء، ومن خلاله تصل القوافل محملة بمختلف البضائع الواردة والصادرة، ويتم استبدالها بما تصدِّر هذه المناطق من تجارات، ويستفيد التجار من الفارق في القيمة أثناء عمليتي البيع والشراء بما يتناسب مع نوعية البضاعة وقيمتها.

(1) المقريزي، جني الأزهار من الروض المعطار في عجائب الأمصار، مخطوط، جامعة القاهرة، ورقة2.

# الفصل الثالث

# السلع التجارية ونظم التعامل

1 - سلع صادرة من السودان الأوسط.

2 - سلع واردة إلى السودان الأوسط.

3 - نظُم التعامل.

**السلع التجارية:**

سبقت الإشارة إلى المراكز التجارية التي انتشرت في كل من بلاد السودان، والبلاد الليبية، والطرق التي ربطتها خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، لذلك فإن دراستنا للحركة التجارية بين هذه المراكز لا تكتمل إلا بتعريف السلع التي يتم نقلها من خلال تلك المراكز والممالك، حيث نجد القوافل التجارية تقوم بهذا الدور بين الشمال والجنوب من جهة وبين أوربا ومصر وبلاد المغرب من جهة أخرى[1].

ويزيدنا ابن خلدون بياناً حول هذا الموضوع بقوله: "ولهذا تجد التجار الذين يولعون بالدخول إلى بلاد السودان أرفه الناس وأكثرهم أموالاً لبعد طريقهم ومشقته.. فتجد سلع بلاد السودان قليلة لدينا فتختص بالغلاء وكذلك سلعنا لديهم فتعظم بضائع التجار من تناقلها ويسرع إليهم الغنى[2]"، واستناداً إلى ذلك فالفارق الشاسع في قيمة البضائع جاء نتيجة طول الطريق ومشقته، لذلك دأب التجار على نقل العديد من السلع المحمَّلة واستبدالها في كلٍّ من المراكز الليبية وممالك السودان الأوسط، فكانت في صورة سلع صادرة من بلاد السودان إلى المراكز الليبية وبالعكس مما تحتاجها المنطقتان.

(1) يوسف فضل حسن (العرب وإفريقية) مجموعة من البحوث، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، يناير 1984، ص39.

(2) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص219.

# 1 - السلع الصادرة من بلاد السودان إلى المراكز التجارية الليبية

**التبر (خام الذهب):**

شكّل الذهب المادة الأساسية للحركة التجارية لبلاد السودان مع المراكز التجارية الليبية التي تعد حلقة الوصل مع مصر والبلاد الأوربية، حيث كان التجار يعودون محمّلين بالذهب، وهذا ما كان يدفعهم إلى تحمّل مشاق السفر وقطع المراحل الطويلة الشّاقة في الصحراء، وتميّزت المراكز التجارية الليبية بدور الوسيط في نقل مادة هذا المعدن إلى الشمال؛ ليقوموا ببيعه لتجار جنوه والبندقية الذين أنشؤوا في تلك الفترة فنادق على الساحل لممارسة تجاراتهم[1].

كما نقل هذا المعدن إلى مصر، وكان الذهب يمثّل عنصراً أساسياً لبلاد البرنو والكانم، حيث كان تجار هذه الممالك يحصلون عليه من مناطق السودان الغربي[2]، مع ما كانوا يحصلون عليه عن طريق تجار مملكة أنكرة الهاوسية التي تتاخمها من ناحية الجنوب البلادُ التي يوجد فيها الذهب بكميات وفيرة، حيث يرسلون خدمهم إلى هذه المنطقة التي يصفها الوزان أنها تحوي جبالاً عالية ووعرة، لا تستطيع الدواب أن تمر بها، وبذلك يستخدم التجار الخدم ليحمل كل واحد منهم ما زنته مائة رطل من التبر على رأسه ويقطع مسافة عشرة أميال[3].

(1) عبد الفتاح حسين بكر، سلطنة البرنو حتى 1808، ص138.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، م12، ص328.

الحسن الوزان، وصف إفريقية، ص175.

(3) الحسن الوزان، وصف إفريقية، ص175.

ويتم تصنيع هذا المعدن أولاً في بلاد السودان في شكل سبائك[1]، وهذه السبائك يجلبها التجار إلى مصانع ضرب العملة في الشمال عبر الأراضي الليبية حيث تتم إعادة تصنيعها من جديد إما في صورة العملة أو الحلي، كما أن التجار يحملون أحياناً التبر وهو المادة الخامٍ ليتم تصنيعه في الشمال[2].

ويعد الذهب في مقدمة الصادرات السودانية من حيث القيمة، كما أنه كان يغطي وحدهُ أثمان كل البضائع المجلوبة، وبهذا شكل وحدة التعامل الأساسية، حيث أفادنا الحسن الوزان في نهاية القرن التاسع الهجري أن الذهب كان يتعامل به كثيراً دون شك، والتعامل به في الأشياء باهظة الثمن، في حين ظلت البضائع قليلة الثمن تقدر بما يناسبها من السلع الأخرى[3].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن ذهب السودان كان يغطي احتياجات المغرب وأقطار أوربا[4]، ونتيجة لأهمية هذا المعدن فقد كان يخضع في تصنيعه لرقابة سلاطين السودان والمغرب على السواء لما يمثله من خدمة اقتصادية لدولهم[5]، وأنه كان من السلع المحتكرة على الطبقة الحاكمة.

---

(1) عرفت شعوب بلاد السودان طريقة تصنيع الذهب - حيث تتم إذابته من مادة خام (التبر) بالنار بعد أن يكسر ويهرس بمهراس، ثم يغربل بغربال قد أعد لذلك، فما على الغربال يسمى عشوراً وما خرج عنه فيحك بالزئبق حكاً منعماً فما تقبله الزئبق فهو الذهب، ثم تؤخذ عشينة الزئبق المخلوطة بالذهب وتحمى بالنار، فيذهب زئبقها ويبقى الذهب، فيخلط بالعشور ويوزن ويحفظ وزنه ثم يسبك بالنار إلى أن يذاب ثم يصب قوالب معينة، وهي التي تسمى السبائك - دريد عبد القادر نوري (ازدهار الصناعة والزراعة في بلاد السودان الغربي بعد القرن الخامس الهجري) المجلة العربية للعلوم الإنسانية مجلد 6، الكويت 1986، ص97.

وللمزيد انظر ملفات حسن الفقيه حسن، وثيقة كيفية استخراج الذهب وبأي مكان يوجد، مركز الجهاد الليبي، رقم 34/ 31، ورقة 1.

(2) المرجع نفسه، ص98.

(3) الحسن الوزان، وصف إفريقية، ص144.

(4) أحمد فتوح عابدين، الحواضر الإسلامية بغرب إفريقية، ص405.

(5) دريد عبد الفتاح نوري (ازدهار الصناعة والزراعة في بلاد السودان الغربي)، ص98.

**النحاس:**

كان النحاس من السلع المهمة في التجارة وتعود أهمية هذا المعدن إلى دولة غانا إذ كانت مركزاً لتصديره منذ وقت مبكر، ويتم تعدين هذه المادة في آهير في المنطقة الشمالية من بلاد السودان الأوسط[1]، حيث يشير ابن بطوطة إلى كيفية استخراجه في المنطقة المحيطة خارج تكدّ بقوله: "معدن النحاس بخارج تكدّ يحفرون عنه الأرض ويأتون به البلد، فيسكبونه في دورهم بفعل عبيدهم وخدمهم، فإذا سكبوه نحاساً أحمر، صنعوا منه قضباناً في طول شبر ونصف، بعضها رقاق وبعضها غلاظ. ."[2] وكانت تستخدم هذه القضبان كعملة شرائية، واستخدم النحاس أيضاً للزينة كأساور وأقراط وتحف معدنية، كما استخدم كأوانٍ نحاسية ولوازم للخيل كاللجام وحلقة القدم من ألواح السروج، واستخدم كحلقٍ للأبواب وعلى شكل أقفال[3]، وعلى عكس الذهب فقد كان تصنيع النحاس يتم بواسطة عامة الناس للاستفادة من مصنوعاته في حياتهم اليومية سواء باقتنائها أو استبدال رقاقه بالسلع القادمة من البلدان الأخرى.

وبذلك عدّ من الحرف الرئيسية التي مارسها الزنوج[4]، حيث كان تجار هذه المنطقة يحملون ما يصنع من هذا المعدن إلى كل من المغرب ومصر ومالي وبرنو، وشكلت المراكز التجارية الليبية حلقة في وصول تجارة هذا المعدن إلى الشمال[5].

---

(1) جميلة امحمد التكتيك، دولة سنغاي الإسلامية، ص147.

(2) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص305.

(3) جملية امحمد التكتيك، دولة سنغاي الإسلامية، ص147.

(4) دريد عبد القادر نوري (ازدهار الصناعة والزراعة في بلاد السودان الغربي بعد القرن الخامس الهجري)، ص98.

(5) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص305.

- محمد أنور توفيق، دولة سنغاي الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1977، ص96.

**الجلود:**

من أهم المنتوجات الهاوسية والكانمية نتيجة لما يوجد في هذه المنطقة من حيوانات برية ومنها الفهود والنمور والثعابين وغيرها من الحيوانات الأخرى إضافة إلى جلود الحيوانات التي يربيها أهالي المنطقة، وأهمها جلود الثيران السودانية الضخمة وتعرف باسم "كلابو" وجلود الإبل والبقر والمعز، حيث يتم الاستفادة من جلودها محلياً أو تصدر إلى المراكز التجارية الليبية سواء أكانت في صورة مادة خام أم مصنعة[1].

وقد اشتهرت غدامس كمركز تجاري بصناعة الجلود ودباغتها وبلغت أعلى مرتبة في هذه الصناعة، فقد كان يحصل أهالي هذه المدينة على المادة الخام بما يصلهم من بلاد الكانم والهاوسا، وكانت صناعة الجلود في غدامس تتم على نفس طريقتها في بلاد الكانم، ومن المؤرخين من أشار إلى ذلك ومنهم أبو الفداء في القرن الثامن الهجري بقوله: "وفي غدامس جلود مفضلة وهي على طريقة بلاد السودان المعروفين بالكانم"[2]، ويتم تصدير هذه المنتوجات الجلدية من خلال المراكز التجارية الليبية الواقعة على ساحل البحر المتوسط لتجار المدن الإيطالية[3]، وبذلك شكلت الجلود وملحقاتها أهم صادرات الممالك السودانية مع ليبيا، وكانت تسلخ الحيوانات مثل النمور والتي كانوا يصنعون من جلودها أحسن أنواع السروج[4].

---

(1) إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية البرنو الإسلامية، ص165.

(2) عماد الدين أبو الفداء، تقويم البلدان، ص149.

(3) سلفاتوري بونو (العلاقات التجارية بين بلدان المغرب وإيطاليا في العصر الوسيط)، ص327.

(4) زين العابدين عبد الحميد السراج، دولة الكانم الإسلامية، ص162.

**بيض وريش النعام[1]:**

من البضائع التي راجت ضمن التبادل التجاري بين المناطق الإفريقية والمناطق الليبية الشمالية يبرز بيض وريش النعام الذي يحمله التجار إلى مناطق القارة الشمالية ومنها إلى أوروبا، وقد كان بيض وريش النعام من البضائع التي يتم تصديرها من بلاد السودان الأوسط، وتشكل هذه السلعة رواجاً كبيراً في الأسواق حيث يقبل عليها التجار فيجلبون منها كميات كبيرة أثناء رجوع قوافلهم من بلاد السودان، ويستخدم ريش النعام كمراوح للتهوية وللزينة في البيوت والقاعات، أما بيض النعام فقد كان يستعمل في تركيب الأدوية وللزينة أيضاً، وكانت هذه السلعة غالية الثمن، وهي من السلع المهمة التي تلاقي إقبالاً كبيراً من قبل التجار الليبيين حتى وقت متأخر، حيث يشير محمد عمر التونسي إلى اقتناء هذه السلعة في بلاد السودان بقوله: "وكان جملة ما جاء به أحد تجار فزان دهن النعام، فإنه جاء منه بكثير.. وباع في داره الظّليم بثلاثة ريالات"[2].

**الشب:**

ومن الموارد الطبيعية التي تحويها بلاد السودان الأوسط وتختص بها مملكة الكانم الشب؛ الذي شاع صيته في بلاد كوار[3]، فقد ذكره الإدريسي في القرن السادس الهجري كشهرة لبلاد كوار بقوله: "وهي أرض مشهورة وبلادهم مقصودة ومنها يخرج الشب المعروف بالشب الكواري، وما يعدلُه شيء في الطيب"[4]، كما أشار له أبو الفداء في القرن الثامن الهجري أيضاً[5]، ويستخرج الشب من بحيرة كوار

(1) النعام وهو الطائر المعروف ذكره، يدعى الظليم ويتواجد في أواسط الصحراء، ويشبهون بريشه شعر النساء لجماله ونعومته، ويصنع من ريشه الوسائد، ويستخدمون من شحمه مرهماً لعلاج الروماتيزيوم والتمزقات العضلية. امحمد سعيد القشاط، صحراء العرب الكبرى، ص139.

(2) محمد عمر التونسي، تشحيد الأذهان، ط6، ص295.

(3) نجاة باشا، التجارة في المغرب الإسلامي، ص69.

(4) عبد المنعم الإدريسي، نزهة المشتاق، ص162.

(5) عماد الدين أبو الفداء، تقويم البلدان، ص128.

وينقل عبر الأراضي الليبية إلى مصر، وبلغ شب كوار سمعة عظيمة في كثير من بلدان المغرب وأوروبا بسبب جودته وعظم كمياته المصدرة، ويشكل أحد العناصر المهمة في الاقتصاد الكانمي، ووجد الشب أيضاً في (تملمة) إحدى مدن مملكة الكانم[1]، واستخدم في دباغة الجلود وصناعة الصوف ومن أشهر أنواعه النوع المعروف بالريشي[2].

**الرقيق:**

ويكاد يكون من المتفق عليه بين الكثير من الكتاب والمؤرخين أن الرق كان معروفاً منذ القدم سواء في القارة الإفريقية أو غيرها من بلدان العالم، وعادة ما كان ينشأ نتيجة للحروب، حيث مر الرق بمراحل وتطورات عديدة منذ العصور القديمة وطوال العصور الوسطى والحديثة، والرق كان موجوداً لدى قدماء المصريين وفي بابل وآشور وفلسطين ولدى الهنود والفرس والصينيين، ولدى الدولة اليونانية والرومانية، كما ذكرته التوراة في مواضع مختلفة والمسيحية فيما جاء في رسائل الحواريّين بولس وبطرس وغيرها من النصوص الدينية. وعندما جاء الإسلام كثورة اجتماعية حثّ على عتق الرقيق وإطلاق سراحه، إلا أنه بقي مشروعاً لدى الشعوب الأوروبية والأمريكية حتى بداية القرن التاسع عشر - عندما أنهت مشروعيته الدول الأوروبية في مؤتمر برلين سنة 1159هـ - 1815م، ولكنه لم ينته نهائياً بصورته القديمة حتى أوائل القرن العشرين[3].

لم تهتم المصادر التاريخية وخاصة العربية منها بتجارة الرقيق، إلا خلال القرن التاسع الهجري - الخامس عشر الميلادي، باستثناء بعض الإشارات التي يفهم من خلالها أن تجارة الرقيق كانت تقتصر على ما يستخدم منهم في قصور الخلفاء

(1) زين العابدين عبد الحميد السراج، دولة الكانم الإسلامية، ص162.

(2) سلفاتوري بونو (العلاقات بين بلدان المغرب وإيطاليا في العصر الوسيط) ص227.

(3) صبحي محمد نافع (بحث عن تجارة الرقيق في غرب إفريقية وآثارها العالمية)، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1970، ص1 - 2.

والملوك. ومن هذه الإشارات ما جاء في وصف مدينة زويلة، من قبل صاحب كتاب الاستبصار بقوله: "وهي مجمع الرفاق وإليها يجلب الرقيق"(1)، وكان المسلمون يحسنون معاملة الأرقّاء، لأن الإسلام حثّ على ذلك، وبذلك ظلت هذه التجارة تتصف بمحدودية الطلب بالرغم من وجودها المتوارث(2)، والذي يرجع جذوره إلى ما قبل الإسلام.

غير أن تجارة الرقيق عبر الأراضي الليبية مثلت منذ منتصف القرن التاسع الهجري إلى بداية القرن الثالث عشر الهجري منعطفاً آخر، عندما لقيت رواجاً كبيراً، وذلك بسبب مطالب البلاد الأوربية لأعداد بشرية هائلة وخصوصاً في إبان عصر النهضة وبواعث حركة الكشوف الجغرافية الحديثة.

وتعد بلاد البرنو إحدى المناطق التي تزود الحركة التجارية بأعداد وافرة من الرق الأسود، حيث وصل عدد الرقيق الذي يصدر من إفريقية سنوياً إلى مائة ألف نسمة يتم تشغيلهم في كافة البلدان الأوربية(3)، وبهذا تمثل تجارة الرق وانتشارها بهذه الصورة والحجم، وفي هذه الفترة التاريخية نقطة سوداء في تاريخ البشرية لما يترتب عليها من آثار سيئة مازالت تعاني منها المجتمعات المعاصرة.

**الثياب:**

تعد الثياب والأقمشة من السلع المتبادلة بين طرفي الصحراء وقد تمكن أهل الكانم من صناعة نوع من القماش يسمى دندي حيث يورد القلقشندي "ومعاملتهم بقماش ينسج عندهم يسمى دندي"(4)، وطول كل ثوب من هذا القماش عشرة أذرع فأكثر، وقد كانت أثواب بلاد السودان عادة ما يتم تجسيدها بالزعفران الذي يتم جلبه

---

(1) مجهول، الاستبصار في عجائب وغرائب الأمصار، ص146.

(2) صبحي محمد نافع (بحث عن تجارة الرقيق في غرب إفريقية وآثارها العالمية)، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1970، ص12 ـ 13.

(3) رفيق الخشاب وآخرون، إفريقية جنوب الصحراء، بغداد، 1978، ص91 وما بعدها.

(4) أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص270.

من المراكز الليبية، وتعرف بالمنسوجات المجسدة[1]، وقد اشتهرت في مدينة غدامس أنواع شتى من هذه الأثواب وعرفت بأماكن تصنيعها في بلاد السودان فعرف الغدامسيون "حموكوكا" ثوب كوكا، وكتان زيرما، الدال زيرما، وغيرها من منسوجات السودان الأوسط والغربي[2]، وعرفت بلاد السودان أيضاً تصدير العديد من السلع الأخرى ومنها الأدوية؛ وكانت عبارة عن مركبات عشبية وضمادات وبعض من أحشاء الحيوانات النادرة[3].

كما صدّرت البرنو الخرز[4]، وشكلت سلع الصّاج والأبنوس، والعنبر، والحرير، والحديد، والصوف وجباب الصوف، والرصاص، والزئبق، والعطور، بعض الأهمية لدى التجار في تجاراتهم مع الشمال[5]، إضافة إلى العسل والأواني الخشبية المصنوعة في البلاد الهاوسية[6]، كما كانت واحات كوار تشتهر إلى جانب ملح الشب بتجارة النطرون الذي يوجد فيها بكميات وفيرة، ويحمله تجار فزان إلى الشمال[7].

هذه هي أهم السلع التي اشتهرت بتصديرها بلاد السودان الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، ونقلها التجار عبر المراكز التجارية الليبية إلى الشمال ليتم استبدالها بما يرد لها من بضائع عبر البحر المتوسط عن طريق تجار بيزا وجنوة والبندقية، الذين حرصوا على إقامة علاقات حسنة مع طرابلس، حيث نجد

---

(1) إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية البرنو الإسلامية، ص163.

(2) تعرف الباحث على وجود هذه الأثواب في مهرجان غدامس السياحي الرابع بتاريخ 15. 10. 1999ف.

(3) أحمد فتوح عابدين، الحواضر الإسلامية في غرب إفريقية، ص402.

(4) أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ص270.

(5) زينب أحمد هاشم، علاقة مصر بالدول الإسلامية في حوض نهر النيجر في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1982، ص96.

(6) عبد الفتاح حسنين بكر، سلطنة برنو حتى 1808، ص184.

(7) زين العابدين عبد الحميد السراج، دولة كانم الإسلامية، ص163.

تجار البندقية يوقعون معاهدة تجارية تؤمن تجارتهم مع حاكم طرابلس منذ فترة مبكرة تعود إلى أوائل القرن الثامن الهجري الموافق 714هـ/ 1356م[1].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن وصول هذه التجارة إلى البلاد الأوربية كان يتم بواسطة عدد من التجار اليهود الذين أقاموا في المراسي الليبية والتونسية، وقد قدر حجم التبادل التجاري القائم بين الدولة الحفصية ـ والتي تدخل طرابلس تحت نفوذها ـ آنذاك نهاية القرن السابع الهجري بنحو (30000) بيزنت بالعملة الإيطالية وما يقابلها (24000) ديناراً من العملة الحفصية، ويوضح لنا ابن خلدون في بداية القرن الثامن الهجري حجم القوافل التجارية المارة من بلاد السودان بنحو اثني عشر ألف جمل محملة بمختلف البضائع[2].

ويهذا شكل النشاط التجاري حلقة متكاملة من الجنوب إلى الشمال، ما كان لها أن تستمر إلا بنشاط تجاري مماثل، تقع مسؤوليته على القوافل التجارية لنقل السلع والبضائع التي تحتاجها شعوب ما وراء الصحراء من خلال المراكز التجارية الليبية في أكبر عملية تواصل إفريقية.

(1) سلفاتوري بونو (العلاقات التجارية بين بلدان المغرب وإيطاليا في العصر الوسيط)، ص329.
(2) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص405.

## 2 - سلع واردة لبلاد السودان

تمثل حاجة أهل السودان الأوسط من السلع والبضائع الواصلة لها من الشمال أهمية كبرى في معيشتهم؛ لعدم وقوع هذه المنطقة على أية منافذ بحرية تصلها مع العالم الخارجي، وبالتالي نالت الممالك الصحراوية الواصلة لبلاد السودان من ناحية الأراضي الليبية اهتماماً واسعاً من طرف حكام ممالك هذه المنطقة كما عرفنا في الفصول السابقة؛ لأنها تزودهم بحاجتهم من السلع والمواد الغذائية محققين لمواطنيهم الاستقرار السياسي والاقتصادي[1].

ومن هذه السلع الواصلة لبلاد السودان الأوسط:

**الخيول:**

كانت الخيول عنصراً أساسياً لواردات أهل السودان الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، وذلك بعد أن أدرك السلاطين الأفارقة أهميتها في بناء جيوشهم لتوسيع ممالكهم، وعادة ما تتم مقايضة الخيول من قبل التجار ببعض السلع السودانية وأهمها الرقيق، وكانت مملكتا الكانم والبرنو من أهم الممالك السودانية التي مارست تلك المقايضة[2]، ويزودّنا القلقشندي بمعلومات عن وصول هذه السلعة من برقة إلى بلاد السودان بقوله: "أما مواشيها ففيها الخيل العربي المشابهة لخيل برقة"[3]، كما يحدثنا الحسن الوزان في مطلع القرن العاشر الهجري عن الكيفية التي تتم بها مقايضة هذه البضاعة، من طرف ملك البرنو في تلك الفترة بقوله: "وكان الملك الحالي لهذه البلاد جاء بتجار من بلاد البربر ليأتوه بخيل يستبدلونها بعبيد، يأخذون مقابل كل فرس خمسة عشر أو عشرين

(1) إبراهيم علي طرخان، امبراطورية البرنو الإسلامية، ص165.

(2) محمد المبروك يونس، ليبيا في مسار العلاقات العربية الإفريقية، ص39.

(3) أحمد القلقشندي، صبح الأعشى ج5، ص108.

عبداً"[1] ، ولأهمية الخيول لدى سلاطين البرنو يفهم مما ذكره الوزان أن سلطان البرنو كان يشن غارات على الأطراف الجنوبية لمملكته لكي يحصل على العدد الكافي من الأرقاء، لتتم مقايضتهم بالخيول التي جلبها التجار[2] .

أما تجارة الخيول فكانت من التجارات الصعبة في وصولها إلى بلاد السودان الأوسط، وذلك بسبب مشقة الطريق وندرة المياه، حيث كان قسم كبير منها ينفق في الطريق من جراء ذلك ولم يبق منها إلا اليسير، ولذلك يلجأ التجار لمضاعفة أثمانها لتعويض النقص الناتج عن تلك الخسارة[3] ، واستعملت الخيول في بلاد السودان الأوسط كسلاح حديث في تلك الفترة، ونتيجة لقلة ما يصل منها، فقد اقتصر استعمالها على أرومة السلاطين والقادة والجيوش، ولندرتها أيضاً تبادلها سلاطين السودان كهدايا فيما بينهم[4] ، وتجدر الإشارة إلى أن تجارة الخيول ظلت منتعشة طوال تلك الفترة حتى بدأ الأوربيون منذ النصف الثاني من القرن التاسع الهجري - الخامس عشر الميلادي يطرقون أبواب إفريقية ويغالون في تجارة الرقيق[5] .

**الملح:**

بالرغم من أن منطقة كوار كانت إحدى المناجم الرئيسية لاستخراج الملح وتزوِّد بلاد السودان الأوسط بحاجتها منه، إلا أن الملح الذي يجلبه التجار من الواحات الليبية يعد من أجود أنواع الملح وبذلك يبرز كمصدر رئيسي للتجارة القادمة من البلاد الليبية، إذ كانت تتم مبادلته بالذهب بسبب ندرة إنتاجه الجيد في المناطق الإفريقية[6] ،

(1) الحسن الوزان، وصف إفريقية، ص175 .

(2) المصدر نفسه، ص177 .

(3) محمد أنور توفيق، دولة سنغاي الإسلامية، ص102 .

(4) عبد القادر مصطفى، أخبار البلاد الهاوسية والسودانية، ورقة 14 .

(5) سعد زغلول عبد ربه (تجارة الرقيق وأثرها على اقتصاد غرب إفريقية) المجلة التاريخية المصرية م20، دار الكتب، القاهرة، 1973، ص103 .

(6) محمد المبروك يونس، دور ليبيا في مسار العلاقات العربية الإفريقية، ص39.

وقد أشار الرحالة ابن بطوطة في منتصف القرن الثامن الهجري إلى ذلك بقوله : "وبالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة"[(1)] .

ولأهمية الملح القصوى في حياة أهل السودان الأوسط صار عملةً شرائيةً في مختلف الأقاليم السودانية ، وبالتالي مثلّ دوراً أكبر في توطيد العلائق بين السودان والمراكز التجارية الليبية[(2)] ، التي تحوي الكثير من السّبخات التي يتواجد فيها الملح حيث كانوا يتاجرون به ويبيعونه بأغلى الأثمان ، وبذلك كانت حاجة أهالي السودان لهذه البضاعة تفوق أية سلعة أخرى ، ويعمدون إلى البحث عنها بمختلف الوسائل ، وإلى جانب ذلك كان حمل الجمل من الملح يساوي ما بين مائتين وثلاثمائة دينار[(3)] .

**المنسوجات:**

وهي أشهر البضائع التي كان يتبادلها الجانبان ، وأهمها المنسوجات المجسدة بالزعفران والأقمشة والثياب والحرير القادمة عن طريق تجار المراكز الليبية ، وما يصلها من مصر والبلدان الأوربية[(4)] ، ومن المنسوجات التي وصلت إلى المراكز التجارية الليبية - ومنها فزان وغات - من بلاد السودان الأوسط الأقمشة القطنية البيضاء والمحمودي ، والأقمشة القطنية المصبوغة من النوع المالطي ، وصدرت غدامس برانس الأقمشة والملابس المصبوغة من القماش التي تصنع زخارفها بتونس ، ومختلف أنواع الشاشية للطوارق والفرسود وهو قماش هندي "يصنع من جبة الصوف" في فضلات أو مجهز وحائك الحرير ، وحائك بلاد الجريد ، إنزار قفصة[(5)] .

---

(1) ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص297 .

(2) قمر الدين محمد فضل الله (لمحة تاريخية عن مملكة سنغاي الإسلامية) ، مجلة الدعوة الإسلامية ، ع4 ، ص213 .

(3) زين العابدين السراج ، دولة كانم الإسلامية ، ص159 .

(4) جبريل أبو بكر (طرق القوافل وأثرها في تغذية العلاقات الثقافية بين ليبيا وجيرانها جنوب الصحراء) ، ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي ، كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ط1 ، 1995 ، ص86 .

(5) محمد عثمان الحشائشي ، الرحلة الصحراوية ، ص163 - 164 .

أما المراكز التجارية الليبية الشرقية فقد انفردت بتصدير الأقمشة القطنية لبلاد السودان الأوسط القادمة إليها من مصر[1]، وقد كانت هذه الأقمشة والمنسوجات تحظى بأهمية كبيرة لدى أهالي السودان، حيث نجد سلاطين الكانم وعلية القوم يحرصون على اقتناء الثياب الجميلة القادمة لهم من طرابلس والبلاد التونسية[2]، كما يؤكد صاحب كتاب تشحيذ الأذهان أن الودّاي تستورد الثياب والملايات من جهة فزان، ويضيف في موضع آخر بخصوص تجارة الودّاي مع فزان بقوله: "ويستجلب أغلب بضائع الوداي من فزان ومن النادر من دار فور فاندر من برنو"[3].

**الزعفران:**

يعد نبات الزعفران من السلع المهمة التي وصلت إلى بلاد السودان الأوسط سواء أكان في صورة مادة خام أو منسوجات مجسدة أي مصبوغة بالزعفران[4]، كما أن هذه المنسوجات المجسدة تعد من ضمن السلع المتبادلة مع بلاد السودان الأوسط[5].

ونبات الزعفران يكثر إنتاجه في جبال غريان، كما يذكر الحسن الوزان في مطلع القرن العاشر الهجري وهو من النوع الممتاز لوناً وجودةً، حيث تفوق جودته أيَّ زعفران آخر مُصدَّر من اليونان أو تونس، وبالتالي فقد كان زعفران غريان مرتفع القيمة، كما يشير الحسن الوزان إلى أن إنتاجه سنوياً قد يصل إلى ثلاثين قنطاراً[6].

---

(1) زين العابدين السراج، دولة كانم الإسلامية، ص163 ـ 164.

(2) عبد الفتاح حسنين بكر، سلطنة البرنو، حتى 1808، ص182.

(3) محمد بن عمر التونسي، تشحيذ الأذهان، ج1، مخطوط، ورقة 132.

(4) جبريل علي أبو بكر (طرق القوافل وأثرها في تغذية العلاقات الثقافية بين ليبيا وجيرانها جنوب الصحراء)، ص85.

(5) إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية البرنو الإسلامية، ص106.

(6) الحسن الوزان، وصف إفريقية، ص106.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أهالي غريان مازالوا إلى وقتٍ متأخرٍ يمارسون زراعة نبات الزعفران في منطقتهم[1] .

**الكتب:**

اقترنت الأعمال التجارية القائمة مع بلاد السودان بانتشار الإسلام، فقد أخذ التجار على عاتقهم القيام بهذه المهمة على أكمل وجه، وبالتالي نقل هؤلاء التجار عدداً كبيراً من المؤلفات الدينية التي تشرح تعاليم الإسلام إضافةً إلى مؤلفات بعض العلوم الأخرى إلى مختلف أقاليم السودان، ولذلك كان الكتاب هو السبيل لانتشار الإسلام في هذه الممالك، وعبر المراكز الليبية انتقلت هذه الكتب وانتشرت بشكلٍ واسعٍ، وحرص السودانيون على اقتنائها، كما نجد في القرن التاسع الهجري وصولَ مؤلفات الزوايا الصوفية الموجودة في ليبيا إلى كلٍ من بلاد الكانم والبرنو وإلى ممالك الهاوسا، ومركزها مدينة كانوا وفيها مؤلفات الشيخ عبد السلام الأسمر، كالوصية الكبرى وشرح الطريقة العروسية، ومنها أيضاً مؤلف مروى الصدى للصالح الأوجلي[2] .

وهناك الكثير من المصادر الإسلامية التي كانت تدرس في مختلف مراكز السودان الأوسط قبل عهد عثمان بن فودي، وشملت العديد من العلوم كالحديث والنحو والصرف والتاريخ والفقه، وغيرها كثير من المصادر التي كانت تتداول في بلاد السودان الأوسط[3] .

---

(1) ظلت زراعة الزعفران في منطقة غريان إلى وقت متأخر، حيث يذكر لنا لايون وجود هذا المحصول في رحلته لمنطقة غريان سنة1819، بقوله: "نصبنا خياماً في حقل زعفران" "وتشتهر غريان بجودة الزيت والقمح والزعفران الذي ينتج بكميات كبيرة" ع. ف. لايون، مدخل إلى الصحراء، ص35.

(2) قريب الله محمد الناصر، الرسالة الجلية لمكانة نيجيريا العلمية، ص36 وما بعدها.

(3) ومن الكتب التي انتشرت في الممالك السودانية قبل عهد عثمان بن فودي في الحديث الموطأ للإمام مالك، وصحيح البخاري للإمام البخاري، شرح فتح الباري للعين، وفي النحو والصرف قطر الندى وبلّ الصدى لابن هشام، والفريدة للسيوطي.

ـ وفي التاريخ مقدمة وتاريخ ابن خلدون، وفي اللغة مقامات الحريري للحريري. وفي الفقه الرسالة لأبي محمد القيرواني، والمختصر لخليل الحطاب.

ـ المرجع السابق، ص38.

ولعل من المفيد أن نذكر أن أهل هذه المنطقة كانت لهم رغبة ملحة لاقتناء هذه الكتب وتبادلها فيما بينهم، ومن ثم فقد تكونت لديهم المكتبات الخاصة والتي تركت آثارها في المجتمع السوداني، وأدت إلى بروز المراكز العلمية المتعددة، فمدينة كانوا وحدها تحوي ما يزيد على ثلاثين مكتبة خاصة تحوي الآلاف من المخطوطات والكتب العربية النادرة، وتبرهن على عمق الاتصال العلمي المقترن بالحركة التجارية في هذه المناطق[1].

**العطور وأدوات الزينة:**

تعد العطور وأدوات الزينة والحلي الزجاجية من التجارات المهمة التي نقلها التجار من المراكز التجارية الليبية إلى بلاد السودان، وقد وجدت هذه السلع رواجاً وإقبالاً كبيراً خاصة لدى الطبقات الحاكمة والموسرة، وكانت العطور بمختلف أنواعها ترد من البلاد الأوربية[2]، ومن مواد الحلي والزينة: الأساور والخلاخل النحاسية[3]، ومن أدوات الزينة: عطر الورد والخشب الأسود المعطر المسمى قماري والمسك والخواتم ذات فصوص العقيق وعقود اللؤلؤ الزجاجي واللآلئ الملونة لصنع العقود[4].

كما كان المسك من أهم المواد العطرية التي يصدرها التجار إلى بلاد السودان الذين حصلوا عليه من حيوان قط المسك[5]، الذي كان يعيش في تلك الفترة بكثرة

---

(1) من مشاهدات الباحث في مدينة كانوا خلال زيارته إلى أقاليم السودان الأوسط بتاريخ 1. 6. 1999ف.

(2) نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975، ص127.

(3) دريد عبد القادر نوري، (ازدهار الصناعة والزراعة في بلاد السودان الغربي بعد القرن الخامس الهجري)، ص98.

(4) محمد عثمان الحشائشي، الرحلة الصحراوية، ص164.

(5) أشار الوزان إلى وجود تجارة هذه السلعة في تحدثه عن مدينة مصراته بقوله: "يأخذون البضائع التي تحملها إلى بلادهم سفن البندقية ويحملونها إلى نوميديا حيث يستبدلون بها الرقيق وقطط الزبادوالمسك" الحسن الوزان، وصف إفريقية.

وقط المسك الذي عثر عليه في شمال إفريقية، له كيس يحتوي على مادة صفراء كثيفة لها رائحة المسك بين أسته وعضوه التناسلي، لدى ذكوره وإناثه على السواء - جيمس ويلارد، الصحراء الكبرى، مكتبة الفرجاني، بيروت، ط1، 1967م، ص165.

في الصحراء الليبية، ومن هذه السلع كان التجار يجنون أرباحاً باهظة الثمن بالرغم من أن أغلبها كان يرد من مصر والبلدان الأوروبية، ويقتصر دور التجار الليبيين على دور الوسطاء الرئيسين لهذه التجارة[1].

**الودع:**

شكل الودع أهمية كبرى لدى شعوب بلاد السودان الأوسط والغربي على السواء، ولندرته فقد كان يستخدم عملة لاستبدال البضائع التجارية الأخرى، وقد أورد القلقشندي خلال القرن التاسع الهجري ما يفيد تداوله في تلك الفترة بقوله: "ويتعاملون أيضاً بالودع والخرز والنحاس المكسور"[2].

وعلى حسب ما أورده الحسن الوزان، فإن الودع كان يرد إلى بلاد السودان من شرق إفريقية والهند بواسطة التجار المغاربة والمصريين، حيث تمثل المراكز التجارية الليبية رافداً رئيسياً لوصول هذه السلعة[3]، وكثيراً ما كان الودع بجانب استعماله كعملة يستخدم كهدايا بين الملوك[4]، وكان يتخذ كحلي شائع الاستعمال بين طبقات المجتمع. ظل الودع يستخدم كعملة في بلاد السودان حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري عندما ألغى استعماله الحاج عمر الفوتي التكروري[5].

كما ظل الودع يستخدم إلى وقت متأخر كحلي تتزيَّنُ به النساء في كثير من المناطق الليبية، وهذا ما يؤكد اتصال الليبيين بشمال الصحراء مع أهالي السودان بجنوب الصحراء.

(1) جميلة امحمد التكتيك، دولة سنغاي الإسلامية، ص146.

(2) أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص270.

(3) الحسن الوزان، وصف إفريقية، ص537.

(4) عبد القادر مصطفى، أخبار البلاد الهاوسية والسودانية، ورقة 14.

(5) محمد أنور توفيق، دولة سنغاي الإسلامية، ص100.

**المصنوعات الحديدية:**

عرف أهل السودان الأوسط المصنوعات الحديدية عن طريق ما يصلهم من خلال القوافل التجارية، ومثلت هذه المصنوعات أهميةً كبرى خاصةً لدى الطبقات الحاكمة لممالك السودان، ومن هذه السلع الواصلة إليها من البلاد الليبية السيوف والمكاييل[1] والأسلحة منذ بداية القرن التاسع الهجري[2].

وقد نقلت صناعة الأدوات الحديدية إلى بلاد البرنو والهاوسا عن طريق القبائل الليبية التي وصلت في تلك الفترة إلى هذه المناطق، ومنها قبائل الشواء العربية الذين تميزوا إلى جانب فروسيتهم بصناعة الحديد، وكان لهم الفضل في قيام مملكة البرنو نهاية ا القرن الثامن الهجري، ولم تكن قبائل الشواء وحدهم الذين نقلوا تلك الصناعة، بل إن قبائل القرعان والزغاوة شاركوا أيضاً في انتقال الصناعات الحديدية إلى منطقة (تشاد) الشرقية بعد أن انتقلوا إليها من منطقة فزان في تلك الفترة[3].

وقد شكلت سلسلة جبال تيبتسي الواقعة جنوب زويلة وفزان والتي وصفتها المصادر العربية باسم جبل (طنطة) مصدراً مهماً لاستخراج الحديد الجيد، حيث يذكر الإدريسي ذلك، ويؤيده أبو الفداء في القرن الثامن الهجري بقوله: "وفي جنوبي فزان وودان مجالات أزكان وهم بربر مسلمون وفي جنوبهم جبل طنطة وهو كبير ممتد من الشرق إلى الغرب نحو ست مراحل وفي أسفله معدن الحديد الجيد"[4]، ولهذا فإن المصنوعات الحديدية بمختلف أنواعها كانت تشكل جزءاً كبيراً من أحمال القوافل التجارية المتجهة لبلاد السودان، وشاركت بنصيب وافر في زيادة قوة بعض الممالك الإسلامية من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية.

---

(1) أحمد فتوح عابدين، الحواضر الإسلامية في غرب إفريقية، ص404.

(2) أحمد سعيد الفيتوري، ليبيا وتجارة القوافل، الإدارة العامة للآثار، 1972، ص19 وما بعدها.

(3) محمد سليمان أيوب، مختصر تاريخ فزان من أقدم العصور حتى 1811، المطبعة الليبية، طرابلس، ص95.

(4) عبد المنعم الإدريسي، نزهة المشتاق، ص116.

- عماد الدين أبو الفداء، تقويم البلدان، ص137.

**سلعٌ أخرى:**

حملت القوافل التجارية المارة إلى بلاد السودان الأوسط من خلال الواحات الليبية كثيراً من السلع التي كانت لا تقل أهمية عن بقية السلع، ومنها التمور التي اشتهرت الواحات الليبية بأنواعها المتعددة، وبالرغم من وجود كميات هائلة من التمور في واحات الطرف الشمالي لبلاد السودان إلا أن التمور الليبية تفوقها من حيث النوعية والجودة، ولهذا كان الطلب عليها في كثير من المدن السودانية، وكان أصحاب القوافل يحرصون على نقل كميات هائلة منها لغرض التجارة أو لاعتمادهم عليها كطعام أساسي لهم طوال أيام سفرهم[1].

كذلك نقلت القوافل التجارية كميات هائلة من التين إلى بلاد السودان منذ فترة مبكرة ترجع إلى عهد الدولة الرستمية، وقد انفرد جبل نفوسة (الجبل الغربي) بهذا المحصول[2]، كما استوردت بلاد السودان قطع المرجان والأحجار الكريمة التي استعملت في الزينة، وصلتها من مصر وبلاد المغرب، وأدى التجار الليبيون دور الوسيط في وصول هذه السلعة إلى بلاد السودان، ومن السلع الواصلة إلى بلاد السودان الأدوية، وكانت عبارة عن مركبات عشبية وضمادات وبعض أحشاء الحيوانات النادرة، كما استوردت بلاد السودان الأصبغة المركبة كاللونين الأرجواني والوردي[3]، وانفردت برقة بتجارة القطران والعسل منذ وقت مبكر، وكانت من السلع المصدرة إلى بلاد السودان، حيث يذكر ابن حوقل ذلك بقوله: "وبها من التجار وكثرة الغرباء في كل وقت ما لا ينقطع، طلاباً لما فيها من التجارة، وذلك أنها تنفرد في التجارة بالقطران الذي ليس موجوداً في كثير من النواحي"[4].

---

(1) محمد المبروك يونس، دور ليبيا في مسار العلاقات العربية الإفريقية، ص39 وما بعدها.

(2) أحمد سعيد الشماخي، السير ج1، ص232 وما بعدها.

(3) أحمد فتوح عابدين، الحواضر الإسلامية في غرب إفريقية، ص401 وما بعدها.

(4) أبو القاسم بن حوقل، صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت 1979، ص69.

وعبر الأراضي الليبية كانت تمر تجارة الورق، وهي المادة التي استخدمها السودانيون في مراسلاتهم، وحبهم الشديد لنسخ الكتب التي تصل إليهم من البلاد الليبية[1]، كما أن الإبل في تلك الفترة وجدت سوقاً رائجة في بلاد السودان، وكانت القبائل العربية المستوطنة حديثاً في ليبيا مصدراً لتلك التجارة منذ مطلع القرن الثامن الهجري، حيث وجد الحسن الوزان في مطلع القرن العاشر آثاراً لهذا النشاط[2].

(1) نجاة باشا (التجارة في المغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى القرن الثامن الهجري)، ص89.
(2) الحسن الوزان، وصف إفريقية، ص178.
- إبراهيم حركات (دور الصحراء الإفريقية في التبادل والتسويق)، البحوث التاريخية، ع1، 1981، ص33.

## 3 - نظم التعامل

قامت الحركة التجارية المتبادلة بين تجار طرفي الصحراء على العديد من النظم والطرق التي مكنتهم من مزاولة نشاطهم التجاري دون عناء، وساعدت هذه النظم على اكتمال عملية التبادل التجاري بين بلاد السودان والمراكز التجارية الشمالية الواقعة في الأراضي الليبية، وقد أشار بعض المؤرخين خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين إلى ذلك عند تحدثهم عن أهل هذه المناطق وذكر تجاراتهم، ولعل من أهم هذه الوسائل (العملة المتداولة بأوزانها ومقاييسها وأسعارها، وكذلك الوسطاء التجاريين وأساليب ترويج البضائع)[1].

**العملة:**

تباينت العملات المتداولة لدى الأمم المستفيدة من التبادل التجاري في تلك الفترة، وقد كانت عمليات البيع والشراء تتم إما عن طريق المقايضة (استبدال سلعة بما يقابلها من سلعة أخرى) وإما عن طريق دفعٍ نقديٍ مباشرٍ كثمنٍ لشراء السلعة المرغوب فيها، وبالتالي فإن دراستنا للعملة المتداولة هناك تتطلب الإلمام بعملات بلاد السودان وبلاد المغرب، ومن ضمنها العملة في المناطق الليبية، إضافة إلى العملات المعروفة في مصر والبلدان الأوربية.

غير أن العملة الموحدة بين دفتيّ الصحراء والتي اعتمدها أهالي المنطقتين على السواء هي المثقال الذهبي الذي تقدر قيمته على أساس أسعار جميع البضائع المتداولة، حيث ترجع في أصلها بما يساوي قيمته بالمثقال الذهبي، وعلى أساس هذه القيمة تقدر هذه السلع[2]، ويبدو أن هذا النظام هو شبيه بما يجري العمل به في العصر الحديث.

---

(1) أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص909 وما بعدها.

ـ الحسن الوزان، وصف إفريقية، ص99 وما بعدها.

(2) أحمد فتوح عابدين، الحواضر الإسلامية في غرب إفريقية، ص395.

وقد أدت المقايضة دوراً مهماً في تجارة الصحراء، ومن ثم فقد كانت السلع النادرة تشكل أهمية في تعامل التجار فيما بينهم، وكانت العملة الرئيسية في عدد من المراكز الليبية تخضع للعملة الحفصية السائدة آنذاك[1]، والمقايضة من أقدم النظم النقدية التي عرفها التجار، وهي استبدال بضاعة أو سلعة معينة بما يقابلها من سلعة أخرى[2].

ونظام المقايضة من الأنظمة التي عمل بها الكثير من التجار في مختلف مناطق العالم في العصر الوسيط، وقد شاع هذا النظام طوال العصر الإسلامي، حتى إنه كان يكاد وحيداً في التعامل لتصريف البضائع دون الحاجة إلى النقود المتداولة، وقد أفادنا صاحب كتاب "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" عن أهالي برقة في القرن الثامن الهجري بقوله: "وسكان برقة كلهم أهل بادية لا يبتاعون إلا بالأمتعة حتى إن منهم من يكون معه دراهم فيعرضها للبيع فيقول من يشتري مني هذه الدراهم، لأنها ليست عندهم نقداً ولا معاملة"[3].

ويبدو لنا من خلال ذلك أن الأسلوب الأكثر شيوعاً بين أهالي هذه المنطقة هو المقايضة دون الحاجة إلى وجود نقود، ولكن هذا لا ينفي وجود النقود المتداولة في تلك الفترة، بدليل شيوعها بين الأهالي؛ حيث إنَّ التجار الكبار كانوا يتعاملون بالنقود، ويفهم أيضاً أن النقود كعملة شرائية لدى أهالي برقة مازالت في بداية التعامل بها.

وكما نقل لنا العمري أيضاً فيما ذكره عن الذهب في بلاد السودان، والكيفية التي يتم بها تبادل هذه السلعة بالملح من قبل بعض التجار في دواخل بلاد السودان

---

(1) تم العثور على عدد من الدراهم الحفصية في قرية جناون بالجبل الغربي، حيث كانت تمثل نوعاً من العملة السائدة آنذاك - وهي موجودة الآن بالمتحف الجماهيري بطرابلس.

(2) مصطفى علي بسيوني، برنو في عهد الأسرة الكانمية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1990م، ص162 - 163.

(3) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص252.

بقوله: "إن الملح معدوم في داخل بلاد السودان، فمن الناس من يغرر به ويصل به إلى أناس منهم يبذلونَ نظير كل صبرة ملح مثلها من الذهب.. وحدَّثتُ أن من أمم السودان الداخلة لا يظهر لهم، بل إذا جاؤوا وضعوا الملح ثم غابوا فيضع السودان إزاءه الذهب، وإذا أخذ التجار الذهب أخذوا هم الملح"[1].

ونفهم من ذلك أن المقايضة كانت هي الأسلوب الأول في التعامل بين أهالي السودان وبعض التجار، حتى أن طريقة المعاملة في بداياتها كانت تتم بطريقة غير مباشرة، وهذا يرجع إلى تخوّف أهالي السودان وحذرهم الشديد من هؤلاء الناس الغرباء، ونتيجة لأهمية هذه السلع النادرة لدى أقوام المنطقتين فقد اعتُمِدَ هذا الأسلوب.

وذكر القلقشندي فيما يتعلق بالعمل بالدينار والدراهم الحفصية بقوله: "إن الدراهم نوعان أحدهما يعرف بالقديم والآخر بالجديد، ووزنها واحد إلا أن الجديد منها خالص الفضة، والقديم مغشوش بالنحاس للمعاملة وتفاوت ما بينهما، إذ كل عشرة دراهم عتيقة بثمانية دراهم جديدة، وإذا أطلق الدرهم عندهم فالمراد به القديم دون الجديد، ثم مصطلحهم: إن كل عشرة دراهم عتيقة بدينار وهذا الدينار مسمىً لا حقيقة له كالدنيار الحبشي بمصر"[2]، ويمكن أن نفهم أن المعاملة داخل الدولة الحفصية كانت تتم بالدينار الاسمي، وأنَّ هذا الدينار قيمته عشرة دراهم قديمة؛ لأنها رديئة، أما قيمته بالدراهم الجديدة فلا تزيد على ثمانية دراهم كما أن المعاملة كانت في مصر تتم بالدينار.

وانتشرت العملة الحفصية في كافة المراكز التجارية التابعة لها، وكانت الوسيلة الرئيسية للتبادل التجاري القائم بين تجار طرابلس والقيروان والمهدية من جانب، وتجار المدن الإيطالية من جانب آخر، وقد رسمت على عملات الدولة الحفصية

---

(1) المصدر نفسه، ص48.

(2) أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ص109.

العديد من العبارات الإسلامية منذ بداية سكها في عهد أبي زكريا أول سلاطين بني حفص، ومن هذه العبارات في عهد السلطان المذكور "الواحد الله، محمد رسول الله، المهدي خليفة الله" وفي الوجه الآخر "الأمير الأجل أبو زكريا يحيى بن أبي محمد بن أبي حفص"[1] مما يضفي عليها الطابع الإسلامي.

وإضافة لما ذكره القلقشندي حول تفاصيل العملة آنذاك في بلاد إفريقية، يذكر لنا صاحب كتاب «ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية» أن العملة الحفصية تنقسم إلى دنانير ودراهم، فأما الدنانير فهي مجزأة "كبقية النقد الذهبي في الإسلام إلى نصف دينار وربع دينار وأحياناً إلى ثمن دينار، وكان وزن الدينار الموحدي في الأصل، وكذا وليده الحفصي 4.72 جرام"[2].

كما اتخذت الدراهم الحفصية الشكل المربع، أما وزن الدرهم الواحد فكان جراماً واحداً ونصف، ولم يعتنِ الحفصيون بالعملة النحاسية إلا نادراً، وهذا يرجع إلى اقتناع أمرائهم بأن تكون عملتهم من الذهب والفضة، حيث كانت الدنانير تصنع من الذهب، أما الدراهم فصنعت من الفضة، فقد كان درهم الفضة في عهد السلطان أبي عمرو عثمان من سنة (839 ـ 893هـ) (1435 ـ 1488م) وهو آخر السلاطين المشهورين من بني حفص ـ مجزأً أيضاً إلى خمسة أسداس، إلى خروبة وهي أربعة أسداس الدرهم وإلى نصف ناصري وهو ثلاثة أسداس، وإلى قفصي وهو القيراط وهو سدس الدرهم[3].

وبالرغم من وجود هذه العملة النقدية وتداولها في المراكز التجارية الشمالية من البلاد الليبية، إلا أن التعامل بها ظل محدوداً وفي نطاق ضيق لا يصل إلى البلاد السودانية.

---

(1) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية، القسم الثالث، مكتبة المنارة، تونس، 1965، ص456.

(2) المرجع نفسه، ص457.

(3) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية، ص458.

أما المراكز التجارية الليبية الصحراوية فقد كان التعامل فيها يتم إما عن طريق المقايضة أو بالمثقال الذهبي، حيث نجد تجار غدامس يتعاملون بهذه العملة، ففي وثيقة يرجع تاريخها إلى القرن العاشر الهجري يذكر فيها أن المثقال الذهبي كان وحدة التعامل في مدينة غدامس، حيث ورد في هذه الوثيقة: "اشترى خالد بن يوسف بن خالج الغدامسي من والدِه يوسف المذكور البائع عن محجوزته عائشة بنت الحاج محمد بن خالد المذكور. . . جملة المذكور المبيع عشرة مثاقيل ذهباً"[1] وإضافة إلى المثقال الذهبي والدراهم، عرف التجار الليبيون الأوقية كوحدة للتعامل، حيث يذكر بعض المؤرخين أنها تساوي نحو سبعة وعشرين غراماً ونصف الغرام من الذهب[2].

وكان التعامل يتم مع بلدان أوربا بعملاتها وهي البرنت والدوقات مقابل الدينار في الضفة الجنوبية للبحر المتوسط[3]، وبالرغم من وجود هذه العملات الثابتة في المراكز التجارية الليبية إلا أن أغلب البضائع كانت تروج عن طريق المقايضة، وكانت السلع تدار من الطرف الجنوبي للصحراء حتى الطرف الشمالي وتأخذ طريقها إلى الشرق وشمال البحر المتوسط[4].

أما التعامل في بلاد السودان الأوسط فإنه يتم بالمقايضة، غير أن المعاملات المعتمدة كانت تمثل السلع النادرة والمطلوبة من قبل التجار، وهي تقوّم بالعملات الذهبية المتداولة، فيشير الحسن الوزان في مطلع القرن العاشر الهجري بأن أربعمائة

---

(1) خالد بن يوسف، وثيقة شراء، من أملاك عائلة قاسم، غدامس، وثيقة غير مصنفة، بتاريخ ربيع الأول 996هـ، مهرجان غدامس السياحي الرابع 1999.

(2) فاي منصور علي، أسكيا الحاج محمد وأحياء دولة سنغاي الإسلامية، منشورات الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1999، ص146.

(3) الحسن الوزان، وصف إفريقية، ص537.

ـ نجاة باشا، التجارة في المغرب العربي، ص90.

(4) علي الميلودي عمورة، طرابلس المدينة العربية ومعمارها الإسلامي، دار الفرجاني، طرابلس، 1995، ص293.

ودعة تساوي بما قيمته أوقية واحدة من الذهب، غير أن قيمته ظلت غير ثابتة تزيد وتنقص بحسب وفرته وندرته[1].

واستخدم الودع كعملة لشراء وبيع الطعام والاحتياجات المحلية[2]، في حين ظلت السلع الكبرى تقدر بالمثقال الذهبي، وهذا لا يعني قصوراً لهذه العملة؛ لأن كثيراً من الوثائق والمعاملات التجارية المنسوبة إلى نهاية العصور الوسطى وحتى العصور الحديثة لا تخلو من وجود الودع كعملة شراء متداولة بين مختلف السلع، فقد كان تجار غدامس يتعاملون في بلاد السودان بهذه العملة ومثاقيل الذهب على السواء، وورد في وثيقة للحاج محمد بن الحاج البليلي إلى عثمان بن الحاج يوشع الغدامسي صحة وجود هذه العملة: "وأما الدار الصغيرة جعلتها في السوق وسوّت مائة وثلاثين ألف ودعة"[3] كما كان الودع يقدم كعملة لتسديد الخراج في ممالك السودان وإلى أمير برنو على وجه الخصوص[4].

واستخدمت الثياب أيضاً كعملة لتقييم البضائع الأخرى في ممالك السودان الأوسط، ومنها مملكة البرنو حيث يذكر أحمد القلقشندي في القرن التاسع الهجري ذلك بقوله: "ومعاملتهم بقماش ينسج عندهم اسمه دندي، طول كل ثوب عشرة أذرع فأكثر"[5]، ويؤكد القلقشندي أهمية الثياب في المعاملة بقوله: "ويتعاملون أيضاً بالودع والخرز والنحاس المكسور والورق، لكنه جميعه يسعّر بذلك القماش"[6]، أما الملح فقد احتل مكانة فريدة في التجارة وأصبحت له أهمية كسلعة ثمينة ويشير ابن

---

(1) الحسن الوزان، وصف إفريقية، ص541.

(2) زينب أحمد هاشم، علاقة مصر بالدول الإسلامية في حوض النيجر، حتى القرنين 14 ـ 15، ص92.

(3) الحاج محمد البليلي، وثيقة شراء ملف غدامس، رقم التصنيف2، مركز الجهاد الليبيين، بدون تاريخ، ورقة 1.

(4) عبد القادر مصطفى، أخبار البلاد الهاوسية والسودانية، ورقة 14.

(5) أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص270.

(6) المصدر نفسه، ص280.

بطوطة إلى استخدام رقائق النحاس في عمليات البيع في ممالك زغاوة والبرنو بقوله : "بعد حمله من مناجمه في تكدّ إلى بلاد زغاوة والبرنو ويحملون النحاس منها إلى مدينة كوبر من بلاد الكفار إلى زغاوة وإلى بلاد البرنو"[1] .

**الأوزان والمكاييل:**

عرف التجار في معاملاتهم وحدات الوزن التي استخدمت في وزن كثير من الأشياء المختلفة في كل من بلاد السودان الأوسط والمراكز التجارية الليبية ، وعرفت المعاملات التجارية تشابهاً في وحدة وسائل الوزن لدى مجتمعي طرفي الصحراء ، وبهذا كانت الأوزان في البلاد الليبية تقدر على النحو الآتي :

- الرطل الذي يزن ست عشرة من الأوقية ، وكل وقية تزن واحداً وعشرين درهماً .
- القفيز يقدر بست عشرة ويبة ، والويبة اثنا عشر مداً قروياً وهو يقارب المُدَّ النبوي ، وتقدر الويبة بثمانية أمداد بالكيل الحفصي ، والصفحة وهي اثنا عشر مداً حفصياً[2] .

أما في بلاد السودان فقد استخدمت وحدات الوزن على النحو الآتي :

- المثقال يساوي وزن اثنتين وسبعين حبة من حبات القمح المتوسطة الحجم ، ويقدر وزن المثقال بحوالي أربعة غرامات من الذهب ، كما يقدر المثقال الذهبي في القرن الخامس عشر الميلادي بثلاثة آلاف ودعة .
- الدرهم ويساوي سبعة أعشار المثقال .
- الدينار وكان يساوي أربعين درهماً .
- تزن الأوقية الواحدة حوالي سبعة وعشرين جراماً ونصف الجرام .

أما المكاييل فهي تستخدم لتقييم الحبوب ومنها المد الذي يساوي أربعة ألواح بجمع اليدين .

---

(1) ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص305.
(2) أحمد القلقشندي ، صبح الأعشى ، ص109 .

أما الصاع فهو يساوي أربعة أضعاف المد، حيث يعادل ثلاثة لترات تقريباً.

القنطار يقدر بحوالي مائة رطل، أما المودي فهو يقدر بما يحمله الرجل من حبوب في كيس كان يستخدم من جلد[1].

وقد اختلفت الموازين لدى التجار من منطقة إلى أخرى على حسب ما هو متعارف عليه، فقد كان الميزان الآقدزي والغدامسي والكانمي[2]، والكيل الحفصي والرطل الإفريقي[3].

واستخدم الرصاص في تحديد وحدات الأوزان المعدنية، فكانت في بلاد السودان كما يلي:

1 ـ الكاوري وهو كبير مصنوع من الرصاص، وكان لكل سوقٍ كاوري خاص به.

2 ـ ألوا كي مصنوع من الرصاص.

3 ـ ألبوانا وحدة صغيرة ولكنها تقدر بحبات متساوية من بذرة الأكاسيا.

4 ـ الطالي وحدة معدنية للوزن على شكل متوازي الأضلاع.

5 ـ بيوط لوزن الذهب والحرير.

وأدوات المكاييل: (الجوال) وهو أربعة أمداد وأربعون حفنة من الذرة الكبيرة، (التّو) يعادل 24 جوالاً، و(الفضة) تعادل أربعين جوالاً.

**المقاييس:**

استخدمت المقاييس لقياس الأرض والأقمشة ونحو ذلك، وقد تقاربت المقاييس إلى حدٍ كبير، ومن المقاييس لدى بلاد السودان والبلاد الليبية:

1 ـ الفرسخ وهو يساوي ثلاثة أميال، أي حوالي 5750 متراً.

---

(1) أمطير سعد غيث، التأثير العربي الإسلامي في بلاد السودان الغربي بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر، ص152.

(2) عبد الرحمن باشر، وثيقة شراء، عائلة قاسم، ت 1210هـ، مهرجان غدامس السياحي، ورقة 1 ـ 2.

(3) أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ص169.

2 ـ الميل وهو يستخدم في قياس المسافات وقدّر بنحو 1920 متراً .

3 ـ الذراع وهو الامتداد بين عقدة المرفق إلى اليد ويساوي خمسين سنتيمتراً تقريباً ويسمى في بلاد السودان بالقالة .

4 ـ الشبر وهو يساوي الامتداد بين الخنصر والإبهام حين تكون اليد مفتوحة ، وقد قدر بنحو 5 . 21 سم[1] .

5 ـ القدم وتقدر بنحو ثلاثين سم تقريباً .

6 ـ الفترة وهي المسافة بين السبابة والإبهام في حالة انفتاح اليد اليمنى .

وقد كان الذراع والشبر والفترة يتم استعمالها لقياس الحقول والحيطان والأقمشة ، كما استخدمت مقاييس الميل والقدم والفرسخ لقياس المسافات ، ومن المقاييس المستخدمة أيضاً الحبل الذي استخدم لقياس الأرض وطوله عشرة أمتار ، وعرف أيضاً استخدام البريد وهو ساعة واحدة بسير الحصان المتوسط السرعة[2] .

وقدرت المسافات في تلك الفترة بما تستغرقه القوافل أثناء سيرها من أيام أو مراحل إلى جانب قياسها بالأميال .

وينبغي أن نشير إلى أن عدداً كبيراً من وحدات القياس كانت قد نقلت من بلدان المغرب إلى بلاد السودان عن طريق الأعمال التجارية ، وأظهرت تأثيراً مشتركاً لدى أهالي المنطقتين[3] .

**الأسعار:**

شهدت الأسعار في المراكز الليبية والأقاليم المجاورة تقارباً لها إلى حد ما ، في حين عرفت بلاد السودان تقارباً أيضاً للأسعار في مختلف أقاليمها ، وقد أورد القلقشندي قيمةً لبعض السلع خصوصاً في أقاليم الدولة الحفصية خلال تلك الفترة :

---

(1) أمطير سعيد غيث ، التأثير الإسلامي في السودان الغربي ، ص152 .

(2) Rmauny - R Tableau Geogrphihue De Louest Africe Au Moyen Ages (Daker, 1961) p 412.

(3) جميلة امحمد التكتيك ، مملكة سنغاي الإسلامية ، ص152 .

1 ـ قفيز القمح بخمسين درهماً والشعير دون ذلك .

2 ـ سعر لحم الضأن كل رطل إفريقي بدرهم حفصي قديم ، وبقية اللحوم دون ذلك .

3 ـ سعر الدجاجة الجيدة بدرهمين جديدين بالدراهم الحفصية[1] .

كما ذكر الحسن الوزان في مطلع القرن العاشر الهجري أن الرطل لزعفران غريان كان يساوي خمسة عشر ديْناراً تقريباً ، في حين أن زعفران اليونان وتونس يساوي عشرة دنانير تقريباً[2] ، وجاء أن أسعار بعض السلع في أوربا ومنها قط المسك كان بمائتي دوقة ، والجمل كان بخمسين دوقة ، وجلد الغزال بعشرين دوقة[3] .

أما الأسعار في بلاد السودان فقد كانت في أواخر القرن التاسع الهجري لعدد من السلع على النحو التالي :

1 ـ سعر حمل من الجمل من الملح بثماني أوقيات من الذهب .

2 ـ سعر الجمال كان يتراوح من أربعة إلى سبعة مثاقيل من الذهب .

3 ـ البقر بمثقالين ونصف إلى حد ثلاثة مثاقيل ونصف من الذهب .

4 ـ التمور كانت تقدر بعددها حيث أن كل عشر تمرات بخمس ودعات ، وهذا يدل على قلة هذه السلعة .

5 ـ عشرون مداً من القمح بوقية من الذهب[4] .

وأورد ابن بطوطة في حديثه عن بلاد السودان منتصف القرن الثامن الهجري ، قيمة بعض السلع ومنها "تباع غلاظ قضبان النحاس بحساب أربعمائة قضيب بمثقال

---

(1) أحمد القلقشندي ، وصف إفريقية ، ص110 .

ـ ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، ص52 ـ 53 .

(2) الحسن الوزان ، وصف إفريقية ، ص106 .

ـ الدوقه نقود ذهبية انتشر استعمالها في البلدان الأوربية وتتراوح قيمتها بين 27 . 2 ـ 32 . 2 دولار تقريباً .

(3) جيمس ويللارد ، الصحراء الكبرى ، ص165 .

(4) جميلة امحمد التكتيك ، دولة سنغاي الإسلامية ، ص153 ـ 154 ، .

ذهب وتباع الرقاق بحساب ستمائة مثقال"[1]، كما يشير في موضع آخر "واشتريت جملين لركوبي بسبعة وثلاثين مثقالاً وثلث"[2].

وهناك فروق في موضوع الأسعار من مكان إلى آخر، حيث نجد أثمان السيوف في بلاد المغرب لا تتجاوز ثلث الأوقيَّة الواحدة، في حين أن أثمانها في أوربا يتراوح بين ثلاث إلى أربع أوقيات من الذهب.

ونتيجة لضخامة الحجم التجاري عبر الصحراء في تلك الفترة، فقد انتشرت عملات عدد كبير من المراكز التجارية في بلاد السودان، ومنها العملات المغربية والحفصية والمملوكية، واستعملت في أسواقها وعثر على كثير منها، والتي ترجع في تاريخها إلى القرن التاسع الهجري[3].

**الوسطاء التجاريون:**

عرفت الحركة التجارية القائمة مع بلاد السودان وجود بعض الجماعات كوسطاء تجاريين حرصوا على تبادل البضائع بين طرفي الصحراء، وكيفية وصولها إلى مصر والبلدان الأوربية، ومن هؤلاء الوسطاء الذين كان لهم دور مهم في تجارة الصحراء خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، التجار الغدامسيون، والتجار الكارمية، وجماعات اليهود الرهادنة، وقد أدت هذه الجماعات دوراً مهماً في تجارة الصحراء، وكانت بمثابة الشركات الكبرى في العصر الحديث[4].

**التجار الغدامسيون:**

أسهم التجار الغدامسيون مساهمة فاعلة في حركة التجارة المتبادلة مع السودان، واعتبروا من الرعيل الأول الذين اجتازوا الصحراء ومارسوا أعمالهم

---

(1) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص305.

(2) المصدر نفسه، ص306.

(3) محمد أنور توفيق، دولة سنغاي الإسلامية، 1492 ـ 1591، ص85.

(4) أحمد سعيد الفيتوري، ليبيا وطرق القوافل، ص18.

التجارية، ونجحوا في توثيق العلاقات التجارية معهم، وكما عبّر أحد المؤرخين عن ذلك بقوله: "وقد خُلقَ هؤلاء تجاراً بالفطرة"[1] وكان التجار الغدامسيون وسطاء في نقل البضائع من طرابلس إلى بلاد البرنو، وكان لهم ممثّلون في مختلف المراكز التجارية ببلاد السودان، وأقام عدد منهم أحياء بهذه المراكز يطلق عليها الأحياء الغدامسية[2].

**التجار الكارمية[3]:**

منذ القرن الرابع الهجري ظهرت جماعة الكارمية كوسطاء أقاموا تجارتهم بدرجة أولى مع مصر وسيطروا على تجارة البهار والفلفل، وكانوا في بداية نشاطهم يمارسون التجارة مع ممالك الكانم والهاوسا؛ حيث تعد هذه المنطقة هي المنشأ الأول لوجود هذه الجماعة، وقد ازدهرت تجارة هذه الطائفة في إيصال هذه السلعة إلى مصر عبر المراكز التجارية الليبية خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، وبلغ تجار الكارمية مكانة عالية مرموقة من حيث الثروة والجاه، ولم يقتصر نشاطهم على الناحية التجارية بل تعدوها إلى ما اشتهروا به من أعمال الخير والصلاح[4].

وأسهم تجار الكارمية في ازدهار تجارة البحر المتوسط إلى حد كبير، وذلك لارتباطهم الروحي والتجاري ببلاد ساحل هذا البحر، وامتد نشاط هؤلاء التجار ليشمل بلدان السودان الشرقي والغربي، ومارسوا تجارات أخرى إضافة إلى تجارة البهار، ومنها الحاصلات الزراعية والملبوسات والحرير الخام، والأعشاب وأدوات الزينة

---

(1) السعدي، تاريخ السعدي، ص21.

(2) محمد عثمان الحشائشي، رحلة الحشائشي، ص172.

- من مشاهدات الباحث في هذه المدن حيث مازالت العديد من الأحياء تسمى بالأحياء الغدامسية.

(3) عرف التجار الكارمية بهذا الاسم نسبة إلى الكانم على حسب ما أورده القلقشندي وعدد من المؤرخين.

- أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص32.

- المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، القسم الثالث، ص894.

(4) ابن ثغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج1، دار الكتب، القاهرة، ص185.

والأسلحة، إلا أن التوابل كانت تتصدر قائمة تجاراتهم، وكانت قوافل الكارمية تنقل أحمالها من بلاد السودان الأوسط مروراً بالأراضي الليبية حتى تصل إلى مصر، وكان يوم وصول القافلة الكارمية حدثاً مهماً في البلاد المصرية تؤرخ به مشاهير أحداثهم، ثم إن سلع هؤلاء الكارمية كانت في بدايتها سلعاً سودانية، وتمركز القائمون عليها من التجار وسط إفريقية، وارتبطت ببلاد الكانم مما يدعم الرأي القائل بأن الكانمية هي الكارمية، ثم باشروا نشاطهم إلى أماكن أخرى، وبذلك لم يقتصر اسم تجارة الكارمية على تجارة الوسط الإفريقي بل شمل في بداية الأمر كل تاجر مع بلاد الكانم، ويشتغل بتجارة البهار ونحوها، كما كان لهؤلاء التجار نشاط مهم في المحيط الهندي وعلى الشاطئ الغربي للهند، اشتهرت من خلاله مدينة قوص المصرية كمركز تجاري مهم[1].

وساعدت هذه المجموعة أيضاً في ربط العلاقات التجارية بين بلاد البرنو والكانم وبلاد الهاوسا بشكل خاص مع كل من ليبيا ومصر، وأسهموا في بناء عديد من المنشآت الدينية، كما اشتهروا بالتصحيف والتحوير في الكلمات وهذا ما تتميز به هذه الفئة من التجار[2].

**اليهود الرهادنة[3]:**

انحصر نفوذ جماعة اليهود الرهادنة على الساحل الشمالي لإفريقية، حيث أقاموا لهم مراكز تجارية خاصة بهم في كل من تونس وطرابلس ومصراته، وتنتمي

---

(1) المقريزي، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الدين الشباك، القاهرة 1955، ص110.

- زين العابدين عبد الحميد السراج، دولة الكانم الإسلامية، ص164 وما بعدها.

(2) عبد الفتاح حسنين بكر، سلطنة البرنو حتى 1808، ص172 وما بعدها.

(3) لعل اسم (الرهدانية) أو (الراهدانية) أو (الرادانية) اشتق من اسم نهر الرون فنسبوا إليه في القرن الرابع الهجري.

- سوادي عبد محمد، تجارات البصرة وطرقها إلى بلدان المغرب العربي الإسلامي، دار الحكمة، 1990م، ص54.

- نقلاً عن آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج2، ص371.

هذه الطائفة أو الجماعة اليهودية في الأصل إلى وادي الرون، وقد كوّنوا مجموعة انتشرت على خط نهر الرون من مدينة فردان إلى أربونة، وتمثل هذه المجموعة الوسيط التجاري الأول بين بلدان المغرب العربي والبلدان المسيحية، ولهذا نجد في المعاهدة الموقعة سنة 1360 ميلادية بين البلاد التونسية ومملكة أرغوان المسيحية نصاً صريحاً يضمن سلامة أفراد هذه المجموعة اليهودية وتأمين تجارتهم لأنهم يمثلون حلقة الوصل بين تجار البر والبحر التي تربط إفريقية مع البلدان الأوربية[1]، إضافة إلى تركيز نشاطهم في الطريق البري الذي يبدأ من بلاد الأندلس إلى طنجة عبر جبل طارق مجتازاً المغرب الأقصى والأدنى والأوسط، وَصولاً إلى مصر؛ وبذلك تركز نشاط هذه المجموعة بنقل تجارة غرب أوروبا إلى بلاد الشرق وبالعكس.

ويحدثنا صاحب كتاب تقويم البلدان عن وجود اليهود في المراسي الليبية ومنها طلميتا، وهو من القرن التاسع الهجري بقوله: "وطلميتا فرضة مشهورة وبها قصر فيه اليهود تحت خفارة العرب، ومنها تحمل المراكب الشعير والعسل إلى غيرها، وقصر اليهود المذكور على هيئة برج كبير، وعدة اليهود الذين به إلى يومنا هذا ما يزيد على مائتي يهودي، وتبعد طلميتا عن الإسكندريَّة نحو مسافة شهر والمراكب ترسي قبالة قصر اليهود وبالقرب منه وتحضر العرب وتبايعهم بالبضائع مقايضة"[2].

كما توسع النشاط التجاري لهذه المجموعة اليهودية ليشمل المغرب وبلاد الهند والسند والصين من جهة، وبين المغرب والقسطنطينية وبلاد الفرنجة من ناحية أخرى، وقد كان البحر المتوسط وشواطئه الشمالية والجنوبية هو المركز الرئيسي الذي باشرت من خلاله هذه الجماعة نشاطها التجاري.

وقد استعمل الرهادنة وكلاء لهم في كافة المدن التجارية، وهيمنوا على الكثير من المناشط التجارية وخاصة تجارة الذهب، وكانوا يستخدمون طريقين للوصول

---

(1) نجاة باشا، التجارة في المغرب الإسلامي، ص76.

(2) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص18.

بتجارتهم إلى الشرق، فالطريق الأول يبدأ من المغرب عن طريق البحر المتوسط ثم يتحولون إلى الطرق البرية في البحر الأحمر، ومن السواحل الشرقية لجدة ويواصلون طريقهم إلى البصرة، ومنه إلى الهند والسند والصين، أما الطريق الآخر فيبدأ من المغرب ثم القسطنطينية ثم إلى انطاكية ويصلون عن طريق دجلة إلى البصرة ومنها إلى عمان والسند والهند وبلاد الصين.

وقد استأثر اليهود الرهادنة بتجارة الذهب دون غيرها، حيث شكلت هذه التجارة الأساس الأول لتجارتهم مع بلاد السودان، ويبدو أنهم يفضلون امتهان تجارة الذهب وذلك لسهولة الاتجار بها وخفتها ولما تدره من أرباح وفيرة[1].

**أساليب ترويج البضائع:**

لقد كانت هناك بعض الأساليب تتم بها عملية البيع والشراء، عند وصول القوافل إلى البلاد المقصودة، من قبل التجار، حتى يتم لهم تصريف بضائعهم المحملة، فعند وصول القوافل يستقبلهم أهل البلدة أو المدينة بالدفوف والترحاب[2]، ثم ينزّل التجار بضائعهم في مكان عام، يقوم أهل السودان على حراسته، ويحلون في ضيافة وكلائهم الذين كانوا عادة من أبناء بلدانهم المقيمين في البلدة، ويعملون كوسطاء تجاريين لهم يرعون مصالحهم، وبعد ذلك يستمعون إلى مشورة رؤساء التجار الذين جرت العادة أن يكونوا من أكبر التجار المقيمين سناً[3]، والذين لهم مكانةٌ في مجلس المدينة ويمثلون وجهة نظرهم من حيث تعريفهم بالأسعار والمكاييل والأمن وسلامة الطرق، كما كانت المدن السودانية تعج بالمشترين من القرى المحيطة بها، وكان يعين لها سوق كل أسبوع تباع البضائع فيها في أماكن خصصت لها في هذه الأسواق[4].

(1) سوادي عبد محمد، تجارات البصرة وطرقها إلى بلدان المغرب العربي الإسلامي، ص54 ـ 57.
(2) محمد أنور توفيق، دولة سنغاي الإسلامية، ص76.
(3) عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، ص88.
(4) مصطفى علي بسيوني، برنو في عهد الأسرة الكانمية، ص163.

وقد سنت القوانين إلى جانب ما هو موجود من أعراف محلية لضبط التعامل في الأسواق المحلية، فقد كان هناك محاسبون وفلاحون وسماسرة، يقومون بالوساطة في العمليات التجارية ويمثلون الصلة بين الباعة والمشترين، وزودت الأسواق بمترجمين في جوانب خاصة، يساعدون التجار في التفاهم وتحرير العقود في الكثير من صفقات البيع والشراء[1].

أما عن المراكز التجارية الليبية فقد تميزت بشهرتها في تصدير عدد من السلع دون غيرها، وبالتالي اختصت بالدرجة الأولى برواج هذه البضائع فيها، فمثلاً مدينة طلميته اشتهرت بتصدير الكتان والعسل والقطران والسمن، واختصت طرابلس بالمنسوجات، وبرقة بالجلود والتبر[2]، وغدامس بالجلود وريش النعام[3]، وجبل نفوسة بالتين والزعفران[4].

وقد كان أهالي غدامس يستخدمون في عملياتهم التجارية أرقاماً خاصة مقابلة للأرقام الغبارية، ويبدو أن هذه الأرقام استخدمت منذ وقت مبكر ومثلت إحدى السمات الحضارية لهذا المركز التجاري في الصحراء الليبية[5]، وقد استمر التعامل بهذه الأرقام طوال القرون اللاحقة، حيث أورد بشير قاسم شوسع في كتابه «غدامس وثائق تجارية واجتماعية» تفصيلاً لهذه الأرقام[6].

---

(1) جميلة امحمد التكتيك، مملكة سنغاي الإسلامية، ص156.

(2) نجاة باشا، التجارة في المغرب الإسلامي، ص69.

(3) محمد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص427.

(4) الحسن الوزان، وصف إفريقية، ص427.

- أحمد الشماخي، السير ج1، ص2.

(5) إبراهيم بن موسى وصيلة، وثيقة تحبيس جنان وشاح ويجموت لمحمد وصيلة وعبد الله عند رحيلهم لبلاد السودان، عائلة قاسم، غدامس، بدون تصنيف، ت911هـ، مهرجان غدامس السياحي، ورقة 1.

(6) بشير قاسم شوسع، غدامس وثائق تجارية واجتماعية، ص303.

- وللمزيد ينظر الملحق رقم 1 في نهاية البحث.

كما كان لتجار غدامس سمات وتواقيع خاصة بـهم فـي رسـائلهم المرسـلة إلـى وكلائهم ببلاد السودان ، يميزون بها صحة معاملاتهم التجارية[1] .

ومن نظم التعامل التي عرفتها القوافل التجارية خـلال القرنـين الثـامن والتاسـع الهجريين : أنَّ هذه القوافل كانت تنقسم إلى قوافل فقيرة وأخـرى غنيـة ، أمـا القوافـل الفقيرة فقد كانت إمكانياتها ضعيفة ، فيقوم القائمون عليها بشراء البضائع ديناً دون أن يدفع ثمنها مع رهن بعض ممتلكاتها ، أما القوافل الغنية فتمنح بضائعـها لقـادة القوافـل المحترفين التي تتوزع معها الأرباح بالتساوي .

وعادة ما كان التفاهم يسود كافة التجار عند توزيع الأرباح ، حيث كان الصدق هو أساس التعامل بين مختلف التجار المشاركين في أحمال القافلة ، وقليلاً مـا يحـدث خلاف بينهم ، وعند ذلك فقد كان هناك حكام عدول يقومون بتسـوية المشـكلة ، كمـا عرف عن التجار في منطقتي الصحراء أنهم لا يمدون أيديهم إلى أي بضاعـة مـهجورة تمَّ التخلي عنها لأي سبب من الأسباب[2] .

وتجدر الإشارة إلى أن هذه النظم ظلت متوارثة لدى التجار لأنها تعد اختيارهم الذي انتهجوه بعد تجارب عديدة .

واستمر هذا النشاط للحركة التجارية ولم يتوقف حتى مع الوجود العثماني في بلاد المغرب والتي من ضمنها الأراضي الليبية ، ولكنـه ضعـف نتيجـة سببين : أولـهما الصـدام المسلـح القـائم بـين المسيحية والدولـة العثمانيـة فـي عـرض البحـر المتوسـط ، وثانيهما بحث الدول الأوروبية عن طرق تجارية جديدة للوصول للشرق ؛ وقـد أمكـن لهم ذلك في مطلع القرن السادس عشر الميلادي[3] .

---

(1) بشير بن محمد مالك ، وثيقة تجارية ، مكتبة عائلة قاسم ، غدامس ، ورقة 1 .

(2) HAMIT ABOUL HADI, LAPISTE DU COMMERCE TRANSAARIEN TRIPOLI - LAC TCHAD, THESE DE DOCTIRAT NON PUBLIEE, UNIVERITE DE VIII - VINCIENNES, ANNEE, 1996, P444-445.

(3) زاهر رياض ، الممالك الإسلامية في غرب إفريقية ، ص317 .

ولكن هذا النشاط التجاري لم يتوقف بل استمر طوال القـرون اللاحقـة مخلفـاً آثـاره الاجتماعيـة والثقافيـة لـدى شـعوب طرفـي الصحـراء سـواء فـي بـلاد السـودان الأوسط أو المراكز والمدن الليبية وهذا ما يتّضح لنا في دراسة الفصل الرابع .

# الفصل الرابع

# أثر التجارة المتبادلة على الحياة الاجتماعية في ليبيا والسودان الأوسط

1 - هجرات القبائل الليبية إلى بلاد السودان.

2 - هجرات الأسر والقبائل السودانية إلى ليبيا.

3 - الأحياء السكانية.

4 - انتشار الإسلام واللغة العربية في بلاد السودان.

لم تكن القوافل التجارية المتحركة بين مجتمعات دفتيّ الصحراء تحمل السلع والبضائع فحسب، بل تركت مؤثراتها الاجتماعية والثقافية الواضحة لدى أمم الجانبين، وكانت علاقة الليبيين بجيرانهم في جنوب الصحراء علاقة ترجع في جذورها إلى عصر ما قبل الإسلام، غير أن العصر الإسلامي أضاف عاملاً جديداً في حركة التبادل التجاري[1]، حيث انتقلت القبائل العربية وأسر التجار إلى بلاد السودان الأوسط وحملت معها عاداتها وتقاليدها الإسلامية، وكونت الأحياء السكانية في مختلف المراكز السودانية، ونشرت الإسلام واللغة العربية، وشجعت التعليم وفن العمارة وأدخلت نظاماً جديداً للأسرة.

إن جميع هذه الجوانب تعد عناصر أساسية تدل على عمق الاتصال الاجتماعي الحضاري مع بلاد السودان الأوسط[2]، ولم يكن هذا التأثير الاجتماعي بعناصره المختلفة هو أهم ما يمكن اقتفاء آثاره، بل إن تأثيرات أهالي السودان الأوسط في المراكز التجارية الليبية ظلت واضحة ولازمت المجتمع الليبي وخاصةً في مدنه الداخلية خلال العصور الوسطى، ولتوضيح أثر الهجرات المتبادلة يمكننا أن نبسط القول في النقاط الآتية:

---

(1) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص241.
- شمس الدين الأنصاري، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ج2، ص239.
(2) عبد الرحمن عبد الله الشيخ، دول الإسلام وحضارته في إفريقية، دار اللواء، الرياض، ط1، 1983م، ص89.

## 1 - هجرات القبائل الليبية إلى بلاد السودان

شكلت المناطق الليبية بمراكزها المتناثرة وسط الصحراء شرياناً مهماً لعبور الأسر والقبائل لممالك السودان الأوسط؛ حيث كانت هذه الممالك بمثابة الخزان البشري الذي كان يستوعبها.

ولا نستطيع أن نحدد بداية هذا الاتصال الاجتماعي تحديداً دقيقاً، غير أنه ليس هناك شك في أن هذا الاتصال قد بدأ منذ عصور ما قبل الإسلام، عندما كانت القبائل الجرمانتية الليبية قد اندفعت إلى السودان الأوسط واستقرت هناك[1].

ومع التحرير الإسلامي لشمال إفريقية وارتياد الجيوش الإسلامية لمنطقة كوار في السودان الأوسط 46هـ/ 666م - بقيادة عقبة بن نافع الفهري - عرفت الطلائع الإسلامية الأولى طريقها للبلاد السودانية[2]، حيث نستشف من خلال هذه الحملة الإسلامية الشهيرة أن سكان الواحات الليبية الصحراوية كانوا على معرفة بالأقوام القاطنين جنوب الصحراء، فقد أورد البكري ذلك بقوله: "ثم مضى عقبة على فوره إلى قصور فزان ففتحها قصراً قصراً حتى انتهى إلى أقصاها ثم سألهم هل وراءكم من أحد؟ قالوا: نعم أهل جاوان، - وهو قصر عظيم على رأس جبل وعر، وهو قصبة كوار - فسار إليها خمس عشرة ليلة"[3].

ومنذ القرن الثالث الهجري نجد أن أعداداً كبيرةً من الأسر الليبية كانت قد استقرت في بلاد السودان، وقد مثَّل جبل نفوسة "الجبل الغربي" وخاصة مدينة جادو

---

(1) صالح الصادق السباني، مملكة الكانم وبرنو وعلاقتها مع أقطار الشمال، رسالة ماجستير غير منشورة، الرباط، جامعة محمد الخامس، 1989، ص182 وما بعدها.

(2) الفا هاشم القوتي، تعريف العشائر والخلان بشعوب وقبائل الفلان، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ص11.

(3) أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، ص13.

رافداً مهماً في وصول جماعات إسلامية استقرت ببلاد الكانم وبلاد التكرور؛ هذه الجماعات استطاعت أن توظف الأعمال التجارية في نشر الإسلام بهذه المناطق[1].

وقد ظهر تأثير البلاد الليبية في مجتمع بلاد السودان الأوسط واضحاً منذ القرن السابع الهجري، فدولة الكانم التي سادت من خلال تلك الفترة وامتدت حتى العصور التاريخية الحديثة، يرجع سلاطينها نسبهم إلى سيف بن ذي يزن الحميري اليمني، وإن كنا نجهل تاريخ قدوم هذا النسب العربي لبلاد السودان إلا أنه من المؤكد أن الأسرة تمثل إحدى القبائل العربية القادمة لبلاد السودان عبر الأراضي الليبية[2]، حيث هاجر سكان الكانم الأصليين وهم الكانمبو من تونس إلى طرابلس ثم فزان، وهناك تفرقوا فمنهم من بقي في إقليم فزان ومنهم من اتجه إلى بلاد الكانم من بلاد السودان[3].

ويذكر الحسن الوزان عند تحدثه عن إقليم الكانم ذلك بقوله: "يحكم هذا الإقليم أمير شديد البأس من البرداوة الليبية"[4]، وقد ساعد اتساع مملكة الكانم شمال وجنوب الصحراء بدءاً من القرن السابع الهجري؛ قيام تيارات اجتماعية متبادلة بين أهالي المنطقتين، صاحبتها حركة تجارية نشطة، ويؤكد لنا ابن خلدون ذلك بقوله: "وفي الجانب الأسفل منها صحراء نيسر، متصلة من الغرب إلى الشرق ذات مفاوز يسلك فيها التجار ما بين بلاد المغرب وبلاد السودان، وعلى سمت هذه المفاوز شرقاً أراضي فزان ثم مجالات ازكار من قبائل البربر"[5].

---

(1) علي مصطفى المصراتي، مؤرخون من ليبيا، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1977، ص28.

(2) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص30.

(3) صالح الصادق السباني، برنو وعلاقتها بأقطار الشمال الإفريقي من القرن الثالث إلى العاشر الهجري، مرجع سابق، ص138.

(4) الحسن الوزان، وصف إفريقية، ص176.

(5) ابن خلدون، المقدمة، ص35. ويفيدنا ابن خلدون في كتابه العبر: أنَّ نسبهم يرجع للقبائل العربية بقوله: "قال بعضهم إنهم من ولد إبراهيم عليه السلام من نقشان ابنه. . . ، وقال آخرون: البربر =

فهذا النفوذ السياسي لدولة الكانم في الصحراء الليبية خلال تلك الفترة أدى إلى اندفاع عدد من القبائل العربية إلى الممالك السودانية والتي منها قبيلة جذام، التي كانت قد استوطنت ضواحي طرابلس منذ مطلع القرن الثامن الهجري كما يفيدنا التيجاني[1].

وقد كان لهذه القبيلة دور كبير في قيام دولة البرنو الإسلامية في تلك الفترة، حيث يذكر لنا القلقشندي نص رسالة الماي عثمان بن إدريس إلى السلطان أبي سعيد الظاهر برقوق[2]، الذي حكم بلاد الكانم في الفترة (789 ـ 828هـ/ 1392 ـ 1424م)، حيث يذكّرهم هذا السلطان بأنهم أغاروا على أرضه وسبوا عدداً من رعايا مملكته، ومن النصوص الواردة في هذه الرسالة: "فإن الأعراب الذين يسمّون جذاماً وغيرهم قد سبوا أحرارنا من النساء والصبيان وضعفاء الرجال وقرابتنا"[3]، وبذلك فقد استوطن جزء كبير من هذه القبيلة بلاد السودان الأوسط ابتداء من تلك الفترة التاريخية.

---

= يمنيون وقالوا: أوزاع من اليمن. وقال المسعودي: من غسان وغيرهم تفرقوا عندما حدث سيل العرم، وقيل: تخلفهم أبره ذو المنار بالمغرب، وقيل من لخم وجدام وكانت منازلهم بفلسطين". ويميل ابن خلدون إلى أن صحة نسبهم إلى جالوت بفلسطين ـ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج6، ص181 ـ 182.

(1) أبو عبد الله التيجاني، رحلة التيجاني، ص206 وما بعدها.

ـ إبراهيم بن صالح، تاريخ الإسلام وحياة العرب في امبراطورية الكانم، مطبعة الحلبي، القاهرة، 1976، ص15.

(2) الظاهر برقوق هو أول السلاطين المؤسسين لدولة المماليك الجراكسة، وامتدت فترة حكمه من (784 ـ 801هـ/ 1382 ـ 1399م) واشتهر عصره بتشجيع الأدب ومجالس العلم، كما واجهت مصر في عهده خطر الموجة المغولية الثانية بقيادة تيمور لنك سنة 797هـ.

للمزيد راجع أبو المحاسن بن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، وزارة الثقافة، القاهرة، 1967، ص223.

ـ سعيد عاشور، مصر والشام في عهد الأيوبيين والمماليك، ص227.

(3) أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص117 ـ 118.

وهنالك القبائل العربية الأخرى التي انتقلت من ليبيا واتصلت بالزعامات المناوئة للسلطة الكانمية في أنجيمي، واتحدت معها وكانت سبباً في قيام امبراطورية البرنو، والتي منها قبائل الحساونة وأولاد سليمان والسلامات والتي عرف بعض منها بقبائل الشوا فيما بعد[1].

وقد أطلق على القبائل العربية التي وفدت إلى بلاد الكانم خلال القرن الثامن الهجري، اسم قبائل الشوا (Shawa) بعد أن استقرت هنالك في تلك الفترة بعد قدومها من مصر مروراً بالأراضي الليبية[2].

وتعد قبائل البولالا القاطنة بلاد السودان الأوسط في تلك الفترة من العناصر التي نتجت عن مصاهرة الشوا (Shawa) العربية المقيمة في منطقة تشاد مع الزنوج - أو عن المصاهرة التي تمت بين طوارق أوجلة وفزان - ويعرفون باسم الكندن - أو عن المصاهرة مع قبائل الكوكا المتعددة في منطقة بحيرة فتري، وقد كان لهذه القبائل جميعها - والتي ترجع أصولها إلى قبائل الطوارق الليبية بعد أن تم انصهارها مع القبائل العربية تحت اسم الشوا - أهمية في إقامة امبراطورية البرنو منذ القرن الثامن الهجري[3].

ومن المرجح أن قبائل هكارة من الملثمين الطوارق القاطنين الأجزاء الشمالية من بلاد السودان الأوسط هم قبيلة هوارة القاطنة في ضواحي طرابلس؛ حيث يفيدنا ابن خلدون في ذلك بقوله: "ومنهم من قطع الرمل إلى بلاد القفر وجاوزوا لمطه من قبائل الملثمين فيما يلي بلاد كوك من السودان اتجاه إفريقية، ويعرفون بنسبهم هكارة قلبت العجمة واوه كافاً أعجميةً تخرج بين الكاف العربية والقاف"[4].

---

(1) إبراهيم علي طرخان، امبراطورية البرنو الإسلامية، ص167.

(2) عز الدين علي موسى، العرب وإفريقية، مجموعة من البحوث، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1989، ص70.

(3) إبراهيم علي طرخان، امبراطورية البرنو الإسلامية، ص98.

(4) ابن خلدون، ج6، العبر، ص286.

ويحدثنا صاحب كتاب «إنفاق الميسور» في معرض حديثه عن بلاد آهير أن إقليم آهير كان من قبل في يد السودانيين، غير أنه انتقل فيما بعد إلى يد الطوارق الذين قدموا من ممر أوجلة بقوله: "وكان هذا الإقليم قبل في يد السودانيين من أهل غوبر... فاستولى عليه الطوارق: قبائل خمسة وافوا من الأوجل[1] يقال لهم: امكيتا ـ وتمكك وسندار وكدالا وجدارنـين فتغلبوا على البلد ومكثوا فيها"[2]، كما يذكر أن الطوارق كانوا قد وصلوا إلى إقليم غوبر في فترة ما بعد الفتح الإسلامي وكان هؤلاء الطوارق من بقايا البربر، الذين انتشروا أيام الفتح الإسلامي[3].

ويشير في موضع آخر إلى ذلك بقوله: "وسار بعضهم إلى الغرب الجنوبي، الضارب في بلاد السودان، واستوطنوا الأوجل وفزان وغدامس وغات، هذه القبائل الخمسة المذكورة وافوا من الأوجل، واستوطنوا هذا الإقليم ونفوا من بها من السودانيين"[4].

وبتحليل هذه النصوص الواردة في كتاب إنفاق الميسور يتضح لنا الأثر الاجتماعي الليبي في البلاد السودانية منذ وقت مبكر، حيث شهدت المدن الليبية رحيل العديد من القبائل العربية إلى بلاد السودان بعد أن كانت قد استوطنت فيها منذ وقت مبكر، كما نفهم من خلال هذه النصوص أن أهالي منطقة آهير الطوارق من أصل ليبي، حيث إنَّ القبائل الليبية بدأت عبورها إلى البلاد السودانية ابتداءً من أيام الفتوح الإسلامية الأولى، وأخذوا مكانهم هناك بعد أن طردوا من بها من القبائل السودانية.

أما قبائل أولاد سليمان فقد قطنت أولاً شرق النيجر وهم يستقرون إلى هذا العهد في أرض أنقرطي ونقيقمي "أنجيمي"، كذلك استقر الحساونة والسلامات أيضاً

---

(1) يقصد بالأوجل، أوجلة إحدى المراكز الليبية، حيث أن هذه القبائل قدمت من ممر أوجلة عبر الأراضي الليبية.

(2) محمد بلو عثمان فودي، إنفاق الميسور في تاريخ التكرور، 1964، ص39.

(3) المصدر نفسه، ص39.

(4) المصدر نفسه، ص40.

في هذه المناطق[1]، ويرجع أصول هذه القبائل إلى قبائل الحساونة وأولاد سليمان في منطقتي سرت وفزان، وقبيلة السلامات المتواجدة في الوقت الحالي في منطقة جادو بالجبل الغربي[2].

وقد اعتاد عدد كبير من التجار الليبيين الذين مارسوا التجارة في تلك الفترة مع الممالك السودانية؛ أن يتزوجوا ويكوّنوا أسراً في تلك المراكز التجارية؛ نتيجة لطول فترة بقائهم هناك، وبمرور الزمن انفصل العديد منهم في بلاد السودان وكونوا أحياءً ليبية بمختلف المدن والقرى الواقعة على طرق قوافلهم وأماكن ترويج بضائعهم[3]، ولهذا نجد الغدامسيين قد سكنوا في مدينة زندر وتانوت وبعض مدن الهاوسا مثل كانو وكاتسيتا، ويؤيد ذلك وثيقة يرجع تاريخها إلى (911هـ)، حيث نجد فيها ما يفيد على عمق هذا الاتصال الاجتماعي المبكر، ففي هذه الوثيقة نجد توكيلاً خاصاً لأحد أبناء غدامس ويُدعى صيلة بن الفقيه إبراهيم بن موسى، من أخويه محمد وعبد الله اللذين كانا قد سافرا إلى بلاد السودان، حيث يفهم من هذا التوكيل أن سفرهما لمدة طويلة الأجل ولا يمثل الجانب التجاري فقط بل إنهما سوف يبقيان مدة طويلة في بلاد السودان[4].

وحرص أهالي غدامس في وجودهم في هذه المناطق على إرجاع نسبهم إلى رسول الله ﷺ وذلك لكسب ثقة أهالي بلاد السودان، حيث نجد هذا في وثيقة نسب يرجع تاريخها إلى نهاية القرن الثالث عشر الهجري باسم أبناء الحاج محمد هيبة، ومن

---

(1) فضل كلود الدّكو، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1998، ص82 وما بعدها.

(2) سليمان عبد الله الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية، ج2، دار أبو السلامة، تونس، 1986، ص172.

(3) محمد المبروك يونس، دور ليبيا في مسار العلاقات الإفريقية، طرابلس، 1994، ص38.

(4) إبراهيم بن موسى صيلة تحبيس جنان وشاح وتجموت لمحمد صيلة وعبد الله، أبناء الفقيه إبراهيم بن موسى صيلة، ورقة 1 ـ 2.

خلال قراءة هذه الوثيقة نجد حرص هذه الأسرة الغدامسية على تحقيق هذا النسب القرشي[1].

ويرجع وصول هذه الأسر واستقرارها بالمراكز التجارية السودانية إلى القرن التاسع الهجري، حيث تدلنا الشواهد التاريخية القائمة على ذلك، ومنها إقامتهم للعديد من الزوايا الدينية في هذه المناطق مثل الزاوية القادرية والأسمرية في الحي الليبي بمدينة كانوا، والتي ترجع في إنشائها إلى القرن التاسع الهجري - الرابع عشر الميلادي[2]، فضلاً عن ذلك إن هذه العائلات الليبية التي قدمت إلى بلاد السودان الأوسط في فترات متفاوتة كانت قد انصهرت مع أهالي البلاد المحليين ومنهم الهاوسا والكانمبو، والزرما وغيرهم من القبائل السودانية.

وهناك من الكتابات ما يشير إلى أن (مايات البرنو) من أصل ليبي ومنهم دونمة ابن آدم (452 - 462هـ/ 1086 - 1097م) أول سلاطين البرنو الذين اعتنقوا الإسلام، وتضيف هذه الكتابات أن دماء البيت السلطاني في البرنو تحولت إلى زنجية ابتداء من القرن السابع، حيث يذكر مادهو بانكيار ذلك عند تحدثه عن سلاطين البرنو بقوله: "وهكذا أصبحت الأسرة الحاكمة مع بداية القرن الثالث عشر زنجية حتى وإن كانت من أصل ليبي"[3]؛ وفي هذا تأكيد على الاتصال الليبي منذ فترة متقدمة.

وفي الحقيقة فإن الليبيين ارتادوا هذه المناطق ونشروا الإسلام وكانوا على اتصال اجتماعي مع جيرانهم من أهالي هذه الممالك السودانية، وبذلك تعد حقيقة هذا الاتصال من الحقائق المسلّم بها.

---

(1) أبناء محمد الحاج هيبة الغدامسي، وثيقة نسب، ملك خاص، زندر النيجر، 1295هـ.

(2) زكريا محمد الأنصاري، فتح الباقي بشرح ألفية العراقي، مخطوط، مكتبة الشيخ مالم كبر القادرية، كانوا، ورقة 307.

- ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص127.

(3) مادهو بانكيار، الوثنية والإسلام، ص210.

## 2 - هجرات الأسر والقبائل السودانية إلى البلاد الليبية

لم يكن دور ممالك السودان الأوسط يقل كثيراً في تأثيره الاجتماعي في المراكز التجارية الليبية - وخاصة الصحراوية منها - عن ذلك الأثر الاجتماعي الذي لعبته المراكز التجارية الليبية لدى أهالي السودان الأوسط.

وقد تكون المنافذ الرئيسية الواصلة بين أهالي المنطقتين، وما تدفق من خلالها من قوافل تجارية هي العامل الأول لبروز تلك الآثار الاجتماعية[1]، فضلاً عن وصول النفوذ الكانمي والزغاوي ابتداءً من القرن السابع الهجري إلى منطقة فزان، فكانت له آثاره الاجتماعية المباشرة في تلك الفترة[2].

ويرجع تأثير أهالي الممالك السودانية في البلاد الليبية إلى فترة مبكرة من التاريخ الإسلامي؛ عندما وصل الكانميون والزغاويون إلى بعض المدن والقرى الليبية منذ القرن الثالث الهجري فاستوطنوها، فعلى سبيل المثال وصلت جالية كانمية إلى قرية جناون (بالجبل الغربي) في تلك الفترة[3]، حيث نقل لنا أحمد الشماخي وهو من القرن التاسع الهجري في سياق حديثه عن جبل نفوسة مقتطفات من التأثيرات السودانية لدى أهالي هذه المنطقة والتي منها "غزالة أمُّهُ وقيل عنها قبل أن تجلب من السودان، فإذا سمعت القراءة قعدت على نفسها. . ونام عيالها انصرفت فتحضر مجالس الذكر"[4].

---

(1) محمد المبروك يونس، دور ليبيا في مسار العلاقات العربية الإفريقية، ص24.

- لامن بن أحمد بكنو، تاريخ آهير، مخطوط، بدون تاريخ، مركز المخطوطات والوثائق للعلوم الإنسانية، جامعة نيامي، ورقة 16.

(2) عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، ص302.

(3) محمد المبروك يونس، دور ليبيا في مسار العلاقات الإفريقية، طرابلس، 1999، ص29.

(4) أحمد سعيد الشماخي، السير ج1، ص187.

ونفهم مما جاء به هذا المؤرخ : أن هذه المرأة السودانية كانت على درجة كبيرة من العلم، وتحرص على حضور المجالس العلمية ؛ وهذا يجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأن التأثير الاجتماعي السوداني في تلك الفترة كان قد بلغ درجة كبيرة بحيث لمع من بين أفراده من أسهموا في نشر العلم.

كما نتج عن تبعية إقليم فزان لمملكة الكانم توافد عدد كبير من العناصر الكانمية والزغاوية وقبائل القرعان خلال القرنين السابع والثامن الهجريين واستقروا في المناطق الليبية وفي واحات القطرون وتراغن ومرزق، ولا تزال آثار بعض هذه القصور والقلاع موجودة في هذه المنطقة إلى يومنا هذا[1].

أما البلاد الهاوسية فقد ظهر تأثيرها الاجتماعي واضحاً في مدينتي غدامس وغات، حيث نجد العديد من العائلات الغدامسية تنتمي إلى أصول هاوسية، كما ظهر التأثير السوداني في منطقتي برقه وفزان وغيرهما من المراكز التجارية الليبية، والتي كان عاملها الأول الحركة التجارية القائمة، حيث يذكر لنا الحشائشي قدم هذه العلاقات بقوله : "ويستنتج من المحادثات التي كانت لي مع أعيان مرزق وغات أن الغدامسية هم أول الأمم التي عرفها السودانيون"[2] ويضيف في موضع آخر "وأغلب تجار غات هم من الغدامسية، وهم جميعاً أثرياء، وبفضل ثروتهم يتحكمون في أبواب السودان الذين تربطهم معه علاقات صداقة منذ زمن بعيد"[3].

(1) محمد المبروك يونس، دور ليبيا في مسار العلاقات العربية الإفريقية، ص32.
(2) محمد عثمان الحشائشي، الرحلة الصحراوية، ص168.
(3) المصدر نفسه، ص168.

## 3 - الأحياء السكانية

الأحياء السكانية الليبية في ممالك السودان الأوسط، هي من أهم مظاهر التأثير الاجتماعي في بلاد السودان الأوسط، ويظهر هذا الأثر واضحاً في كل من مدن أغاديس وزندر والبرنو وإمارات الهاوسا وأهمها مدينة كانوا، ففي هذه المدينة الهاوسية كان حي الليبيين من أهم الأحياء السكانية ويدعى باللغة الهاوسية باسم "دنددلي تروا" ويرجع تاريخ إنشاء هذا الحي السكني في مدينة كانوا إلى القرن التاسع الهجري، ومما يؤكد لنا إقامة هذا الحي السكني في مدينة كانوا هو وجود الزاوية الأسمرية العروسية فيها، والتي يرجع تأسيسها إلى تلك الفترة، كما يوجد ضريح الشيخ فتح الله أبو راس القيرواني الذي هاجر من ليبيا خلال القرن التاسع الهجري بعد أن أخذ عنه العلم الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري[1]، في بلدة زليتن[2]، حيث يذكر لنا أحد الباحثين القائمين في الزاوية القادرية "من علماء هذا القرن الشيخ فتح الله الملقب بأبي راس، واسم والده محمد، ولد في القيروان وتخرج على يديه مشايخ أجلاء مثل الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري"[3].

وهنالك أيضاً عدد من الأحياء الليبية الموزعة في العديد من المدن الهاوسيَّة والبرنوية وتحمل أسماءً ليبية، منها حي فزان في مدينة كوكا "ماد قري" وأحياء غات

(1) هو الشيخ عبد السلام الأسمر بن سليم بن محمد، المغربي المخزومي القرشي من أهل المئة التاسعة والعاشرة، وعمل بالطريقة العروسية وضريحه مزار داخل المسجد المعروف باسمه إلى يومنا هذا، وبنيت بجانبه الجامعة الأسمرية للعلوم الشرعية الإسلامية.

- للمزيد راجع أحمد النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ص207 وما بعدها.

(2) قريب الله محمد الناصر، الرسالة الجلية لمكانة نيجيريا العلمية قبل كيان دولة سوكوتو، ص39.

(3) المصدر نفسه، ص39.

في زنـدر، وغدامس فـي مدينـة أغـاديس[1]، وأهـالي هـذه الأحيـاء علـى الرغـم مـن انصهارهم داخل المجتمعات الهاوسية والبرنوية إلا أنهم مازالوا يحتفظـون بـالكثير مـن عاداتهم وتقاليدهم وصنائعهم التي جاؤوا بها مثل صناعة السروج والشاشية.

ولم تقتصر إقامة الأحياء الليبية في بلاد السودان الأوسط على ما أقامـه التجـار في المراكز التجارية السودانية، بل إن القبـائل العربيـة القادمـة مـن ليبيـا خـلال القرنـين الثامن والتاسع الهجريين أقامت أحياء رعوية في كل مـن البرنو والكـانم، والتـي منـها حي عرب الشوا في الكانم، وبنو حسان في منطقة نهر النيجـر، وأهـالي هـذه الأحيـاء مازالوا يمارسون حرفة الرعي في تلك المناطق الواقعة شرق النيجر وغرب تشاد[2].

أما عن الأحيـاء السـكانية فـي المراكـز التجاريـة الليبيـة فقـد ظـهر أثرهـا واضحـاً خلال الوجود الكانمي في منطقة فزان ابتداءً من القرن السـابع الـهجري ـ الثـالث عشـر الميلادي[3]، حين أقاموا لهم العديد مـن الأحيـاء فـي هـذه المنطقـة، والتـي منـها أحيـاء مساكن الجنود الكانميين في كلٍ من تراغن ومرزق، كما أقيمـت فـي تلـك الفـترة بلـدة السـودان بسـبها وهـي تقـع شـرقي غابـة الأوجلـة وغربـي بلـدة الجديـد بنحـو خمسـة كيلومترات، وقد محيت آثارها فـي الوقـت الحـالي كمـا يذكرهـا أبـو بكـر الحضيري، وهو من سكان هذه المنطقة مضيفاً أنه إلى عهد قريب كان يوجد أثر لقـوس كبـير مبنـي بالحجارة والجص، كما يذكر أيضاً حسب المستندات العرفيـة أن بلـدة السـودان كـانت قائمة قبل القرن التاسع الهجري ـ الخامس عشر الميلادي[4].

ويمكن القول إن كثيراً من مسميات المـدن فـي ليبيـا كـانت قـد انتقلـت إلـى بـلاد السودان أو بالعكس، ومنها مدينة جادوا في تاسيلي شمال النيجر، ومدينة تساوة فـي

---

(1) يظهر الطراز المعماري الغدامسي واضحاً في أحيـاء كثـيرة مـن المـدن والقـرى السـودانية القديمـة ومنـها أغاديس، زندر، ثانوت، أدرييسة، كانو، جادو.

(2) عز الدين عمر موسى، العرب وإفريقية، ص70.

(3) أبو بكر عثمان الحضيري، فزان ومراكزها الحضارية عبر العصور، ص44.

(4) أبو بكر عثمان الحضيري، فزان ومراكزها الحضارية عبر العصور، ص44 ـ 74.

منعطف نهر النيجر التي أخذت اسمها من قرية تساوة الليبية الموجودة قديماً بالقرب من مدينة جرمة[1].

ويرجح انتقال مسميات هـذه المدن إلى مناطق السودان الأوسط أو بالعكس بسبب وقوعها على خطوط طرق القوافل التجارية التي ارتادها التجار بين المنطقتين.

(1) عبد المنعم الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، ص112.

## 5 - انتشار الإسلام واللغة العربية في بلاد السودان

كان وصول الإسلام وانتشاره في بعض الممالك السودانية، التي تقع جنوب الصحراء قد ارتبط بالحركة التجارية المتبادلة مع بلاد السودان، فضلاً عن هجرات بعض القبائل العربية إلى هذه المناطق في فترات متفاوتة[1]، ولذلك غدت حقيقة وصول الإسلام عن طريق الأعمال التجارية من المسلمات التي اعتمدها الكثير من المؤرخين[2].

وعلى الرغم من أن الفتوح الإسلامية الأولى لبلاد المغرب شهدت منذ بداية انطلاقها اهتماماً واضحاً بالمناطق الصحراوية على يد القائد عقبة بن نافع الفهري، حينما وصلت حملته إلى بلاد كوار سنة 46هـ - 665م، من خلال مسالك المراكز التجارية الليبية، إلا أنها لم تكن بالقدر الكافي الذي يجعل من أقوام هذه الممالك على معرفة كاملة بالإسلام، غير أنها تركت بعض الأثر لدى أهالي السودان الذين أخذوا بالإسلام فيما بعد[3].

وهناك بعض المؤرخين يرى أن الإسلام لم يصل إلى بلاد السودان الأوسط إلا في خلال القرن الثامن الهجري - الرابع عشر الميلادي، وأنه قدم من الشمال الغربي لا من الشمال والشرق، ويسند أصحاب هذا الرأي صحة قولهم إلى الغزو المغربي لبلاد السودان الغربي[4]، حيث يذكر لنا أحد الكتّاب المحدثين ذلك بقوله: "فإذا تجاوزنا

---

(1) عثمان محمد فودي، تنبيه الإخوان على أحوال أرض السودان، مخطوط، مكتبة الشيخ محمدعلي كوماس، كانو، ورقة 8.

(2) دائرة المعارف الإسلامية م12، ترجمة محمد ثابت وآخرين، ص337.

- لامن بن أحمد بكنو، تاريخ آهير، مخطوط بدون تاريخ، مركز المخطوطات للعلوم الإنسانية، جامعة نيامي، ورقة 5.

(3) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1960، ص58.

- عبد الله بن فودي، كتاب النسب، مخطوط بدون تاريخ، مكتبة الشيخ مالم كبير القادرية، كانوا، ورقة1.

- عثمان بن فودي، تبشير الأمة المحمدية، مكتبة الشيخ علي محمد كوماس، كانو، ورقة 5.

(4) زاهر رياض، الممالك الإسلامية في غرب إفريقية، ص287.

تلك المرحلة المبكرة من تاريخ دخول الإسلام إلى البلدان المتاخمة لجنوب الصحراء، غير أن الأمر بدأ يأخذ طابع الوضوح وبخاصة بعد اتحاد قبائل لمتونة وجدال ومسوفة تحت رعاية نيولوتان 222هـ ـ 832م الذي تبنى حركة الجهاد لنشر الإسلام، ثم واصلت تلك القبائل دورها في عهد المرابطين فأسقطت امبراطورية غانا"[1].

ولإثبات صحة هذا الرأي علينا أن نورد بعض الحقائق التاريخية عن دخول الإسلام إلى أرض السودان، حيث تفيدنا المصادر المبكرة بأن أول سلاطين الكانم الذين اعتنقوا الإسلام هو حمي (محمد) في أواخر القرن الخامس الهجري ـ الحادي عشر الميلادي[2].

ويذكر لنا علي مصطفى المصراتي نقلاً عن كتاب مشايخ جبل نفوسه أن أحد مشايخ جبل نفوسه في القرن السادس الهجري، ويدعى "أبو يحيى القرسطاني هو الذي أسلم ملك السودان على يديه" دون أن يحدد أياً من ملوك السودان الذين أسلموا في تلك الفترة التاريخية المبكرة[3].

كما يؤكد لنا أبو الفداء أن أهل الكانم وغانا مسلمون وأن صاحب بلاد كوكو في تلك الفترة كان على دين الكفر بقوله: "وكوكو صاحب تلك البلاد وهو كافر من غربيِّه مسلمو غانا ومن شرقيِّه مسلمو الكانم"[4]، ويذكر القلقشندي في القرن التاسع الهجري أن بلاد كانم مسلمون[5].

---

(1) مسعود عبد الله الوازني (التواصل الإنساني في وحدة العقيدة بين شمال الصحراء وبلدان السودان الغربي حتى عصر المرابطين)، ص311.

(2) أبو الحسن بن السعيد، كتاب الجغرافيا، ص94 ـ 95.

ـ عبد الفتاح مقلد الغنيمي، حركة المد الإسلامي في غرب إفريقية، نهضة الشرق، القاهرة، ص120.

(3) علي مصطفى المصراتي، مؤرخون من ليبيا، ص28، وللمزيد عن انتشار الإسلام من قبل شيوخ جبل نفوسة راجع عبد الله بن يحيى الباروني، رسالة سلم العامة والمبتدئين، القاهرة، مطبعة النجاح، 1290هـ، ص21.

(4) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص157.

(5) القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص208.

أما بلاد الهاوسا فقد انتقل إليها الإسلام من بلاد الكانم عن طريق الأعمال التجارية، وترسخت تعاليم الإسلام في إمارات الهاوسا السبع بحلول القرن التاسع الهجري[1]، حيث تعد مدينة كانوا المركز الإسلامي الأول في بلاد الهاوسا نتيجة لما توفر لها من حركة تجارية، ففي تاريخ إفريقية العام "على الرغم من أن الحروب والحملات قد تواصلت طوال القرن الخامس عشر فقد زادت أنشطة كانوا التجارية المتنامية كثيراً، ويؤكد بعضهم فتح طريق بين يورنو وغوانجة في منتصف القرن، وراجت الإبل والملح الصحراوي في بلاد الهاوسا. . وكذلك ازدياد تمسك الطبقة الحاكمة بالإسلام بشكل كبير"[2].

وتجمع الكتابات السودانية على أن وصول الإسلام لبلاد السودان كان منذ فترة مبكرة، ترجع جذورها إلى بداية التحرير العربي لبلاد المغرب وتظهر أن الإسلام وصل إلى بقاع السودان في عهد الصحابة (رضوان الله عليهم) ابتداء من حملة عقبة ابن نافع على كوار[3].

واستناداً للمصادر والكتابات السودانية، فإن دخول الإسلام إلى ممالك السودان الأوسط قد بدأ بالفعل منذ أيام الفتوح الأولى، غير أن تأثيره بدا واضحاً في هذه الممالك ابتداءً من الحركة التجارية المتواصلة بين الشمال والجنوب، وقد أدت دوراً فاعلاً ومؤثراً في نشره وترسيخه، حيث اندفع من خلالها كثير من العلماء والدعاة أمثال الشيخ المغيلي[4]، والشيخ فتح الله أبو راس القيرواني الذي تتلمذ على يد الشيخ

---

(1) إبراهيم محمد بللو، (أحوال الإسلام والمسلمين في نيجيريا) ندوة الإسلام والمسلمين في إفريقية، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ص407.

(2) ج. ت نياني، تاريخ إفريقية العام، م4، ص279.

(3) عثمان بن محمد فودي، تبشير الأمة المحمدية، مخطوط بدون تاريخ، مكتبة الشيخ علي محمد كوماس، ورقة 3 وما بعدها.

- قريب الله محمد الناصر، الرسالة الجلية لمكانة نيجيريا العلمية، ص31.

(4) هو الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي القادري، من أعلام القرن التاسع الهجري، تلقى مبادىء علومه في المغرب الأقصى ثم انتقل إلى البلاد السودانية، وله عدة مؤلفات دينية، وأسهم مساهمة فاعلة في نشر الإسلام في الممالك السودانية، واستقر به المقام في البلاد الهاوسية، وأسرته معروفة في مدينة كانم.

- قريب الله محمد الناصر، الرسالة الجلية لمكانة نيجيريا العلمية، ص38.

الدوكالي وتعلم على يده الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري، وكان وصول الإسلام إلى مناطق السودان قد تم من خلال المسالك المغربية.

وتعد المسالك الليبية المرتبطة مباشرة مع بلاد السودان الأوسط ذات تأثير واضح، وخصوصاً لدى أقوام هذه المنطقة، ولاسيما عندما نجد أن القرن التاسع الهجري قد شهد ازدياد علاقات الترابط بين شيوخ الدين الموجودين في السودان الأوسط مع شيوخ الدين في ليبيا، كالشيخ زكريا في أوجله والشيخ يوسف في طرابلس، وكان هؤلاء الشيوخ يمنحون الإجازات العلمية في مختلف العلوم الدينية لعدد كبير من شيوخ البلدان السودانية[1]، واستمرت طبيعة هذه العلاقات الدينية على هذا الأسلوب إلى القرن الثاني عشر الهجري[2].

وقد ترافق مع انتشار الإسلام في ممالك السودان الأوسط تعلم اللغة العربية؛ حيث كان للتجار الليبيين قصب السبق في إحداث هذا التأثير هناك وتوجيه الاهتمام بين أهالي السودان في معرفة مفردات اللغة العربية لتساعدهم على مبادلاتهم التجارية، فضلاً عن الحاجة إليها لتمكنهم من معرفة أداء الشعائر الإسلامية، فالدخول في الإسلام يعني بالضرورة معرفة لغة القرآن وتعاليمه والسنة النبوية[3].

كما أصبحت الحاجة إلى الاطلاع على الثقافة العربية أمراً مهماً، فقد شجع سلاطين إمبراطورية البرنو وإمارات الهاوسا خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين زيارات عدد من العلماء ليقوموا بمهمة التعليم في هذه المناطق[4].

---

(1) مالم أما، فائدة الأولياء الذين كانوا في وقت واحد، مخطوط، مكتبة الشيخ مالم أما، أغاديس، بدون تاريخ، ورقة1.

محمد مخلوف، مواهب الرحيم في مناقب مولانا الشيخ سيدي عبد السلام بن سليم، مكتبة النجاح، طرابلس، ص94ـ 95.

(2) نصر بن محمد القميسي، وثيقة إجازة للشيخ سعد بن أحمد البليلي في كانو من الشيح نصر بن محمد القميسي بطرابلس، 1318هـ ورقة 1.

(3) أحمد إبراهيم دياب (علاقة اللغة العربية باللغات الإفريقية) دراسات إفريقية، عدد7، 1990، ص71.

(4) أ. م. كاني (مظاهر الاتصالات الفكرية بين شمال إفريقية ووسط السودان)، ص15.

لذلك شهد القرن الثامن الهجري وصول المؤلفات والكتب إلى هذه الممالك وانتشارها، مثل كتاب مختصر الخليل الحطاب في الفقه المالكي، ورسالةالسيوطي إلى حكام أرض الهاوسا، حيث تدفقت هذه الكتب عبرالواحات الليبية وهي تعد أقدم المصادر التي تناولت الحياة الاجتماعية والسياسية في ممالك الهاوسا[1].

وإلى جانب ذلك فقد تأثرت اللغات الإفريقية في الإمارات الهاوسية باللغة العربية وكانت لغةالهاوسا من أكثر اللغات الإفريقية تأثراً بها حيث عرف علماؤها الكتابة بالحرف العربي، وتُرجمت الكثير من المؤلفات العربية وكتب التراث والشعر العربي إلى الهاوسية، وأخذت القصيدة الشعرية النمط العربي في كتابتها، وبالتالي أدى هذا إلى التشابه الكبير بين العربية والهاوسية[2]، كما انتشر الخط العربي عند أهالي الكانم، فيشير القلقشندي إلى ذلك بقوله: "وكتابتهم بالخط العربي على طريقة المغاربة"[3].

ومن التأثيرات الواضحة في مجتمعات الممالك السودانية انتقال بعض الأسماء الليبية إلى هذه المناطق، حيث نجد من أسماء العلماء أحمد الزروق، وعبد السلام الأسمر، والبخاري والأنصاري والزويلي والغاتي، بحيث أصبحت هذه الأسماء مألوفة لدى أهالي المنطقتين.

كما يظهر هذا الأثر واضحاً في كتابة بعض المخطوطات السودانية التي توارثتها مجتمعات بلاد السودان الأوسط[4]، وكان مايات البرنو والكانم على درجة كبيرة من

(1) إبراهيم بن يونس (تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم - برنو) دراسات، الخرطوم، 1970، ص255.

(2) أحمد إبراهيم دياب (علاقة اللغة العربية باللغات الإفريقية) ص82 وما بعدها.

(3) أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص298.

(4) محمد عمر الغدامسي، بدون عنوان وتاريخ، مخطوط، مكتبة الشيخ مالم كبير القادرية، غير مصنفة، ورقة 1.

- محمد البخاري بن أحمد، تأسيس الإخوان بأخبار الخلفاء في السودان، مخطوط، جامعة ساي، رقم التصنيف 82، ورقة 28 - 29.

- بخاري تانودي، مصباح الظلام في وفيات أعيان القرن الثالث عشر بأغاديس، مخطوط، مركز المخطوطات للعلوم الإنسانية، جامعة نيامي، رقم التصنيف 58.

الفهم لمفردات العربية، ويظهر لنا ذلك في الأسلوب الرفيع الذي كتبت به الرسالة التي بعث بها الماي عمر بن إدريس - أحد مايات الكانم - إلى السلطان برقوق في مصر، بتاريخ 744هـ- 1425م يشكو فيها من غارات عرب جذام على مملكته[1].

ولم يكن أثر المجتمع الليبي في مجتمعات السودان الأوسط وحده الذي أنتجته الحركة التجارية القائمة بين المنطقتين، بل إن المراكز التجارية الليبية وخاصة الصحراوية قد أثرت هي الأخرى من الناحية اللغوية بالمجتمعات الهاوسية والبرنوية والزغاوية، ويعود هذا الأثر اللغوي إلى القرن الرابع الهجري، ففي هذه الحقبة كان والي جبل نفوسه أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني يتكلم اللغة الكانمية السودانية إضافة إلى العربية، حينما كانت مدينة جادو المجاورة لبلدته تمثل نقطة انطلاق القوافل التجارية المتجهة نحو زويلة ومنها إلى بلاد الكانم[2].

ويمكن أن نتلمس التأثيرات الكانمية في عهد السلطنة في فزان لدى أهالي تراغن ومرزق، وتتمثل في انتقال الأسماء البرنوية، كأسماء الأشخاص مثل (أب كوراكياي) وتعني أمي الكبيرة - (ناناكورا) وتعني المرأة الصغيرة - (ناناقنا) وتعني البنت الصغيرة - (أباني) وتعني الكبير، كما حملت بعض السواني في تراغن مسميات برنوية مثل سانية (كنقرو) والتي تعني الشجرة التي يدبغون بها الجلود[3].

وفي مدينة غدامس ظهر الأثر الهاوسي بوضوح داخل المجتمع الغدامسي حيث نجد نسبة كبيرة من أهالي غدامس يجيدون اللغة الهاوسية، ولديهم كثير من مسميات السلع التجارية القادمة من الممالك السودانية بأسمائها الهاوسية والكانمية[4]، والجدير بالذكر أن الغدامسيين مازال كثيرٌ منهم يجيد اللغة الهاوسية في الوقت الحاضر[5].

---

(1) أحمد القلقشندي، المصدر السابق، ص279.

(2) أبو عبيدة البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص10.

(3) من مشاهدات البحث، قام به الباحث في كل من مدينتي غات ومرزق بتاريخ مارس 1999.

(4) مجهول، تذكير الناسي وتليين القلب القاسي بذكر شيء من مناقب الشيخ سيدي عبد الله أبي بكر الغدامسي، مخطوط، مركز جهاد الليبيين - ملك 59 - 23، ورقة 10 وما بعدها.

(5) من مشاهدات الباحث في مدينة غدامس بتاريخ 15/ 10/ 1999ف.

وأغلب الظن أن من أهم المؤثرات الاجتماعية في بلاد السودان الأوسط التي أنتجتها الحركة التجارية القائمة مع الشمال وما صاحبها من انتشار الإسلام واللغة العربية هو وصول قوافل الحج إلى البيت الحرام عبر المراكز التجارية الليبية، ويبرز هذا الأثر بوضوح عندما ينتظم سلاطين الكانم وسنغاي والهاوسا في قوافل الحج سنوياً إلى الأراضي المقدسة.

ويعد لقب حاج من الألقاب التي اعتز بها مايات البرنو وأمراء الهاوسا، وذلك بعد أن يؤدي الواحد منهم فريضة الحج[1]، كما كانت غات حلقة الوصل الرئيسية لقوافل الحج القادمة من بلاد السودان الأوسط، وتشغل مدينة غدامس البوابة الرئيسية لوصول قوافل الحجيج القادم من السودان الغربي ليمر داخل البلاد الليبية، حيث شهدت هذه المدينة خلال القرن الثامن الهجري مرور رحلة سلطان مالي منسي موسى[2]، المشهورة ومن بعده منسي سليمان[3]، إلى الأراضي المقدسة في الحجاز[4].

ومن رحلات الحج إلى الأراضي المقدسة المشهورة في مكة والمدينة، تلك الرحلات التي قام بها سلاطين سنغاي، ومنها رحلة أسكيا محمد الكبير[5]،

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص219.

(2) هو ملك مالي في الفترة 712 ـ 738هـ، وأعظم حكامها وأكثرهم شهرة، وتعد حجته المشهورة 724هـ من أشهر رحلات الحج إلى الأراضي المقدسة التي عرفتها مجتمعات الممالك السودانية.
للمزيد راجع ابن خلدون، العبر، ج6، ص414.
ـ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص304.

(3) منسي سليمان بن أبي بكر أحد ملوك دولة مالي في الفترة 742 ـ 762هـ وقد عمل طوال حياته على تشجيع العلم والعلماء وبناء المساجد والمنارات.
للمزيد راجع القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص285.
ـ الهادي الدالي، العلاقات بين مملكة الكانم الإسلامية وأهم المراكز بالشمال الإفريقي، مركز دراسات شؤون الصحراء، ط1، 1991م، ص39 ـ 40.

(4) محمود كعت، تاريخ الفتاش، باريس، نشر هوداس، 1913م، 219.

(5) هو محمد توري أوسيلا، أطلق على نفسه لقب أسكيا وأسس أسرة حاكمة مسلمة، وهو من أصل سوننكي، من عشيرة توري أوسيلا المنحدرة من التكرور، وقد دعم مملكة سنغاي التي أسسها سني علي، واشتهر برحلته المشهورة للحج، التي التقى فيها مع السيوطي عام 1497 في الأزهر الشريف.
ـ ج. ت نياني، تاريخ إفريقية العام، م4، ص206.

(ت1476م) حيث اصطحب معه عدداً كبيراً من الحجاج يقدر بثمانمئة حاج[1]، غير أن السعدي ذكر أن عدد الحجيج المرافقين للسلطان اسكيا محمد الكبير في تلك الرحلة قد يصل إلى ألف وخمسمائة حاج، وأنه تصدق بمائة ألف دينار من الذهب واشترى بمثلها نزلاً للحجاج السودانيين في مصر[2].

وكانت رحلات الحج المتجهة إلى الأراضي المقدسة من السودان الأوسط منتظمة ومستمرة، ونستطيع أن نلمس ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها الماي عثمان بن إدريس[3]، مع ابن عمه إدريس بن محمد، ومعها هدية إلى السلطان برقوق في مصر مع صحبه الحجيج الذين سافروا لأداء هذه الفريضة، وأنه تلقى الرد من السلطان برقوق بعد سنتين مع صحبه الحجيج أيضاً[4]، كما يذكر صاحب كتاب إنفاق الميسور في تحدثه عن بلاد البرنو بأنه حج عدد كبير من سلاطينهم بقوله: "وقد حج من سلاطينهم كثيرون وتظاهروا بالخير والإسلام"[5].

وإلى جانب التأثيرات الدينية واللغوية والاجتماعية، هناك ما يمكن التأكيد عليه فيما يتعلق بطرق التعليم وأساليبه ومراحله في مختلف أقاليم بلاد السودان الأوسط.

ففي بداية القرن السابع الهجري كان هناك تدفق مستمر إلى الشمال الإفريقي من طلاب كانم وبرنو لطلب العلم وبرز عدد كبير منهم في مختلف مجالات المعرفة، وكانت المراكز التجارية الليبية تمثل حلقة الوصل الرئيسية لوصول هؤلاء الطلاب إلى كلٍ من القاهرة وتونس[6]، كما أن الزوايا التي أسسها الأئمة في ليبيا مثل زاوية عبد

---

(1) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص19.

(2) السعدي، تاريخ السودان، بردين، أنجيمي، 1898م، ص64.

(3) عثمان بن إدريس وهو أحد مايات الأسرة السيفية في الكانم، وامتد حكمه في الفترة من (1390 - 1422م) وفي عهده انتقلت الأسرة السيفية من أنجيمي إلى كوكا بعد قيام مملكة البرنو.
للمزيد راجع ج. ت نياني، تاريخ إفريقية العام، ج4، ص264.
- أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1972، ص290.

(4) القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص8.

(5) محمد عثمان فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، ص24.

(6) أ. م. كاني (مظاهر الاتصالات الفكرية بين شمال إفريقية ووسط السودان)، ص15.

السلام الأسمر في زليتن وأحمد الزروق[1]، إن مصراته كانت هي أيضاً مركز إشعاع علمي لعدد كبير من طلاب الكانم والبرنو خلال القرن التاسع الهجري، ونتيجة لهذا الاتصال الثقافي تأثرت كل من مجتمعات ممالك الهاوسا والكانم بأسماء هؤلاء الأئمة وتسموا بها، بل أصبح اسم أحمد الزروق من الأسماء المحبوبة التي يعتز بذكرها في هذه الممالك السودانية[2].

وقد استمر ذلك حتى القرن التاسع الهجري حيث ساد في برنو نظام التعليم الإسلامي وازداد عدد الطلبة منذ عهد السلطان علي جاجي، وأنشئت المدارس، منها مدرسة الشيخ أحمد فاطمي من شيوخ القرن التاسع الهجري، وأصبحت برنو من المراكز العلمية التي شهدت اجتماع الطلاب من مختلف ممالك السودان في تلك الفترة[3]، وقد كان لمدارس برنو صلة وثيقة بالأزهر الشريف والبلاد المصرية، حيث يؤكد لنا القلقشندي ذلك بقوله: "وقد بنوا مدرسة للمالكية بالفسطاط تنزل بها وفودهم"[4].

ويمكن القول: إن التعليم ارتبط في ممالك السودان الأوسط منذ القرن التاسع الهجري بانتشار الإسلام الذي كان له في الحث على طلب العلم واكتسابه دور كبير، حيث كان المسجد من أهم دور التعليم في ممالك الكانم والبرنو والهاوسا، ففي أواخر القرن التاسع الهجري بنيت المساجد من الطين المحروق، ويعد إدريس الوما في كانم من أكثر المهتمين ببناء المساجد، إذ بنيت المساجد على أشكال مختلفة منها على شكل دائري يشبه الكوخ ومنها ما كان على شكل مربع ومنها ما كان مستطيلاً[5].

---

(1) هو الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، عرف بالزروق ولد يوم الخميس عام 846هـ وتوفي في صفر عام 899هـ ببلدة مصراته، وله مؤلفات دينية عديدة.

ـ للمزيد راجع أحمد النائب الأنصاري، المنهل العذب بتاريخ طرابلس الغرب، ص181 وما بعدها.

(2) بخاري تانودي، مصباح الظلام في وفيات القرن الثالث عشر إلى الرابع عشر بأغاديس، ورقة 8.

(3) أمين توفيق الطيبي (وصول الإسلام وانتشاره في كانم ـ بورنو بالسودان الأوسط)، ص182.

(4) القلقشندي، صبح الأعشى، ج4.

(5) فضل كلود الدكو، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية الكانم، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، ص158.

كذلك يعد المسيج[1] ، من أهم أماكن التعليم في مملكة الكانم إذ كان يقوم بما تقوم به المدرسة في البلاد الأخرى ، وكان كل من حفظ القرآن في كانم يمكنه أن يتخذ لنفسه مسيجاً يعلّم فيه الأطفال ، وبالتالي فقد كان مفهوم المسيج في دولة الكانم هو المكان الذي يلتقي فيه العالم مع المتعلم ، وبذلك يعد المسيج النواة الأولى لظهور المدرسة بالمفهوم الحديث ، وأحد المؤثرات الاجتماعية الثقافية في الممالك السودانية .

ومن التأثيرات الاجتماعية المتبادلة بين مجتمعات طرفي الصحراء ، التي نتجت من خلال انتشار الإسلام والعادات والتقاليد العربية فيما يتعلق بالزي ومظاهره ، حيث برز هذا الأثر بوضوح لدى الأسر الحاكمة سواء كان ذلك في بلاد السودان أو البلاد الليبية ، التي تسابقت في اقتناء أزياء أهالي الطرف الآخر من الصحراء ، فقد نجد سلاطين الكانم والبرنو يحرصون على ارتداء الأثواب العربية ومنها الزي الليبي[2] ، ويؤكد لنا الحسن الوزان عند زيارته لمناطق السودان هذا الحرص بأنهم "يرتدون أحسن الثياب ويتلثّمون بلثام كبير من قطن أسود وأزرق وإن الأئمة والفقهاء يتلثمون بلثام أبيض"[3] .

ومن مظاهر تشبههم بالعرب المسلمين ارتداؤهم للملابس البيضاء وخاصة في المناسبات الدينية كعيدي الأضحى والفطر ، وأثناء خروجهم لصلاة الجمعة ، حيث يذكر ابن بطوطة ذلك بقوله : "ومنها لباسهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة ولو لم يكن لأحدهم إلا قميص خلق غسله ونظفه وشهد به الجمعة"[4] .

---

(1) المسيج أصله مسيجد ، تصغير لكلمة مسجد ، حيث حذفت منها الدال بحكم اللهجات المحلية ، وفي بداية تكوينه كان مكاناً للذكر وحفظ القرآن ، وغالباً ما يكون في القرى الصغيرة أو في منازل البدو الرحّل أو مضارب الخيام .

- إبراهيم بن صالح ، تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية الكانم ، ص28 .

(2) البكري ، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب ، ص11 .

(3) الوزان ، وصف إفريقية ، ص163 .

(4) ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص303 .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أهالي السودان الأوسط والغربي مازالوا يحرصون على ارتداء الثياب البيض عند أدائهم للشعائر الدينية.

وتأثرت بعض المراكز التجارية الليبية بالأزياء السودانية وظهر هذا الأثر بوضوح في مدينة زويلة، حيث يشير هورنمان في مطلع القرن التاسع عشر إلى ذلك في حديثه عنها عندما كانت تحت النفوذ الكانمي والزغاوي بقوله: "إن أسرة الشريف كانت تلبس الملابس الطرابلسية وعليها القميص السوداني الأنيق"[1].

ومن التأثيرات الاجتماعية المباشرة لدى أهالي الكانم الاحتفال بالأعياد؛ حيث اعتاد أهالي السودان الأوسط على قضاء ليالي العيد في سمر وطرب، بما كان متعارفاً عليه عند أهالي المدن الليبية في الشمال، فقد كان الناس ينقسمون في ليالي العيد إلى قسمين فكبار الملاك وبعض التجار والعلماء يسهرون حتى وقت متأخر من الليل ويصطفون على الطرقات يتسامرون، أما الذين يقومون بأعمال مجهدة خلال النهار مثل أصناف العاملين في الحقول والأسواق والرعاة فهم يهرعون إلى النوم كعادتهم.

ويقضي أهالي السودان الأوسط ليلة العيد يستمعون إلى الغناء والرقص على دقات الطبول في مختلف أنحاء المدن[2].

وهنالك من الآثار الاجتماعية المتبادلة بين أقوام بلاد السودان وأهالي المدن الليبية أثر الملبس الذي يعد ضرباً من الأناقة تزيد صاحبها احتراماً ووقاراً في أعين الناس، ولذلك حرص الوجهاء وعلية القوم على اقتناء الثياب الفضفاضة أمام العامة، فاكتسب أهل السودان ظاهرة التأنق في الملبس وحسن المظهر، وحرصوا على ارتداء الثياب في الأعياد والمناسبات، وكانت النسوة يتحلين بالودع يعلقنه على رؤوسهن وصدورهن، كذلك يضعن الأقراط الذهبية والفضية على الآذان[3].

(1) فريدريك هورنمان، رحلتان عبر ليبيا، دار الفرجاني، طرابلس، ط1، 1974، ص126.
(2) عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، ص131 ـ 132.
(3) محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص62.

أما المرأة في بلاد السودان الأوسط فقد كانت تقضـي أغلب أوقاتـها فـي المنزل تطحن الدقيق وتصنع الطعام وتهتم بتربية الأولاد، وتحيك الصوف والقطن، وتجلـب الماء من الآبار، كما تقع عليها مسؤولية تهيئة الوقود وذلك بجلب الحطب من الغابـة، وفي القرى تعمل النسوة مع أزواجهن في الحقول، وتصنـع المرأة الغـداء وتحملـه إلـى زوجها في الحقل، بل هناك منهن من يقمن بالأعمال التجارية[1].

نلاحظ أن الأعمال التي تقوم بها المرأة السودانية تتشابه إلى حد ما مـع مـا تقـوم به المرأة الليبية، وخاصة المرأة الريفية.

وهناك من التأثيرات الاجتماعية الأخرى فـي بـلاد الـبرنو، ومسـاهمة الفرسـان العرب الذين قدموا من ليبيا في خلال القرنين الثامن والتاسع الـهجريين فـي العمليـات العسكرية، وذلـك لمعرفتـهم الجيـدة بركـوب الخيـل، كذلـك اشـتغل هـؤلاء بصناعــة الحديد ونقلوا معهم صناعة البنادق والبارود إلى بـلاد السـودان الأوسـط منـذ فـترة مـا قبل القرن التاسع الهجري، ومـا أنْ جـاء الأتـراك فـي مطلـع القـرن العاشـر الـهجري - السادس عشر الميلادي حتى وجدوا أن أهالي البلاد السودانية على معرفة كبيرة باقتنـاء السلاح، وباشروا في تدريب الأهالي على تلك الأسلحة[2].

(1) فضل كلود الدكو، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية الكانم، ص230.

(2) أحمـد الفيتوري، (الجاليـات العربيـة المبكـرة فـي بـلاد السـودان)، البحـوث التاريخيـة، مركـز جـهاد الليبيين، يوليو 1981.

# الخاتمة

أدت المراكز التجارية الليبية خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين ـ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين دوراً له أهمية في الحركة التجارية المتواصلة مع البلاد السودانية ، والتي تعود بداياتها إلى عصور ما قبل الإسلام ، حيث شهدت هذه المراكز التجارية من خلال مسالكها البداية الأولى أوّلَ لقاء بشري تاريخي مع أهالي ممالك السودان الأوسط ، وذلك منذ وصول الفتوح الإسلامية إلى الشمال الإفريقي ، فحملة عقبة بن نافع الفهري إلى منطقة كوار سنة 46هـ/ 666م ـ التي تمت من خلال واحات فزان ـ تعطي أهمية واضحة لوجود علاقات مسبقة بين المدن الليبية والبلاد السودانية ، واستمر هذا التواصل التجاري طوال العصر الإسلامي واقترن نشاطه بالدعوة للعقيدة الإسلامية في كلِّ المراكز السودانية .

وتعد الحركة التجارية المارة في بالمفازات الليبية من الجنوب إلى الشمال وبالعكس هي العامل الأول لقيام المراكز التجارية وظهورها في كلتا المنطقتين السودانية والليبية مؤدية دور الوسيط التجاري عبر شبكة من الطرق الرئيسية تربط وسط السودان بالسواحل الليبية ، حيث برزت غدامس وغات كمركزين رئيسيين في الطرف الجنوبي الموصل للبلاد السودانية الوسطى ، كما ارتبطت مراكز فزان وأهمها زويلة ـ مرزق مباشرة مع مراكز كوار ، وارتبطت الواحات (تيبستي) مع مراكز زغاوة والوداي .

ويمكن القول : إن هذه المراكز قامت على العامل التجاري في كلتا المنطقتين على السواء في كل من العمارة وأسلوب التعامل ، وتشابهت فيما بينها من حيث فترات الازدهار والاضمحلال .

وكانت الفترة الواقعة بين القرنين السابع والعاشر الهجريين فترة ازدهار تجاري للمنطقتين على السواء ، بالرّغم من أنها شهدت صراعات داخلية عدة ، وهذا يعود

على الأرجح إلى الطلب المتزايد للسلع التجارية وخاصة السودانية من مصر والبلاد الأوروبية، حيث كان للنهضة الأوروبية ومتطلباتها من المواد الخام تأثيرات بهذا الازدهار التجاري، فكانت الجلود وخام التبر (الذهب) وريش النعام والرقيق في مقدمة السلع الصادرة من الممالك السودانية الوسطى، وراجت التجارة، كما شهدت المراكز التجارية ارتقاءً حضارياً في ناحيتي التنظيم والمعاملة، ونتيجة لكبر حجم هذا النشاط التجاري ازداد عدد القوافل وكميات السلع الصادرة والواردة، واعتمد القائمون على هذا النشاط الأساليب الخاصة لهذا التنظيم، وظهر هذا الأثر التجاري موحداً بوضوحٍ لدى أهالي المنطقتين على السواء.

وعند دراسة هذا النشاط التجاري بحجمه الأكبر في تلك الفترة، يتضح لنا دور تجار غدامس واستحواذهم على جانب كبير من الحركة التجارية، وبروزهم كوسطاء تجاريين بين مراكز الشمال (طرابلس والمهدية) والمراكز الجنوبية في السودان الأوسط، وأدوا مهمة ذلك التواصل التجاري على أكمل وجه، وتمتعوا بقدرٍ وافرٍ من الاحترام، وشهد لهم الكثير من المؤرخين، إضافة إلى بروز طائفة اليهود الرهادنة، الذين أسسوا الوكالات التجارية على امتداد السواحل المغربية، وأدّوا دور الوسيط التجاري مع البلاد الأوروبية، كما ظهرت الجماعة الكارمية في بلاد الكانم، واحتلت جانباً كبيراً من النشاط التجاري مع البلاد المصرية في تلك الفترة.

وعن طريق الأعمال التجارية المتبادلة بين الممالك السودانية والمراكز التجارية الليبية، انتقلت بعض المؤثرات الاجتماعية وأخذ بها أهالي المنطقتين، وكان الأثر الإسلامي أكثر وضوحاً، حيث شهدت تلك الفترة إسلام كثير من سلاطين الممالك السودانية، وانتشرت اللغة العربية بخطها العربي، حتى أصبحت لغة الثقافة الرسمية في الكثير من البلاطات السودانية، وكتبت بعض المؤلفات بها، كما أدى انتشار الإسلام في البلاد السودانية إلى وصول الكثير من علماء الدين إلى المدن السودانية من خلال المنافذ التجارية الليبية.

وشهدت تلك الفترة وصول هجرات عربية ليبية إلى مناطق السودان الأوسط أسهمت مساهمة فاعلة في الصراعات السياسية في المنطقة، ومن خلال النشاط التجاري استقر الكثير من التجار الليبيين في المناطق السودانية، وأسسوا أحياءً خاصةً بهم وامتزجوا مع أهالي السودان، ونقلوا معهم عاداتهم وتقاليدهم وصنائعهم وامتهنوها، حتى أصبحت لهم مصدر رزق يتوارثونها جيلاً عن جيل.

وتأثرت المراكز التجارية الليبية وخاصة الصحراوية من الناحية الاجتماعية بانتقال الكثير من المسميات في السلع والمعاملات، وانتقلت اللغة الهاوسية والكانمية حتى أجادها الكثير من أهالي هذه المراكز، كما عرفت بعض الأحياء بأسماء سودانية، وقد كانت مراكز غات وغدامس وفزان من أكثر هذه المراكز تأثراً.

كما يتضح من خلال هذه الدراسة أن المناطق التي توجد فيها القبائل الليبية في مناطق السودان الأوسط هي منطقة الكانم شرق التشاد، ساو، الكانمبو، أرض انقرطي (انقيقمي) ومادقري، وزندر، وأغاديس، وهذه المناطق التي استوطنها الليبيون منذ فترة مبكرة تقع جميعها في الطريق التجاري الواصل إلى المراكز التجارية الليبية.

ومن الملامح الاجتماعية والعمرانية التي نقلها الليبيون إلى مناطق السودان الأوسط صناعة السروج وعادات الزواج والأفراح وركوب الخيل، والطراز المعماري الغدامسي والغاتي والتي مازالت شواهدها إلى الوقت الحالي.

ودراسة الحركة التجارية المتبادلة بين أهالي جانبي الصحراء في هذه الفترة التاريخية المتقدمة تظهر لنا عمق الاتصال الحضاري بين المنطقتين، ووحدة التاريخ والجغرافيا في القارة الإفريقيّة.

# الملاحق

1 - ملحق المصطلحات والنظُم.

2 - ملحق الخرائط.

3 - ملحق المخطوطات.

4 - ملحق الصور.

## 1 - ملحق المصطلحات والنظُم..

### أ - (معجم ببعض الألفاظ والمصطلحات السودانية الواردة في البحث)

1 - أسكي أوسكيا Askia لقب ملوك الأسرة الثانية في حكم إمبراطورية سنغاي الإسلامية، وأول من لقب به محمد أبو بكر الطوري الذي ولي عرش سنغاي عام 1493 ميلادية.

2 - برنو Barna أو بورنو Bornu لم تطلق أساساً على مكان معين وإنما هي التسمية التي أطلقها العرب على الكانوري فسموها بارنو وهذه الكلمة تحريف لكلمة باران Barant أو بارام Baram وهما صيغتا الجمع لكلمة "بار" بار Bar بمعنى رجل أو محارب في بعض اللغات الصحراوية.

3 - برني Birni معناها مدينة.

4 - بولالا Bulala بمعنى الأحرار أو النبلاء بلغة الطوارق.

5 - توبو Tubu معناها سكان التلال أو سكان تيبستي، وكذلك تيبو Tibu بنفس المعنى، وتعني كذلك سكان الصحراء أو شعب الصحراء.

6 - جرما Jerma لقب صاحب إقطاع وارا Wara عاصمة وداي ويقابل الكانوري زرما Zerma.

7 - جرمنتيون garamantes: سكان فزان وشمال تيبستي وسماهم الرومان كذلك القروان Garawan أو التدا Tada.

8 - دالا Dala لقب في اللغة النوبية بمعنى سيد الجبل.

9 - زغاوة Zaghawa مشتقة من سك Sek أو سغ Segh بمعنى معسكر أو مخيم في لغة تماشك Tamashak أي لغة نبلاء الطوارق، وفي صيغة الجمع يضاف المقطع أوا (Awa).

10 - الكانمبو Kanembu أي الكانميون أو أهل كانم والمفرد: كام - كانم تدل على معنى الملكية أو التبعية في صيغة المفرد وجمعها بو Bou.

11 ـ ماي Mai : لقب ملوك برنو ومعناها ملك أو سيد . وماي Mai في لغة الهوسا معناها صاحب ويقابلها ملك Mak في السودان الشرقي .

12 ـ شواء Sahiwa أو Choa هم العرب في منطقة بحيرة تشاد ويطلق عليهم أهل وداي اسم القرعان ، ويطلق الطوارق عليهم اسم إكارادا Ikarada[1] .

## ب ـ توضيح الأرقام الحسابية الغدامسية بما يقابلها بالأرقام الغبارية المستخدمة في أعمالهم التجارية :

| أرقام غدامسية | أرقام غبارية |
|---|---|
| I | 1 |
| II | 2 |
| III | 3 |
| IIII | 4 |
| د | 5 |
| Iد | 6 |
| IIد | 7 |
| IIIد | 8 |
| IIIIد | 9 |
| 5 | 10 |
| ح | 50 |
| | 100 |
| | 1000 |
| | 5000 |
| | 10.000 |
| ج | 50.000 |
| | 100.000 |

(1) نقلاً عن كتاب إمبراطورية البرنو الإسلامية ، لإبراهيم علي طرخان ، ص208 وما بعدها .

الكسور وهي على نوعين :ـ

أولاً : تقسيم 1 إلى 12

- أي ← ¼

= أي ← ½

= أي ← ¾

ثانياً : تقسيم 1 إلى 24 :

إذا احتاجوا تقسيم 1 إلى أكثر من 12 يقسمونه إلى 24 نقطة وكل أربعة نقاط يجمعونها خطاً أفقياً ويزيدون فوقها نقاطاً ما لم تبلغ أربعة ، وهكذا فكل أربعة يضعونها خطاً أفقياً حتى تصل إلى 23 نقطة وهكذا[1] .

### ج ـ 1 : أثر اللغة العربية في اللغة الفولانية :

| الكلمة الفولانية بالحرف العربي | الكلمة العربية المقابلة لها | الكلمة الفولانية بالحرف اللاتيني |
|---|---|---|
| موأدبو أو مديبو | مؤدب | Moadabo |
| دفتري ـ بكسر الدال | دفتر أو كتاب | Defetri |
| دواء بكسر الدال | دواء | Dawa |
| صومي | صوم | Soomi |
| أفام | فهم | Afahm |
| سدم | سد | Sedum |
| ساعة | الساعة | Saha |
| قبري | القبر | Gabri |
| عدّاً | عدّة | Edde |
| قاضي | القاضي | Geedi |

(1) نقلاً عن كتاب : بشير قاسم شوسع ، غدامس وثائق تجارية تاريخية اجتماعية .

| الكلمة الفولانية بالحرف اللاتيني | الكلمة العربية المقابلة لها | الكلمة الفولانية بالحرف العربي |
|---|---|---|
| Sajoade | السجود | سجودا |
| Smaa | السماء | اسما |
| Barke | البركة | بركا |
| Lakkara | الآخرة | لاخرى |
| Facirde | التفسير | فسيردا |
| Haju | الحج | حاجي |
| Keefeero | الكافر | كافيرو |
| Seede | الشهادة | سيدا |
| Fajiri | الفجر | فجري |
| Hakke | الحق | حقي |
| Maniya | المنية | منية |
| Jina | الزنا | جينا |
| Nafige | المنافق | نافيقي |
| Hasside | الحسود | حسيدي |
| Elimam | الإمام | اليمام |
| Seytaan | الشيطان | سيطان |
| Musiba | المصيبة | مصيبا |
| Riba | الربا | ريبا |
| Harmi | حرام | حرامي |
| Allh | الله | الله |
| Diina | الدين | ديني |
| Salminaago | السلام | سلامنا نجو |
| Kafaars | الكفارة | كفارا |

| الكلمة الفولانية بالحرف العربي | الكلمة العربية المقابلة لها | الكلمة الفولانية بالحرف اللاتيني |
| --- | --- | --- |
| فتنة | الفتنة | Fitina |
| شريعا | الشريعة | Sariya |
| صنام | الصنم | Sanam |
| سترا | الستر | Sutura |
| سبابو | السبب | Sababu |
| سجادي | السجاد | Sajaade |
| فهمدى | الفهم | Faamde |
| زياردى | الزيارة | Zuuraade |
| است | السبت | Aset |
| آلت | الأحد | Alet |
| التين | الاثنين | Altine |
| ثلاثا | الثلاثاء | Talaata |
| الربع | الأربعاء | Alarba |
| الخميسا | الخميس | Alkamusa |
| باس | إلياس | Baasi |
| منيا | النيه | Maniya |
| هيبا | الهيبة | Hayba |
| لا | العلة | Alla |
| فايدا | الفائدة | Faayuda |
| تاريخ | التاريخ | Taaruk |
| الجنا | الجنة | Aljanna |
| الرزق | الرزق | Aruzuku |

## ج ـ 2 : أثر اللغة العربية في اللغة الهاوسية :

وهذه بعض المفردات الدينية الإسلامية التي استعارتها لغة الهاوسا من اللغة العربية. ومن الواضح أن المفردات الدينية الإسلامية في اللغات الإفريقية المكتوبة بالحرف العربي كلها عربية.

| Hausa | English | Arabic Original |
|---|---|---|
| Addini | Religion | الدين |
| Lahira | Hereafter | الآخرة |
| Gahnnam | Hell | جهنم |
| Allah | God | الله |
| Aijalla | Paradise | الجنة |
| Musulmi | Moslem | المسلم |
| Farida | Obligatory | الفريضة |
| Shehu | Sheikh | الشيخ |
| Sadaka | Alms | الصدقة |
| Salla | Prayer | صلاة |
| Limal | Prayer leader | إمام |
| Sadaki | Doury | صداق |
| Ldda | Retirement after divorce | عدة |
| Kala,s | Repayment of prayer | قضاء |
| Zunubi | Sin | ذنوب |
| Zakka | Or fast | زكاة |
| Hagga | Pilgrimage | حج |

| Hausa | English | Arabic Original |
|---|---|---|
| Alkadi | Gudje | القاضي |
| Majilisa | Court | مجلس |
| Sharia | Islamic Court | شريعة |
| Waliyi | Guardian | ولي |
| Adalci | Justice | عدل |
| Bidia | Innovation | بدعة |
| Sunna | Tradition of the Prophet | سنة |
| Farida | Obligatory | فرض |
| Munafuki | Hypocrite | المنافق |

ج - 3 :

والمجال الثاني الذي أثرت فيه اللغة العربية علـى اللغـات الإفريقيـة العامـة وهـي الهاوسـا والفلانـي والسـويحلي، خاصـة علـى المجـالات الثقافيـة بمـا فـي ذلـك الأدب والشعر والمعاملات التجارية، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

| Hausa | English | Arabic Original |
|---|---|---|
| Albasa | Onion | بصل |
| Sukar | Sugar | سكر |
| Sandal | Sandalwood | صندل |
| Sabulu | Soap | صابون |
| Kabari | Grave | قبر |
| Msjalisa | Council | مجلس |
| Alada | Custom | عادة |

| Hausa | English | Arabic Original |
|---|---|---|
| Juma,a | Friday | الجمعة |
| Lahdi | Sunday | الأحد |
| Sahni | Kettle | كفتيرا |
| Alkalami | Pen | القلم |
| Almakashi | Scissors | المقص |
| Pharsashi | Bullet | رصاص |
| Lulu,u | Jewel | لؤلؤ |
| Alkaki | Cake | الكعك |
| Alkubuz | Bread | الخبز |
| Alfuta | Table Cloth | الفوطة |
| Dillali | Auctioneer | دلال |
| Tagiya | Cap | طاقية |
| Kaptani | Gaun | قفطان |
| Garwa(na) | Tin | قروانة |
| Linzami | Rein | لجام |
| Albarushi | Gun Powder | البارود |
| Alfindiki | Hotel | الفندق |
| Tasa | Plate | طاسة |
| Alewa | Sweet | حلوى |
| Kittani | Thread | كتان |
| Sanduki | Box | صندوق |

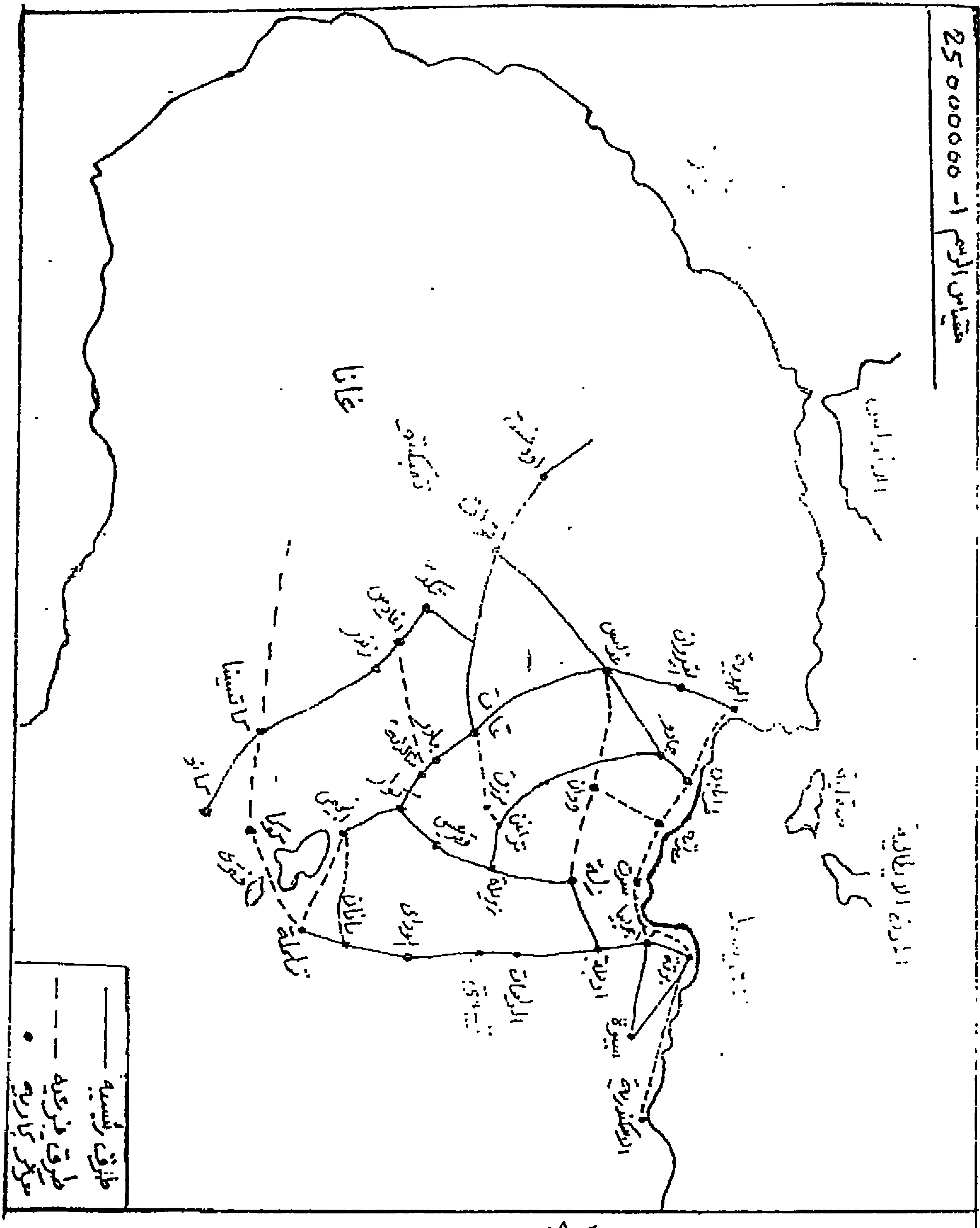
نقلاً عن : أحمد إبراهيم دياب (علاقة اللغة العربية باللغات الإفريقية) مجلة دراسات إفريقية ع7 .

# 2 ـ ملحق الخرائط

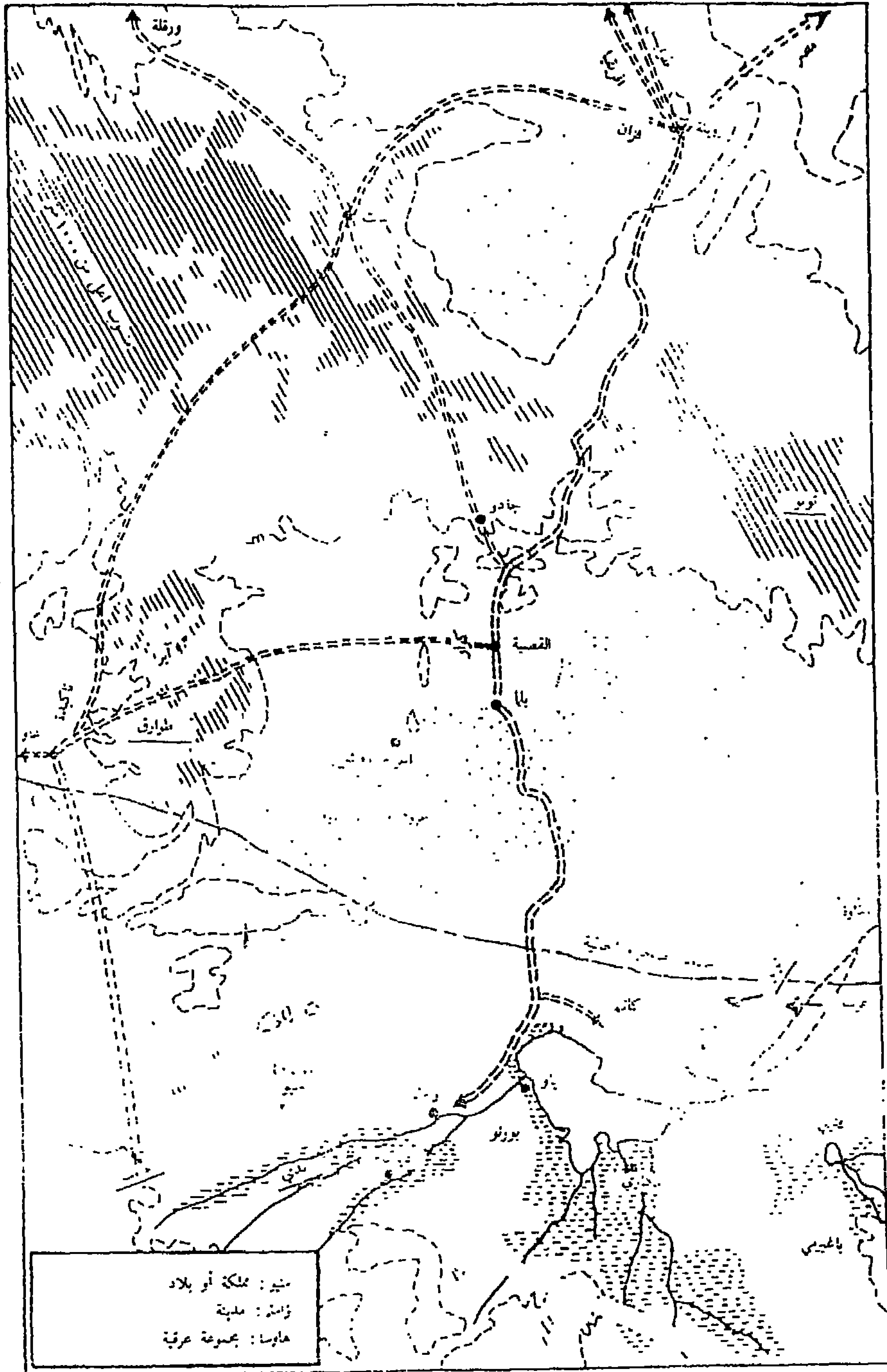
**خريطة رقم (1) توضح توزيع المناطق في كلٍ من ليبيا وبلاد السودان الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14/15 الميلاديين**

١٧٦

خريطة رقم (2) توضح توزيع المراكز التجارية في كلٍ من ليبيا وبلاد السودان الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين. 15/14 الميلاديين.

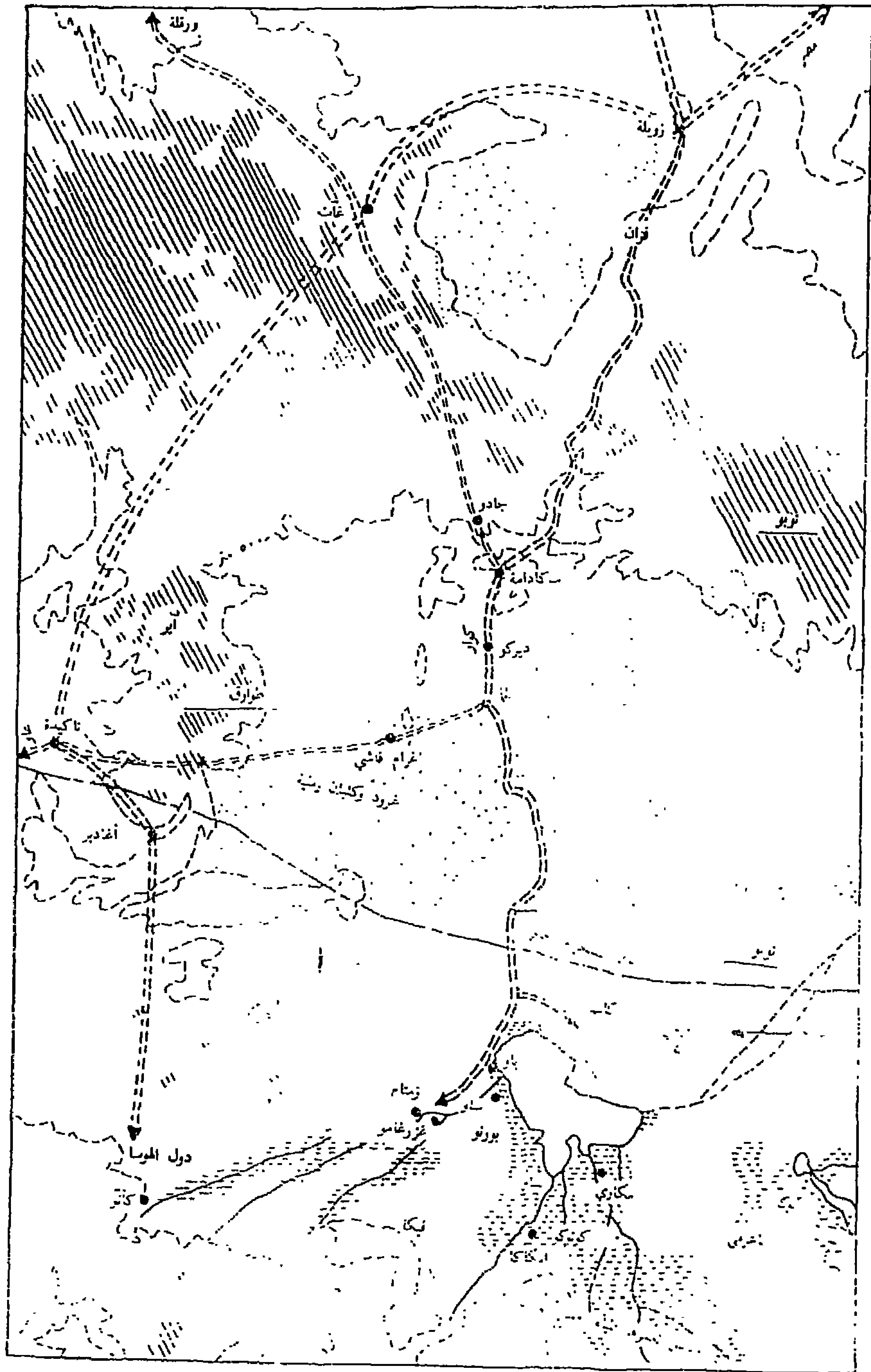



**خريطة رقم (3) توضح توزيع الطرق الرئيسية في كلٍ من ليبيا وبلاد السودان الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 15/14 الميلاديين**




**شعوب وممالك تشاد في القرن الرابع عشر.**

**نقلاً عن: كتاب تاريخ إفريقية العام م4.**




**شعوب وممالك تشاد في القرن الخامس عشر.**

**نقلاً عن: كتاب تاريخ إفريقية العام م4.**

# 3 ـ ملحق المخطوطات

[illegible] ركابه واستأذنا الشيخ في زيارته فأذن لي فسافرنا على [illegible]
[illegible] فلما وصلنا إلى باب الزاوية [illegible] قال أهلا يا عمر يا عمر تركت البحر
[illegible] الشيخ عبد القادر مالك [illegible] الأولياء [illegible]
[illegible] في هذا العصر ومن تلك الأولياء الشيخ علي بن وهب
[illegible] رضي الله تعالى عنه وهو أيضا ولي عظيم من عظماء الأولياء وكان
[illegible] عنه يقول الشيخ عبد القادر [illegible] الأولياء طوبى لمن رآه طوبى
لمن [illegible] ومن تلك الأولياء الشيخ موسى بن ماهين الزولي رضي الله
تعالى عنه وهو أيضا ولي عظيم من عظماء الأولياء قيل له رضي الله عنك [illegible]
[illegible] لسيدي عبد القادر فقال الشيخ عبد القادر [illegible]
[illegible] الأولياء وكيف لا [illegible]
[illegible] ومن تلك الأولياء الشيخ أبو النجيب عبد القاهر
[illegible] وهو أيضا ولي عظيم من عظماء الأولياء [illegible]
[illegible]
[illegible] سلكها ومن تلك
[illegible] الشيخ أحمد [illegible] الرفاعي وهو أيضا ولي عظيم من عظماء
[illegible] قال [illegible]
[illegible] الشيخ [illegible] عبد القادر رضي الله [illegible]
[illegible] الرفاعي رضي الله عنه وقال [illegible] الشيخ عبد القادر [illegible]
[illegible] الشيخ أحمد الرفاعي [illegible] ثم قال [illegible]
[illegible] الرفاعي [illegible] شيخ [illegible]

**ملحق رقم (1) جزء من مخطوط: تبشير الأمة المحمدية**

**حيث يفيدنا هذا المخطوط في معرفة تأثير الشيوخ الذين انتقلوا إلى بلاد السودان من خلال المراكز التجارية وفي فترات تاريخية متقدمة**

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الحمد لله ... 

... الذي جعل من استجازه جميع العقبات ويفيض على من أطاعه أنواع البركات ويمنح من استمنحه أسباب قربه
... والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادي إلى صراط مستقيم وعلى آله وأصحابه وأتباعه أولي النهج القويم
... عن سبيل الحق والنجاة أما بعد فإنه لما كان أخونا في الطريقة القادرية الشيخ الموفق العفيف السيد سعد بن أحمد
... البيلي من اختاره الله تعالى واجتباه في إحياء طريقة أستاذنا شيخ الإسلام سيدنا عبد القادر الجيلاني ومن المواظبين
... أحزابه وأوراده والمتمسكين بها أجزته بما أجازني به شيخنا في الطريقة المذكورة المرحوم سيدي الحاج محمد
... الذي تلقاها عن شيخه فيها الشيخ الأكبر سيدي محمد بن علي بن عبد النور عن شيخه محمد الرازي الحسيني عن شيخه مصطفى
... الدين أخيه نور الدين عن أبيه محمد الرضي ... عن والده حسام الدين عن أبيه نور الدين عن عمه أبي بكر عن والده
... أبيه ولي الدين عن والده زين الدين عن والده شرف الدين عن أبيه شمس الدين عن والده محمد الهتاك عن أبيه الماجد سيدنا
... عبد العزيز عن والده شيخ الطريقة والجامع بين الشريعة والحقيقة غياث القاصي والداني محي الدين سيدنا عبد القادر بن موسى
... الجيلاني وهو رضي الله عنه تلقى الطريقة عن شيخه فيها الشيخ أبي سعيد المبارك ابن علي المخزومي عن الشيخ أبي الحسن علي بن
... القرشي الهكاري عن الشيخ أبي الفرج الطرسوسي عن الشيخ أبي بكر دلف الشبلي عن الشيخ أبي القاسم الجنيد البغدادي
... الشيخ سري الدين السقطي عن الشيخ معروف الكرخي عن الشيخ داود الطائي عن الشيخ حبيب العجمي عن سيدنا الحسن البصري
... ناصر الملة والدين الشيخ الغالب سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن سيد المرسلين ورسول رب العالمين
... ونبينا أبي القاسم ... صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ... أن يلقن وردا أستاذنا المشار إليه
... في الدعوات ... الطريقة ويأخذ العهد ... كل من أراد الانتظام في ذلك السلك المقدس وأن يجيز كل
... أهلا للإجازة وأوصيه وإياي بتقوى الله تعالى وطاعته والإخلاص في العمل لوجهه تعالى وبالمواظبة على ذكر الله جل وعز
... صلى الله عليه وسلم أحب الأعمال إلى الله أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله وأحثه على التواضع للكبير والصغير وعدم رؤية
... النفس الأمارة بالسوء والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب تحرر
... عشر من شهر صفر سنة ألف وثلاثمائة وثمانية عشر من هجرة سيد البشر صلى الله عليه وسلم بطرابلس الغرب ...

... الحمد لله الذي نصب لإعلاء كلمته رجالا عارفين واختار من سبقت لهم منه العناية لإحياء دينه المتين وأمدهم بروح منه
... واصطفاهم لهداية عباده ليكونوا من الصالحين وجباهم لحضرته وجعلهم على أقدام الأنبياء والمرسلين والصلاة
... والسلام على سيدنا ومولانا محمد الداعي إلى سبل النجاة والخير المبين وعلى آله وأصحابه الذين اهتدوا بهديه ونصروه وبذلوا
... في نصرته المال والبنين أقول وأنا خديم الفقراء وأفقر من يلي محاطبا حضرة أخينا المحترم سيدي سعيد بن أحمد بن أحمد البيلي
... بعد أن تشرفت بالشريف كتابكم ... خطابكم وأكرمني به من وارد وأخبرني به من وافد أنبأنا أنه قد حقت لكم العناية
... وعمتكم النفحات النبوية ... في الطريقة القادرية وبه تلتمسون الإذن والإجازة جريا على ذلك ... صاحب
... أداء لحقوق الطريق وطلبا ... التوفيق أن أجيزكم أيضا بما أجازني به أستاذنا المذكور وبما أجازني به
... أستاذنا الشيخ البشير بما أجازني به شيخي وشيخهما في الطريقة الحاج محمد بن حمادي رحمه الله تعالى وبما أجازني به البركة
... سيدي الحاج الأمير ... العالم عن شيخنا ... المرحوم سيدي ... المسعودي الصيد وعن العلامة الشيخ محمد العكاري والكل
... عن المرحوم الأبر الشيخ الأكبر سيدي محمد بن علي ابن عبد النور بسنده الصحيح المتصل بمحي الملة والدين والقائم
... بسنة سيد المرسلين صاحب القدر العلي سيدنا عبد القادر الجيلاني الجيلي بسنده الوهاج لصاحب الشفاعة والمعراج
... عليه من الله الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه على مر الليالي والأيام فعليك يا أخي بمتابعة الشرع القويم وإياك
... ... ما أحدثه أهل البدعة في الطريق وعدوه من الصراط المستقيم وأوصيك بمجالسة أهل العلم وسؤالهم عما
... ولا تقدم على شيء عبادة كان أو معاملة حتى تعلم حكم الله فيه ولا تقل هكذا وجدنا من قبلنا يفعل أو هذا
... باطل ونحو ذلك مما تعتقده الجهلة وعليك بالتواضع للكبير والصغير والغني والفقير والمساواة بين
... وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ... ٢٣ صفر ...
عبده علي بن محمد ...

يكون الة الخارج عنه اكثر [illegible] الوافقة في
هذه البلاد فيما يذكرو [illegible] ملكت
لوسايط وبعض السواحل ولم يملكوا بلاد اهير ولا زبرة
ولا شنغي ولا ما بعد منهم من السواحل الا انهم ملكوا واداي
و[illegible] ملكوا السواحل كلها وبعض الوسايط
من [illegible] وبعض كاشنه وغزوا ارض برنو وخربوا
مدنا وحصونا و[illegible] زكزك وهي دولة انشابت اهير
زكزك غرت في البلاد وانتسلها تنوك الشنه وغزت السوا
حل حتى وصلت الى البحر المحيط من جانب اليمين ومن
المغرب ولم تملك من القوافل شيئا ودولة شنغي وهي
دولة اسكيا ملك القوافل كلها من خلال ارض برنو وملك
افطارا من الوسايط وبعض السواحل وامنعت دولته من
الجانب الغربي

**ملحق رقم (3) جزء من مخطوط: أخبار البلاد السودانية والهاوسية، ص 1 2.**

الجانب الغربي والشمال وملك بلاد السين كلها فوانين
ودوانيها وتقت بقوانا رابطة بجميع البلاد والذين
يملكون في بلاد السين الان من ذرية عبيده الذين وضعهم
هناك وقاعدة مملكته هي مدينة غاو ويسميها التجار
كوكو على ما ساعدهم عليه اللسان وآسكيا هو الذي اخذ
الدولة من اهل السني وخرب مآثره الجاهلية وعوائده البا
سطة فبسط العدل والقسط في هذه البلاد ودانت له
بالطوع والكراهية ويسمونه ملك التكرور الحاج
وقد حج من بلاده وزار ولقي خلقا من العلماء منهم الجلال
السيوطي وغيره والفوا له كتبا ووصل المغيلي الى بلاده
وكتب له كتبا والف له تآليف ووصايا ولم يملك احد
من الملوك السودانية ما ملك آسكيا وقد غزا بلد

**يفيدنا هذا المخطوط في تحديد بلاد السودان لدى أهالي السودان وهو عوالي ووسائط وسوافل، كما يفيدنا في رحلة الحاج محمد أسكيا والحركة التجارية وسط بلاد السودان.**

قلت ـــــــ وهذا ذكره ابن وحشية في كتابه الفلاحة النبطية
واما قصب السكر فيوجد منه ما قل بها ولا يعتصر وبها البطيخ
الاصفر على انواع والبطيخ الاخضر ولكنه قليل ويسمى بها خاصة وبالغرب
عامة الدلاع وبها الخيار والقثاء وبها اللوبيا واللفت والباذنجان
والقنبيط والكرنب والبقلة اليمانية واسمها بليدس والرجلة
والحمص والهندبا في انواع وساير البقول والملوخيا ولكنها قليلة
وبها الفليون والصعتر والشاذرنة كلها وبها الرياحين الاس
والورد ومعظمه ابيض والياسمين والنرجس والنيلوفر الاصفر
والترنجان والمنثور والمرزنجوش والبنفسج والسوسن والزعفران
والحبق والنمام وبها من الدواب الخيول العراب المشابهة لخيل
برقة والابل والبغال والحمير والبقر والغنم والمعز وبها الاوز لكن
قليل وانواع الصيد من الكركي ويسمى عندهم الغرنوق وكذلك
الوحش بها الحمر الوحشية والبقر والنعام والغزال وغير ذلك
وغالب سعر لحم الضان كل رطل اربعة بدرهم حجري وبقية اللحوم دونه
في القيمة وفي الربيع يكثر ويرخص عن هذا رخصا كثيرا والدجاجة الجيدة
بدرهمين جديدين واحوال الفاكهة مقاربة للديار المصرية في مثل ذلك لقرب
المجاورة وامـــــا مدنها الكبار فالقاعدة تونس والمشرقيات
على الساحل سوسة والمهدية وصفاقس وقصر زياد وقابس والمغربيات
على الساحل بنزرت وبلد العناب وهي بونه والقل وجيجل وبجاية وتاذر
وكازنون وتدلس وقبلي تونس في الجنوب القيروان وجنوبيها بلاد الجريد
وبها توزر وبعدها نفوسه وهي ثلاث بلاد ذات نخل وزيتون وكامة
البها بين توزر وتونس في طريق القيروان نفطة ذات نخل وزيتون
وبين توزر على نصف يوم منها نفطة وعن تونس بعيدا من البحر بلدة

نوعان احدهما يسمى القديم والاخر الجديد ووزنهما واحد ولكن نقد الجديد
خالص ونقد القديم مغشوش بالنحاس المماثلة واذا قيل درهم ولم يبين يراد
به العتيق وتفاوت ما بينه وبين الجديد ان كل عشرة عتيق يقابلها جديد
وفي بعضها ان كل عشرة دراهم من العتيق دينار وهذا الدينار هو دينار
مسمى لا حقيقة له كالرائج بايران والحبشي بمصر وارطالها ستة عشر
اوقية وزن الاوقية احد وعشرون درهما من دراهمها والكيل اثنان
قفيز وصحفة فاما القفيز فهو ست عشر ويبة كل ويبة اثنا عشر
مدا تقريبا يقارب المد النبوي وفي ثمانية بالكيل الحفصي والحفصي أي
هو كيل قرره ملوكها الحفصيون اباء ما ملوكها الآن واما الصحفة
فهي عشر صحاف كل صحفة اثنا عشر مدا بالحفصي نحو مد ونصف من
المقدم ذكره واوسط الاسعار بها في غالب اوقاتها كل قفيز خمسين
درهما من القمح والشعير دون ذلك والموجود بها من الحبوب القمح
والشعير والفول والعدس والذرة والدخن والجلبان والبسلة والحمص
بافريقية النسيم واما الارز فمجلوب اليها وبها من الفواكه العنب
والتين كلاهما في انواع والرمان الحلو والمز والحامض والسفرجل
والتفاح والكمثرى والعناب والزعرور والخوخ انواع والمشمش
انواع والتوت الابيض والاسود المسمى بالفرصاد والتين والقراسيا
والزيتون والاترج والليمون والليم والنارنج واما الجوز فقليل
وكذلك النخل واما الفستق والبندق فلا يوجد وكذلك الموز
وبها فاكهة اخرى تسمى مشمش دون الجوزة المقشورة الصغيرة والكبير
من البندقة يجيء في زمان الشتاء وطعمه بين الحموضة والقبض شبيه
بطعم السفرجل ولونه بين الحمرة والصفرة وله نوى وهو يقطف من شجرها
ثم يلبس في تبن ويدفن كما يعمل بالموز حتى ينضج ويؤكل

ومالا ينبغي على كلامه لا يعتبر والله اعلم ثم قال

بعد كلام والذي يظهر ويغلب على الظن انه غير

صحيح انتهى قلت في اي زمان دخل الاسلام هذه البلاد

المذكورة قلت لم اقف على نص من تعرض لبيان تاريخ وقت

لم اقف ذلك لكن قال امام الحفظة ولي الدين ابن خلدون في تاريخه

الكبير له في ما ذكره اخبار الدولة الحفصية بتونس

ما نصه في سنة خمس وخمسين وستمائة وصلت

هدية ملك كانم وهو صاحب برنو القبيلة طرابلس

الى تونس وفيها الزرافة الحيوان الغريب الخلق وكان لها

بتونس مشهد عظيم انتهى الفصل الخامس في وصية

الشيخ عبد الرحمن السيوطي في كتابه رسالة الملوك

بالبلاد السودانية التكرورية هذه عموما والى الملك

الزاهد محمد بن مصطفى الحاج صاحب الحرز واخويه محمد وعمر

وابن اخيهم محمد بن عبد الرحمن والى الملك ابراهيم صاحب كشنه

عموما ونص كلامه في الكتاب المذكور بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما يا ايها الذين

١٦ امنوا

ملحق رقم (4) جزء من مخطوط: كتاب الإخوان على أحوال أرض السودان، ص23. أفادنا هذا المخطوط في التعريف بالعلاقات بين الدولة الحفصية وملك الكانم

ثلاثتهم ملوك مسلمون في جنوب الغرب بين بر العدوة ومملكة
السلطان ابي الحسن وبين بلاد مالي وما معها وكل واحد منهم ملك
مستقل بنفسه لا حكم لاحد منهم على الآخر واكبرهم ملك أهير
وهم بربر يضاهون في زي المغاربة دراريع الا انها اضيق وعمائم
باحناك وركوبهم الابل ولا خيل عندهم ولا للمريني عليهم حكم ولا
لصاحب مالي وعيشهم عيش اهل البر من اللحوم والالبان والحبوب
قليلة عندهم وحدثني الشيخ سعيد الدكالي انه مر
بهم في بعض اسفاره ولم يعثر عندهم وهم في قلة من الفواكه
وحدثني الزواوي ان هؤلاء البربر جبال عامرة كثيرة
الفواكه وقال ان ما بايدي هؤلاء الثلاثة يجي قدر نصف
ما لملك مالي او ارجح بقليل وانما ذلك اكثر دخلا لقربهم من
بلاد الكفار وربما منابت الذهب وهو ما هم عليه ودخله كثير
بهذا السبب ويكثر ما يباع بمملكته من السلع وما يكتسبه في
الغزوات من بلاد الكفار بخلاف هؤلاء فان بلادهم جدبة
… لهم لما كسب وغالب ارزاقهم من … والصيد دون هؤلاء مما
بينهم وبين مراكش جبال المصامدة وهم خلق لا يعد ولا يحصى وهم
يفخرون بالشجاعة والكرم فيهم اعيان الكرماء وبهم تطل سوالب
سوالب الدماء وقد كانوا لا يدينون لسلطان من سلاطين بر العدوة
ولا يعد واحد من ملوكها يقتل بهم في غارب ولا ذروة وقد وصلت الآن
الينا الاخبار بانهم قد دانوا للسلطان ابي الحسن صاحب بر العدوة
الآن وقد دخلوا تحت ذيل طاعته وتقرب كل منهم اليه بما يسد
ويماني بقدر استطاعته على انهم لا يملكون لاحد قيادهم ولا يبذلون الية
[illegible] على ما كان عليه في صحة واعتلال وهذا ما انتهى الينا من اخبارهم

**ملحق رقم (5) جزء من مخطوط: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص51 . 54. أفادنا هذا المخطوط. في معرفة منتوجات الدولة الحفصية، وأسعارها، وموازينها بما فيها طرابلس والمراكز التجارية العربية في البلاد الليبية الواقعة تحت التأثير الحفصي في فترة الدراسة**

[illegible] الى [illegible]

[illegible] [illegible]

لهم ذكرنا ما يخدمه الله برحمته المتيزة من الآداب [illegible]

وحسن المشيئة [illegible] كانت رياضة [illegible]

لافكار والاسماع واجتناب اخبار البلاد مما تصغي اليه

قلوب وينطبع في مرآة الطباع وكان من جملة ذلك

فقرا استحضاره ومرابط اوابده وشوارده كتبنا في هذه

مجموع بعض اخبار هذه البلاد التي الاية السودانية

طرف اخبار ملوكها وسلاطينها وشيئا من نوادر

لمايها وما يحكى من ذلك مما يستعذبه السمع

ويستلذ بحلاوته الطبع فدونما استحضرت منه وان كان

ذلك غير عظيم البال في الاسلام فقد يكون من تحبيب

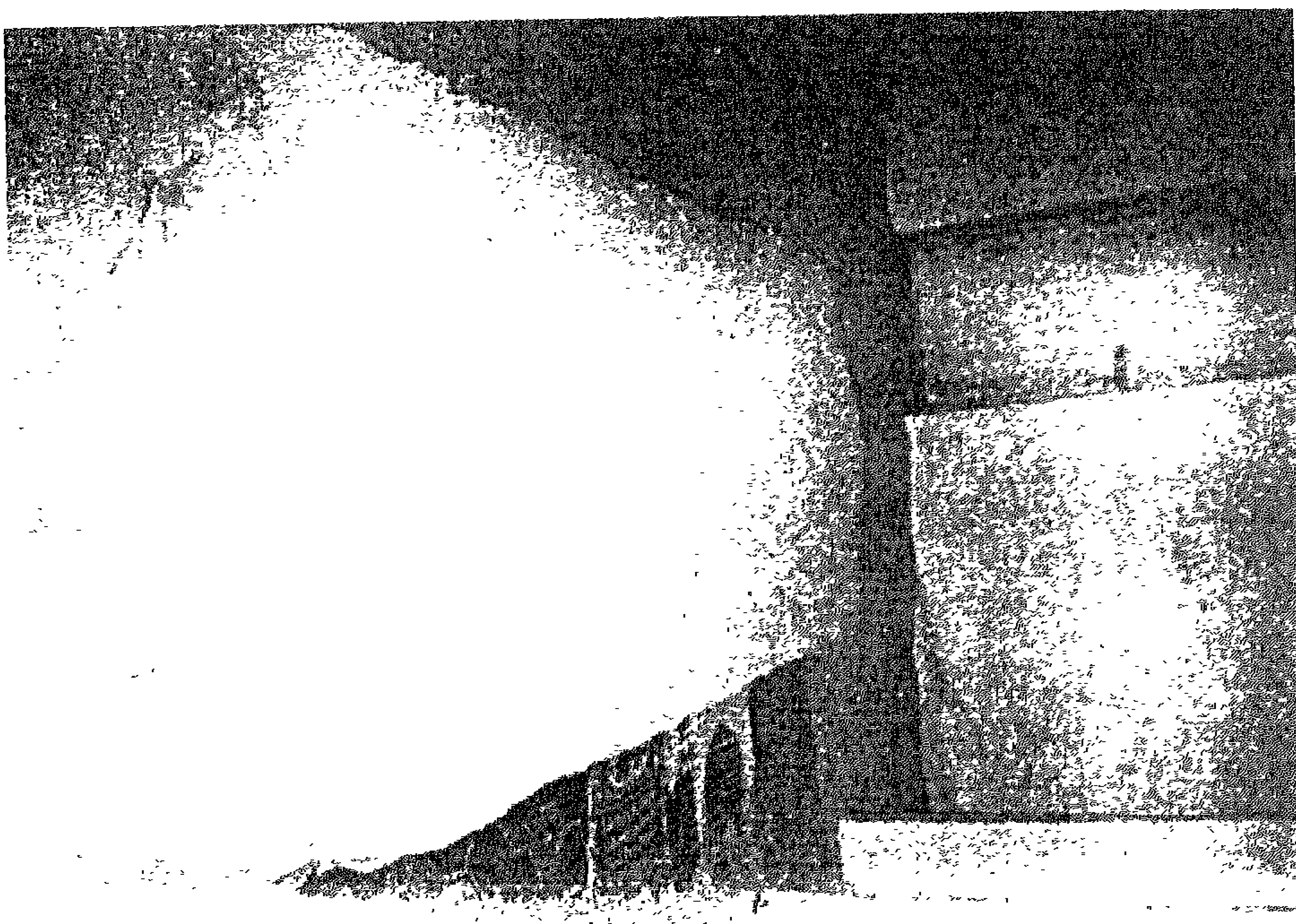
الاخبار

[illegible] الهمم الراقية [illegible] الـ
[illegible] ويحسن اتفاقهما يشتركان في ان
ذلك لا يخلو من واحدة ولا يقرو من نفع او عائدة لمن
تدبره او اعتبره فان كل شيء من الاشياء من امر دنيوي
او فنون حكاية اذا اعتبر لا يخلو من واحدة يعود نفعها
على امر الدين [illegible] ذلك فاعلم ان بلادنا هذه السودا
نية على ثلاثة اقسام عوالي وسايط وسوافل فعوالي
وبلاد [illegible] وبلاد [illegible] وبلاد زبرم وبلاد [illegible] ووسا
يطها حوسر وسو وسبعة اقاليم وثنية وهو سبعة
اقاليم وسوافلها هي بلاد بيابيا ولم يتم لاحد من
الملوك السودانية ان يملك هذه الاقسام كلها
فقط بل يملك بعضها ويبقى بعض خارجا عنه وقد

# الباب الثاني عشر في مملكة افريقية

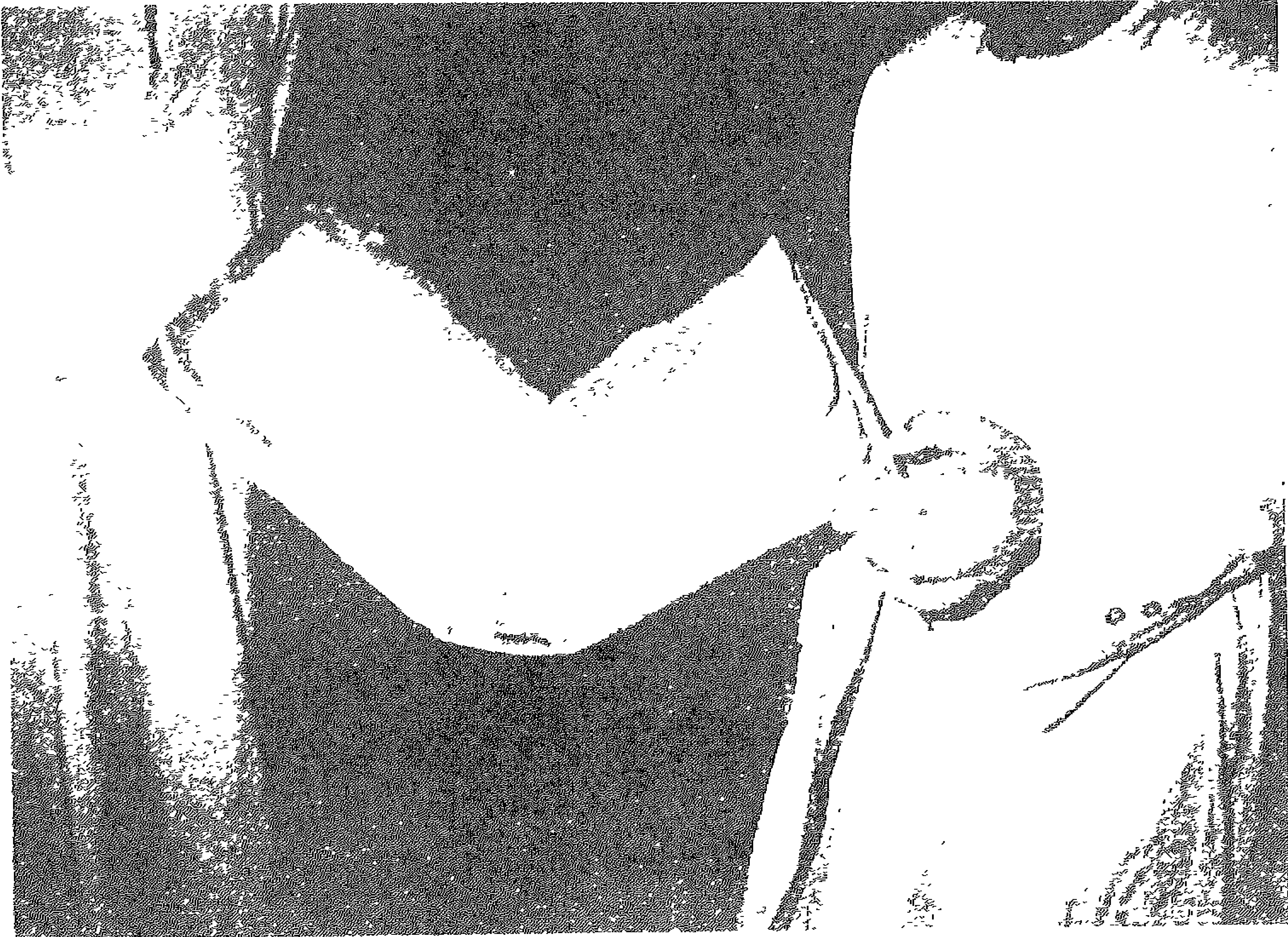
هي مملكة عظيمة ولها شهرة عظيمة صحيحة الهوا عذبة الما وسيعة
الذي كانت في اول منشا الدولة الفاطمية ونشر ملكهم طلعت
بها شمسهم من المغرب وظهرت اية المنجم صارت الى بني
باديس واستقلوا ابا فابا بها وامتدت لهم فيها ايام فتنتها الحبيتها
وبلغوا اسنيتها ثم كانت في ايام جدود ملوكها الان ذات
عز وسلطان اندت بها منها بنة الامير ابي زكريا وادعى بها ابنه
المستنصر الخلافة لما غلب على السبتة ملوك المنازلين سنة
من العشرين ولم يخرج ببيعته الا لنا بصر انما اكتفى باخراج سبعة
نواد منار لو هم ونصبوا اعلامهم بازا اعلامهم وليس هذا مما
نحن بصدده وانه بقيت اسم الافريقية قاعدة الملك بمدينة تونس
واضيف اليها مملكة بجاية ومملكة تدلس تكون طولها خمسة
وثلثون يوما وعرضها عشرون يوما وطولها من تدلس الى حدود
برقة وطرابلس اول مدنها مما يلي برقة وتدلس اخر مدنها مما
يلي الغرب الاوسط وحدها من الجنوب الصحرا الفاصلة بينها وبين
بلاد جناوة المسكونة بامم من السودان ومن الشرق اخر
حدود طرابلس وهي داخلة من الحدود ومن الشمال البحر الشمالي
البحر الشامي ومن الغرب اخر حد تدلس المجاورة لجزاير بني مزغنة
اخر عمالة صاحب بر العدوة وملوكها الان من بني ابي حفص احد
العشرة اصحاب محمد بن تومرت اصحاب المغرب وحدثني
الشيخ العلامة ركن الدين ابو عبد الله محمد بن القويع القرشي التونسي
انها بلاد خصب تزرع على الامطار ومعاملتها بحر الذكا اهم

# 4 ـ ملحق الصور



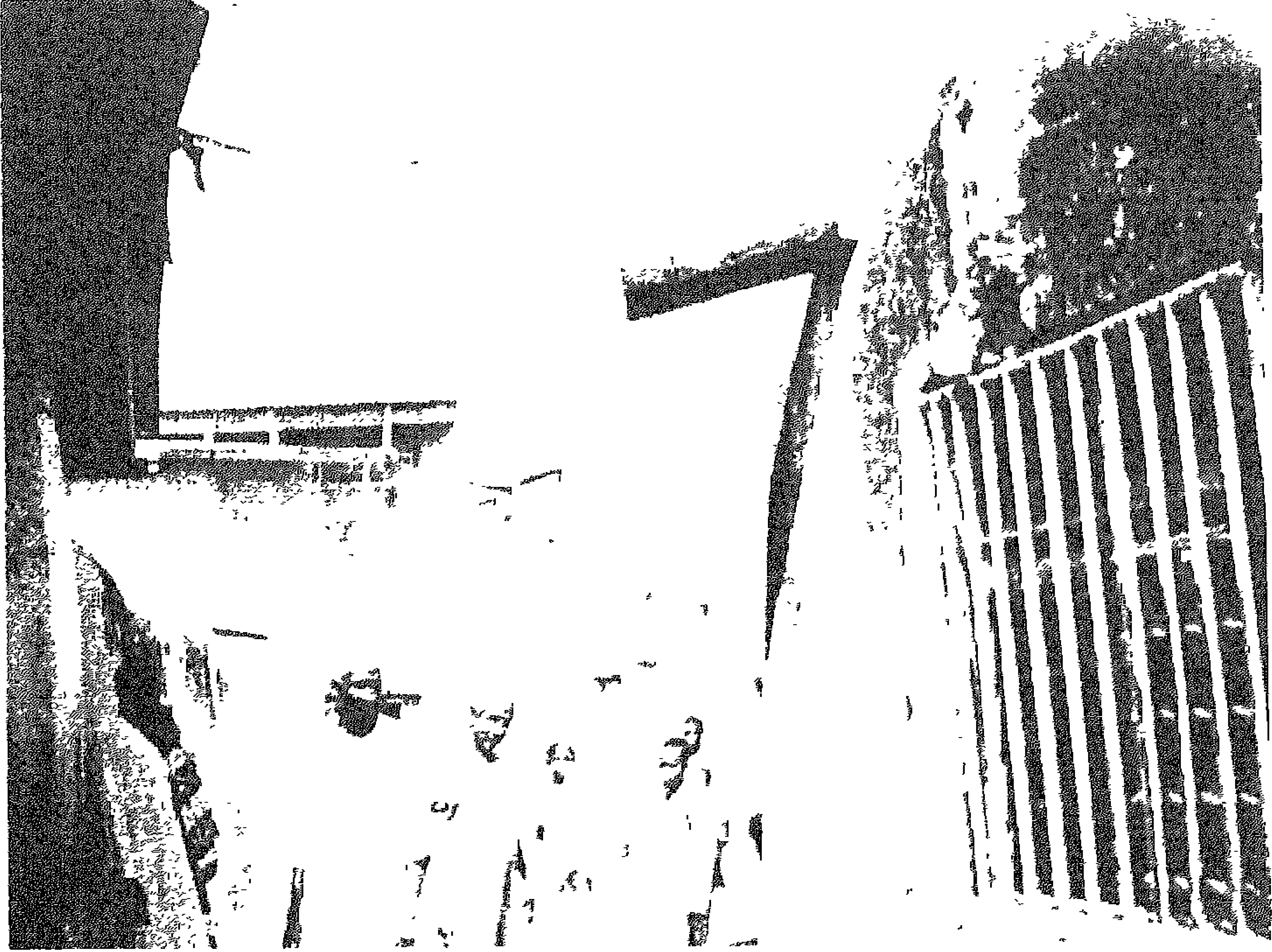
صورة رقم (1) ضريح الشيخ فتح الله أبو رأس

داخل الحجرة المخصصة له بالمسجد في كانو بنيجيريا والذي ترجع وفاته إلى القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي.

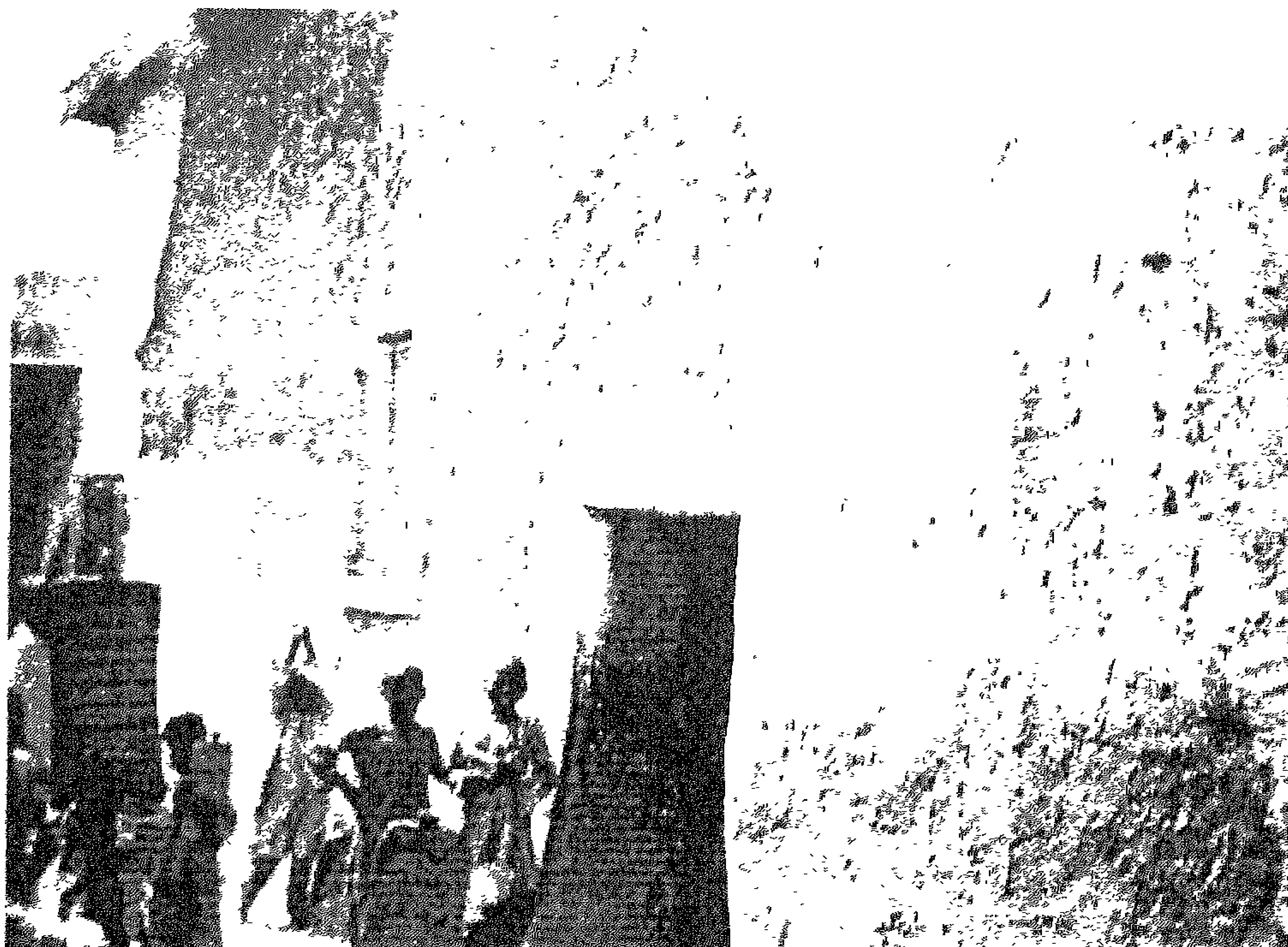


صورة رقم (2) مخطوط من المكتبة القادرية بكانو

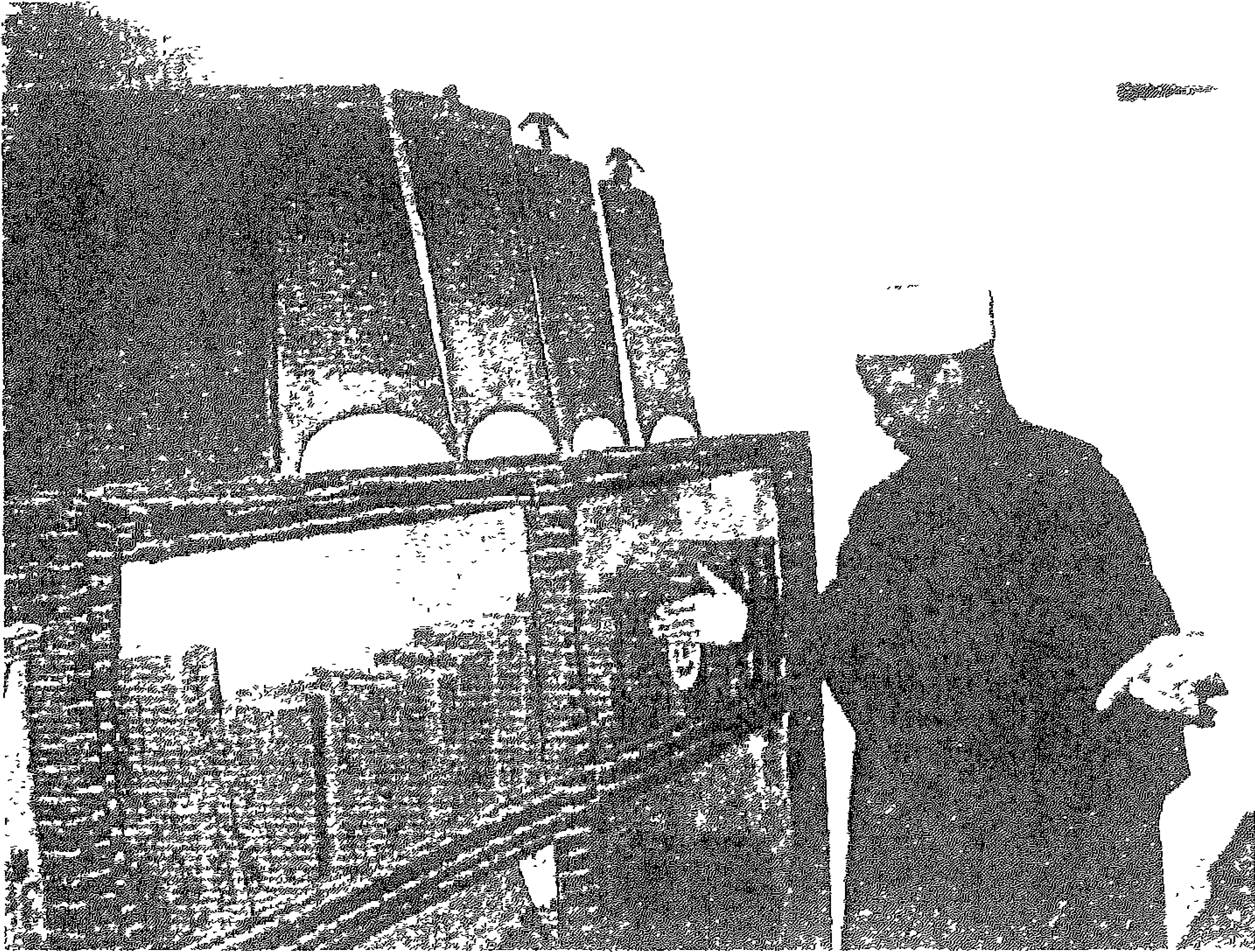
وهي مخطوطة الشفاء لابن سينا، حيث انتقلت هذه المخطوطة وغيرها إلى أقوام السودان منذ فترة متقدمة



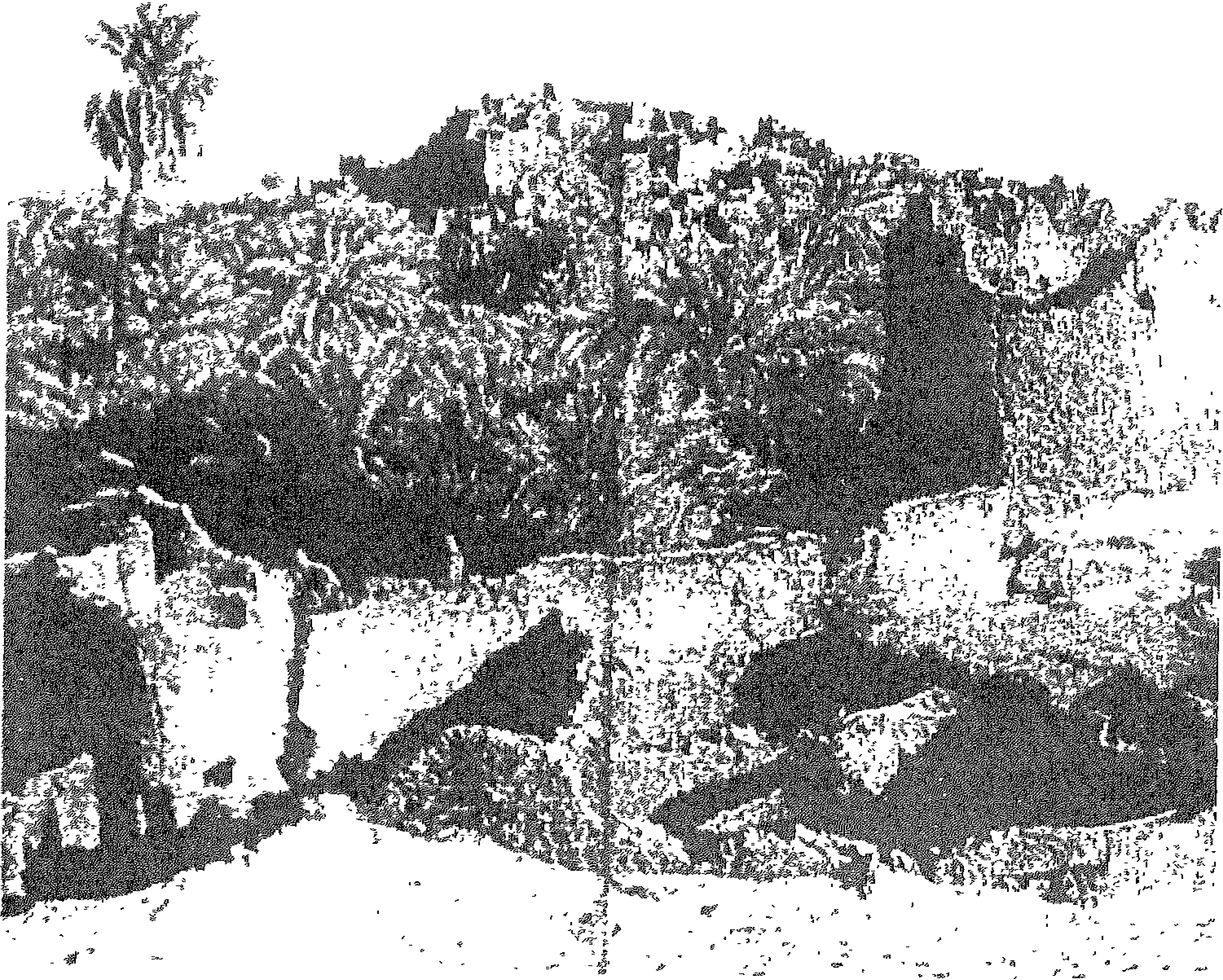
صورة رقم (3) حي الليبيين بكانو المعروف باسم (دندلي تروا) حيث يظهر الطراز المعماري الغدامسي واضحاً، ويرجع هذا الحي في هذا المركز التجاري المهم في البلاد الهاوسية إلى القرن التاسع الهجري، حيث دلت الشواهد التاريخية الموجودة فيه على ذلك.



صورة رقم (4) مداخل الزاوية الأسمرية العروسية بكانو.
يرجع تاريخ إنشاء هذه الزاوية إلى القرن التاسع الهجري.



صورة رقم (5) المكتبة القادرية لشيخ الزاوية القادرية بكانو مع جانب من المخطوطات بالمكتبة، وهي تحوي مئات المخطوطات العربية، وهي تدلنا على عمق الاتصال الليبي منذُ وقت مبكر.



صورة رقم (6) بلدة جادوا شمال شرق النيجر الواقعة في الطريق التجاري الواصل بغات حيث يظهر الطراز المعماري الغدامسي والغاتي واضحاً، الذي انتقل إلى هذه المراكز التجارية منذُ القرون الإسلامية الأولى.

# قائمة المصادر والمراجع

## أولاً: المخطوطات..

1 ـ ابن أحمد ـ محمد البخاري

تأسيس الإخوان بأخبار الخلفاء في السودان، مخطوط بدون تاريخ رقم التصنيف 82، جامعة ساي، النيجر.

2 ـ الأنصاري ـ محمد زكريا (ت 911 هـ/ 1504 م)

فتح الباقي بشرح ألفيه العراقي، مخطوط، بدون تصنيف، مكتبة الشيخ مالم كبير القادرية، كانوا.

3 ـ التونسي ـ محمد عمر

تشحيذ الأذهان ج1، مخطوط، تاريخ النسخ 1275 هـ، قسم المخطوطات، جامعة الرياض.

4 ـ الشماخي ـ أحمد سعيد (ت 928 هـ/ 1530 م)

كتاب السير، مخطوط، دار الكتب ـ القاهرة.

5 ـ العمري ـ ابن فضل الله (ت 749 هـ/ 1348 م)

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، م4، مخطوط، فرانكفورت، معهد تاريخ العلوم الإسلامية، 1988 م.

6 ـ الغدامسي ـ محمد عمر

مخطوط بدون عنوان وتاريخ، بدون تصنيف، مكتبة الشيخ مالم كبير القادرية، كانوا.

7 ـ المصطفى ـ عبد القادر

أخبار البلاد السودانية والهاوسية، مخطوط بدون تاريخ، رقم التصنيف 59، مركز البحوث والمخطوطات للعلوم الإنسانية، جامعة نيامي.

8 ـ المقريزي (ت 874 هـ/ 1469 م)

جني الأزهار من الروض المعطار في عجائب الأمصار، مخطوط، جامعة القاهرة.

9 ـ أما ـ مالم

فائدة الأولياء الذين كانواا في وقت واحد، مخطوط بدون تاريخ وتصنيف، مكتبة الشيخ مالم، أغاديس.

10 ـ بكنو ـ لأمن أحمد

تاريخ آهير، مخطوط بدون تاريخ، رقم 60، مركز البحوث والمخطوطات والوثائق للعلوم الإنسانية، جامعة نيامي.

11 ـ ثانودي ـ بخاري

مجموع تاريخ الآهير، مخطوط بدون تاريخ، رقم 65، مركز المخطوطات والوثائق للعلوم الإنسانية، جامعة نيامي.

12 ـ ثانودي ـ بخاري

مصباح الظلام في وفيات القرن الثالث عشر والرابع عشر، مخطوط بدون تاريخ رقم 58، مركز الوثائق والمخطوطات للعلوم الإنسانية، جامعة نيامي.

13 ـ ثانودي ـ بخاري

تاريخ آهير وأغاديس 64 ـ 866 هـ، مخطوط رقم 63، مركز الوثائق والمخطوطات للعلوم الإنسانية، جامعة نيامي.

14 ـ فودي ـ عبد الله

كتاب النسب، مخطوط بدون تاريخ وتصنيف، مكتبة الشيخ مالم كبير القادرية، كانوا

15 ـ فودي ـ عبد الله

تبشير الأمة المحمدية، بدون تاريخ وتصنيف، مكتبة الشيخ علي كوماس، كانوا (1232 هـ)

16 ـ قودي ـ عثمان محمد

تنبيه الإخوان على أحوال أرض السودان، بدون تاريخ وتصنيف، مكتبة الشيخ علي محمد كوماس، كانوا.

17 ـ كوماس ـ علي محمد
المواهب الربانية في تحقيق الطرق القادرية، مخطوط بدون تصنيف، مكتبة الشيخ كوماس، كانوا، 1272 هـ.
18 ـ مجهول
تذكير الناسي وتليين القلب بذكر شيء من مناقب الشيخ سيدي عبد الله أبي بكر الغدامسي، مخطوط بدون تاريخ، مك 59/ 23، مركز جهاد الليبيين، الجماهيرية.
19 ـ ملفات حسن الفقيه حسن، كيفية استخراج الذهب وبأي مكان يوجد هذا المعدن، مخطوط رقم 24 ـ 31، مركز الجهاد الليبي.

**ثانياً: الوثائق..**

1 ـ البليلي ـ الحاج أحمد
وثيقة شراء بدون تاريخ، ملف غدامس، رقم 2، مركز الجهاد الليبي، الجماهيرية.
2 ـ الغدامسي ـ أبناء محمد الحاج هيبة
وثيقة نسب، ملك خاص، زندر، النيجر 1259 هـ.
3 ـ القميسي ـ نصر بن محمد
وثيقة إجازة للشيخ سعد بن أحمد البليلي في كانوا من الشيخ نصر بن محمد القميسي بطرابلس، 1318 هـ.
4 ـ باشر ـ عبد الرحمن
وثيقة شراء، مكتبة عائلة قاسم، 1210 هـ.
5 ـ صيلة ـ إبراهيم بن موسى
وثيقة تحبيس جنان وشاح ويجموت لمحمد صيلة وعبد الله عند رحيلهم لبلاد السودان، مكتبة عائلة قاسم، 911 هـ.

6 ـ مالك ـ بشير بن محمد
وثيقة تجارية بدون تاريخ، مكتبة عائلة قاسم، غدامس.
7 ـ يوسف ـ خالد
وثيقة شراء، مكتبة عائلة قاسم، غدامس، بتاريخ ربيع الأول 996 هـ.

## ثالثاً: المصادر المطبوعة:

1 ـ القرآن الكريم.
2 ـ الإدريسي ـ عبد المنعم (ت 548 هـ/ 1162 م)
نزهة المشتاق في اخترق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة العربية، بور سعيد، مصر.
3 ـ الأندلسي ـ محمد بن محمد (ت 1149 هـ/ 1764 م)
الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976.
4 ـ الأنصاري ـ شمس الدين الأنصاري (ت 727 هـ/ 1326 م)
نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ج2، المكتب التجاري للطباعة والنشر.
5 ـ ابن بطوطة (ت 779 هـ/ 1377 م)
رحلة ابن بطوطة تحفة الأنظار في غرائب وعجائب الأسفار، دار الكتاب العالمي، بيروت، ط1، 1991 م.
6 ـ البكري ـ أبو عبيد (ت 487 هـ/ 1040 م)
المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
7 ـ ابن ثغري، بردي ـ أبو المحاسن ـ (ت 874 هـ/ 1469 م)
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج1 ـ 11، دار الكتب، القاهرة، 1987 م
8 ـ التيجاني ـ أبو محمد عبد الله (ت 708 هـ/ 1308 م)
رحلة التيجاني، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، 1981 م.

9 ـ ابن حوقل ـ أبو القاسم (ت حوالي 380 هـ/ 977 م)
صورة الأرض، مكتبة دار الحياة، بيروت، 1974 م
10 ـ الحميري ـ محمد عبد المنعم (ت 900 هـ/ 1503 م)
الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1985 م.
11 ـ ابن خرداذبة (ت 300 هـ/ 912 م)
المسالك والممالك، طبعة ليدن، 1889 م.
12 ـ ابن خلدون ـ عبد الرحمن (ت 808 هـ/ 1405 م)
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر المجلد 6 ـ 7، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1959 م.
13 ـ ابن خلدون ـ عبد الرحمن (ت 808 هـ/ 1405 م)
المقدمة، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة ـ تونس.
14 ـ السعدي ـ عبد الرحمن
تاريخ السودان، بردين، أنجي، 1898 م.
15 ـ ابن سعيد ـ أبو الحسن علي بن موسى (ت 673 هـ/ 1286 م)
كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1988 م.
16 ـ الشماخي، أحمد سعيد (928 هـ/ 1530 م)
السير، ج1، سلطنة عمان، 1987 م.
17 ـ أبو الفداء ـ عماد الدين إسماعيل (ت 732 هـ/ 1331 م)
تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس. للنشر، تونس، 1976 م.
18 ـ فودي ـ محمد عثمان (ت 1332 هـ/ 1816 م)
إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، القاهرة، ط1، 1964 م.
19 ـ قدامة ـ ابن جعفر (ت 237 هـ/ 948 م)

كتاب الخراج، ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خردادبة، ليدن، 1889 م.
20 ـ القزويني، زكريا محمد (ت 681 هـ/ 1282 م)
آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1960 م.
21 ـ القلقشندي ـ أحمد (821 هـ/ 1418 م)
صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5 ـ 8، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987 م.
22 ـ كعت ـ محمود (ت 892 هـ/ 1486 م)
تاريخ الفتاش في أخبارالبلدان والجيوش وأكابر الناس، باريس، نشر هوداس، 1913 م.
23 ـ مجهول ـ (عاش في أواخر القرن السادس الهجري)
الاستبصار في غرائب وعجائب الأسفار، نشر وتعليق سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
24 ـ المسعودي ـ علي بن الحسن (346 هـ/ 957 م)
مروج الذهب ومعادن الجوهر مجلد 1 ـ 2، دار الكتاب، بيروت، ط1، 1982 م.
25 ـ المقدسي ـ محمد بن أبي بكر (ت 375 هـ/ 985 م)
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة أبريل، ليدن، 1959 م.
26 ـ المقريزي (ت 874 هـ/ 1441 م)
السلوك لمعرفة من حج من الملوك، ط1، القسم الثالث.
27 ـ المقريزي (874 هـ/ 1441 م)
الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الدين الشباك، القاهرة، 1955 م
28 ـ الهمداني ـ أبو بكر محمد
مختصر كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1988 م.
29 ـ الوزان ـ الحسن (ت 934 هـ/ 1536 م)

وصف إفريقية، تعريب محمد حجي وآخرين، دار المغرب الإسلامي، ط2، 1983 م.
30 ـ ياقوت ـ شهاب الدين (القرن الرابع الهجري)
دار صادر، بيروت، 1977 م.

## رابعاً: الرسائل والبحوث العلمية . .

1 ـ التكتيك ـ جميلة امحمد، مملكة سنغاي الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الفاتح، 1991 م.
2 ـ السباني ـ صالح الصادق، مملكة كانم برنو وعلاقتها مع أقطار الشمال، رسالة ماجستير غير منشورة، الرباط، جامعة محمد الخامس، 1989 م.
3 ـ السراج ـ زين العابدين عبد الحميد، دولة كانم الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1975 م.
4 ـ بسيوني ـ مصطفى علي، برنو في عهد الأسرة الكانمية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1976 م.
5 ـ بكر ـ عبد الفتاح حسن، سلطنة البرنو حتى 1808 م، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، 1978 م.
6 ـ توفيق ـ محمد أنور، دولة سنغاي الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1977 م.
7 ـ زيادة ـ مجدي محمد، قصة الماء الشافي Ruwan-Bagaia رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1990 م.
8 ـ عابدين ـ أحمد فتوح، الحواضر الإسلامية في غرب إفريقية في القرنين السادس عشر والسابع عشر، رسالة دكتوراة غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1989 م.
9 ـ نافع ـ صبحي محمد (بحث عن تجارة الرقيق في غرب إفريقية وآثارها العالمية)

معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1970 م.
10 ـ هاشم ـ زينب أحمد، علاقة مصر بالدول الإسلامية في حوض النيجر في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1982 م.

**خامساً: الكتب العربية المطبوعة..**

1 ـ الأنصاري ـ أحمد النائب، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، طرابلس.
2 ـ الباروني ـ عبد الله بن يحيى، رسالة سلم العامة والمبتدئين، مطبعة النجاح، القاهرة، 1290 هـ.
ـ الباروني ـ سليمان عبد الله، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية ج2، دار أبو السلامة، تونس، 1986 م.
3 ـ البرغوثي ـ عبد الطيف محمود، تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى بداية العصر العثماني، بيروت، دار صادر.
4 ـ الحشائشي ـ محمد عثمان، الرحلة الصحراوية، تعليق محمد المزروقي، الدار التونسية للنشر، 1988 م.
5 ـ الحضري ـ أبو بكر عثمان، فزان ومراكزها الحضارية عبر العصور، مركز أبحاث شؤون الصحراء.
6 ـ الخشاب ـ رفيق وآخرون، إفريقية جنوب الصحراء، بغداد، 1978 م.
7 ـ الدالي ـ الهادي المبروك، العلاقات بين مملكة مالي الإسلامية وأهم المراكز بالشمال الإفريقي، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، ط1، 1991 م.
8 ـ الدكّو ـ فضل كلود، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، كلية الدعوة الإسلامية طرابلس، ط1، 1998 م.

9 ـ الشيخ ـ عبد الرحمن عبد الله، دول الإسلام وحضارته في إفريقية، دار اللواء، الرياض، ط1، 1987 م.
10 ـ الزاوي ـ الطاهر، التاريخ العربي في ليبيا، دار الفتح، طرابلس، ط1.
11 ـ الفوتي ـ ألفا هاشم، تعريف العشائر والخلان بشعوب وقبائل الفلان، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة.
12 ـ الفيتوري ـ أحمد سعيد، ليبيا وتجارة القوافل، الإدارة العامة للآثار، 1972 م.
13 ـ القشاط ـ امحمد سعيد، صحراء العرب الكبرى، دار الرواد، طرابلس، ط1، 1994 م.
14 ـ الماحي ـ عبد الرحمن عمر، الدعوة الإسلامية في إفريقية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1989 م.
15 ـ المصراتي ـ علي مصطفى، مؤرخون من ليبيا، الشركة العامة للنشر والإعلان، ط1، 1977 م.
16 ـ الناصر ـ قريب الله محمد، الرسالة الجليّة لمكانة نيجيريا العلمية، دار الآن للطباعة والنشر، قبرص، 1993 م.
17 ـ أيوب ـ محمد سليمان، مختصر تاريخ فزان من أقدم العصور حتى 1811 م، المطبعة الليبية، طرابلس.
18 ـ بللو ـ إبراهيم محمد (أحوال الإسلام والمسلمين في نيجيريا) ندوة (الإسلام والمسلمون) في إفريقية جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس.
19 ـ حسن ـ يوسف فضل، العرب وإفريقية مجموعة من البحوث، مركز الدراسات العربية، بيروت، ط1، يناير 1984 م.
20 ـ رافق ـ عبد الكريم، العرب والعثمانيون، 1516 ـ 1911 م، دمشق، ط1، 1974 م.
21 ـ رياض ـ زاهر رياض، الممالك الإسلامية في غرب إفريقية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968 م.

22 ـ زكي ـ عبد الرحمن ، الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية ، مطبعة يوسف ، القاهرة .

23 ـ شلبي ـ أحمد ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، النهضة المصرية ، القاهرة ، ط1 ، 1972 م .

24 ـ شوسع ـ بشير قاسم ، غدامس وثائق تجارية تاريخية ، مركز الجهاد الليبي ، طرابلس ، 1982 م .

25 ـ صالح ـ إبراهيم ، تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية الكانم ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، 1976 م .

26 ـ طرخان ـ إبراهيم علي ، إمبراطورية البرنو الإسلامية ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1968 م .

27 ـ عاشور ـ سعيد ، تجارة البهار والفلفل ، العصر المملوكي ، النهضة العربية ، بيروت ، 1973 م .

28 ـ عاشور ـ سعيد ، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، دار النهضة ، بيروت ، 1972 م .

29 ـ عبد السلام ـ محمد الحراري ، ليبيا عبر الراحلين المغاربة في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، وحدة التثقيف والتعبئة والإعلام ، طرابلس ، ط1 ، 1998 م .

30 ـ عبد الوهاب ـ حسن حسني ، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية ، القسم الثالث ، مكتبة المنارة ، تونس ، 1965 م .

31 ـ علي ـ فاي منصور ، أسكيا الحاج محمد وإحياء دولة السنغال الإسلامية ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ط1 ، 1997 م .

32 ـ عمورة ـ علي الميلودي ، طرابلس المدينة ومعمارها الإسلامي ، دار الفرجاني ، طرابلس ، 1973 م .

33 ـ غيث ـ أمطير سعد ، التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي ، دار الرواد ، بنغازي ، ط1 ، 1996 م .
34 ـ فهمي ـ نعيم زكي ، طرق التجارة ومحطاتها بين الشرق والغرب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1975 م .
35 ـ مفتاح ـ صالح مصطفى ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية ، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، ط1 ، 1978 م .
36 ـ موسى ـ عز الدين علي ، العرب وإفريقية ، مجموعة من البحوث ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1 ، 1989 م .
37 ـ نجم ـ محمد يوسف وآخرون ، ليبيا في كتب الجغرافيا والرحلات ، دار ليبيا ، بنغازي ، 1968 م .
38 ـ يونس ـ محمد المبروك ، دور ليبيا في مسار العلاقات العربية الإفريقية ، طرابلس ، ط1 ، 1994 م .
39 ـ دائرة المعارف الإسلامية ، مجلة 12/ 13 ، ترجمة محمد ثابت وآخرين .

**سادساً : الكتب المعربة..**

1 ـ ادوار دراي ، المغرب العربي (طرابلس ، لبدة ، القيروان) تعريب مصطفى محمد جودة وآخرين . دار مكتبة الفكر ، طرابلس .
2 ـ بانيكار ـ ك . مادمو ، الوثنية والإسلام ، ترجمة أحمد فؤاد بليغ ، المجلس الأعلى للثقافة 1998 م .
3 ـ بوفيل ، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير ، ترجمة الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز ، منشورات قاريونس ، بنغازي ، 1988 م .
4 ـ جوليان ـ شارل أندريه ، تاريخ إفريقية ، ترجمة طلعت أباضة ، النهضة ، القاهرة .
5 ـ روسي ـ أتوري ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911 م ، ترجمة خليفة محمد التليسي ، الدار العربية للكتاب ، ط2 ، 1991 م .

6 ـ فريدرك ـ هورنمان، رحلتان عبر ليبيا، دار الفرجاني، طرابلس، ط1، 1974 م.
7 ـ لايون ـ ع. ن، مدخل إلى الصحراء، ترجمة الهادي أبو لقمة، جامعة قار يونس، بنغازي، ط1، 1995 م.
8 ـ نياني ـ ج. ت، تاريخ إفريقية العام، مجلد 4، اليونسكو، 1988 م.
9 ـ ويللارد ـ جيمس، الصحراء الكبرى، مكتبة الفرجاني، بيروت، ط1، 1967 م.

**سابعاً: الدّوريات..**

1 ـ أبو بكر ـ جبريل علي (طرق القوافل وأثرها في تغذية العلاقات الثقافية بين ليبيا وجيرانها جنوب الصحراء) ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1995 م.
2 ـ الدالي ـ الهادي المبروك (دور قبائل الفلان العربية في منطقة إفريقية فيما وراء الصحراء) دراسات، ع1، 1999 م.
3 ـ الدكّو ـ فضل كلود (الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم) مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1998 م.
4 ـ الشيخلي ـ صباح إبراهيم (تطور الوجود العربي في صحاري فزان فيما بين القرنين الأول والسادس الهجري) المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، عدد 23، 1988 م.
5 ـ الطيبي ـ أمين توفيق (كانم برنو بالسودان الأوسط، صلات تاريخية وتجارية عربية بالشمال الإفريقي) البحوث التاريخية، مركز الجهاد الليبي، طرابلس، ع2، 1987 م.
6 ـ الفيتوري ـ أحمد سعيد (ليبيا وطرق القوافل) البحوث التاريخية، عدد 1، 1981 م.
7 ـ الوزاني ـ مسعود عبد الله (التواصل الإنساني وأثره في وحدة العقيدة بين شمال الصحراء وبلدان السودان الغربي)، الدعوة الإسلامية، طرابلس، ع3، 1996 م.
8 ـ البأس ـ أحمد (طرق القوافل عبر الصحراء والممالك الإفريقية) دراسات إفريقية، الخرطوم، عدد أبريل، 1986 م.

9 ـ باشا ـ نجاة (التجارة في المغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى القرن الثامن الهجري) الجامعة التونسية، 1976 م.
10 ـ بونو ـ سلفوتوري (العلاقات التجارية بين بلدان المغرب وإيطاليا في العصر الوسيط) ترجمة عمر محمد الباروني، البحوث التاريخية، عدد 2، مركز الجهاد الليبي، طرابلس.
11 ـ حركات ـ إبراهيم (دور الصحراء الإفريقية في التبادل والتسويق خلال العصر الوسيط) مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، 1981 م.
12 ـ دياب ـ أحمد إبراهيم (علاقة اللغة العربية باللغات الإفريقية) دراسات إفريقية، عدد 7، 1990 م.
13 ـ زغلول ـ سعد (تجارة الرقيق وأثرها على اقتصاد غرب إفريقية) المجلة التاريخية المصرية مجلد 20، دار الكتب، القاهرة، 1973 م.
14 ـ زيادة ـ نقولا (الطرق التجارية في العصور الوسطى) مجلة تاريخ العرب والعالم، عدد 59، 1983 م.
15 ـ فرانكة ـ ميكلي كلاين (أبحاث هانيريش بارث في تاريخ الإسلام واللغة العربية في إفريقية) مجلة تاريخ العرب والعالم، عدد 58، 1983 م.
16 ـ فضل الله ـ قمر الدين (لمحة تاريخية عن مملكة سنغاي الإسلامية) مجلة الدعوة الإسلامية، عدد 4، طرابلس، 1998 م.
17 ـ كآني ـ أ. م (مظاهر الاتصالات الفكرية والثقافية بين شمال إفريقية ووسط السودان) البحوث التاريخية، مركز الجهاد الليبي، طرابلس، عدد 1، 1981 م.
18 ـ نوري ـ دريد عبد القادر (ازدهار الصناعة والزراعة في بلاد السودان الغربي بعد القرن الخامس الهجري) المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلة الكويت، العدد 1، 1986 م.

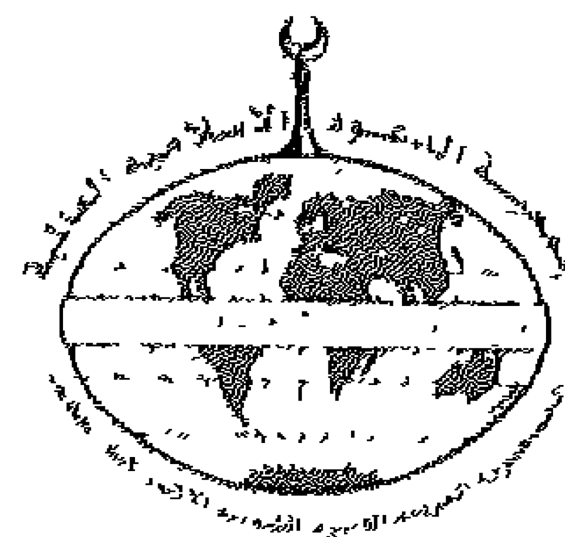
## ثامناً: المراجع الأجنبية..

1-ABDOUL HADI-HAMIT, LAPISTE DU COMMERCE TRANARIEN TRIPOLILAC TCHAD, THESE DE DOCTORAT NON PUBLIEE, UNIVERSITE DE PARIS VIII-VINCIENNES, ANNEE 1998.

2-ABU BOOHEN, BRITAIN, THE SAHRA AND WEST, TERN SUDAN (1788-1801) CLAAREN DOM PRESS, OXFORD, 1964.

3-ASSOIET CIERICT. A, HISTOIRES DES PEUPLES, NOIRES.

4-RMAUNY, RTABLEAU GEOGRPHIGUE DE LOUEST, AFRICE AU MOYEN AGES, (DAKER, 1961).



منشورات
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية
الجماهيرية العظمى - طرابلس
برنامج ما بعد كانو